١

الإرهاب والعنف

في ضوءِ القُرآن والسُّنَّة والتَّاريخ والفقه المقارَن

الشيخ الدكتور محسن الحيدري

عضو مجلس الخبراء في الجمهورية الإسلامية الإيرانية

تقديم المحقق الفقيه

الشيخ جعفر السبحاني

دار الولاء

بيروت - لبنان



الإرهاب والعنف

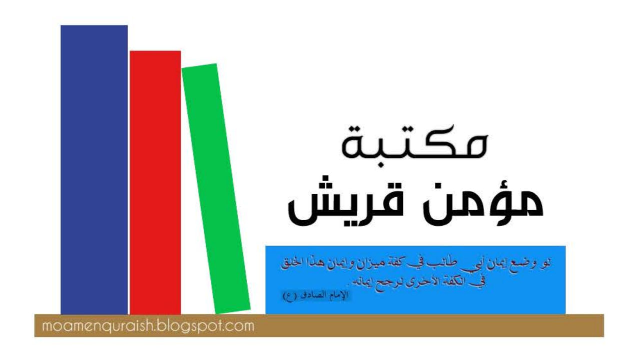
في ضوء

القرآن والسنَّة والتاريخ والفقه المقارن

(١)



لبنان - بيروت - حارة حريك - شارع دكاش - سنتر فضل الله
تلفاكس: 545133 1 00961 - 689496 3 00961 - ص.ب. 327/25
www.daralwalaa.com - info@daralwalaa.com
E-mail:daralwalaa@yahoo.com



ISBN:978-9953-546-39-1

أسم الكتاب: الإرهاب والعنف في ضوء القرآن والسنّة والتاريخ والفقه المقارن / ج١

أسم المؤلف: الدكتور الشيخ محسن حيدري

الناشر: دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع

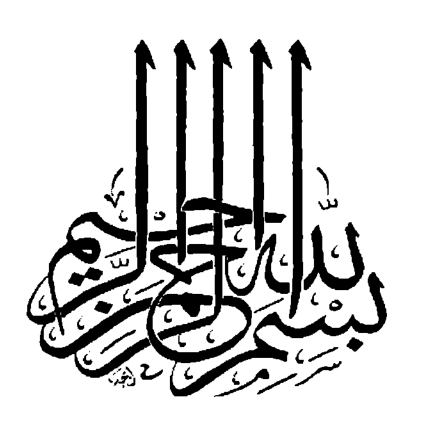
الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م

الإرهاب والعنف
في ضوء
القرآن والسنّة والتاريخ والفقه المقارن

الجزء الأوّل

بقلم
الدكتور الشيخ: محسن الحيدري
عضو مجلس الخبراء في إيران

دار الولاء
بيروت ـ لبنان


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم وتقريظ بقلم:

المحقّق الفقيه آيةالله العظمى الشيخ جعفر السبحاني

الجهاد، ضوابطه وأخلاقه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين.

أمّا بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصّة أوليائه، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة، وجُنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذلّ[1].

الجهاد كما وصفه الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام من أُصول الشريعة، فمن لبسه فقد ارتدى لباس العز، ومن رغب عنه ألبسه الله ثوب الذلّ.

لم يكن الغرض من تشريع الجهاد قتل النفوس وإراقة الدماء وتخريب البلاد، بل إنّ الغاية من تشريعه هي تحرير البلاد من أيدي الظالمين الذين يصادرون حريات شعوبهم، ويقفون سدّاً منيعاً أمام رسل الله والدعاء إليه الذين يريدون إخراج الناس من عبادة المخلوقين إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٧.

سعة الآخرة.

وقد سنّ الشارع قوانين وسنناً للمجاهدين لكي يؤدّوا وظيفتهم الرساليّة بشكل يصدُّهم عن تجاوز منهج الحقّ والعدل، ويوقفهم على واجباتهم في هذا المضمار، حتى لا يختلط الجهاد بالارهاب. ويتضح ذلك بدراسة الروايات التي ذكرت وظائف المجاهدين في ميادين الغزو، وإليك نزراً منها:

١ـ يجب على المجاهد أن لايقاتل أحداً حتى يدعوه إلى الإسلام، وقد قال النبيّ الأكرم ﷺ لعلي عليه السلام، عندما بعثه إلى اليمن:

«**يا عليّ، لاتقاتلنَّ أحداً حتّى تدعوه إلى الإسلام، وأيم الله لأنْ يهدي الله عزّ وجلّ على يديك رجلاً، خير لك ممّا طلعت عليه الشمس وغربت**»[١].

٢ـ إنَّ الإسلام، في الوقت الذي أمر فيه بالجهاد، قرنه برعاية المثل والأخلاق؛ فقد أمر رسول الله ﷺ المسلمين، عندما فتح مكة، وقال: «**من أغلق بابه فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن**».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام بعدما فقأ عين الفتنة في البصرة، منادياً أصحابه بصوت عال: «**لا تَسْبوا لهم ذريةً ولا تُجهزوا على جريح ولا تتبعوا مدبراً، ومن أغلق بابه وألقى سلاحه فهو آمن**»[٢]. كما أنّه عليه السلام كتب يوم الفتح إلى مالك الأشتر (وهو على مقدمته في يوم البصرة) بأن لايطعن في غير مُقبل ولا يقتل مدبراً ولا يجهز على جريح، ومن أغلق بابه فهو آمن[٣].

ولم يكتف رسول السلام بما ذكرنا، بل نهى عن أن يُلقى السمّ في مياه العدو، ومنع من قطع الأشجار.

٣ـ استحسن الإسلام أن يبدأ قتال العدوّ في وقت زوال الشمس. ومن الغايات المنشودة في ذلك، إتاحة الفرصة للمنهزم منهم أن يفلت، فيقلّ عدد

(١) الوسائل: ١١، الباب ١٠ من أبواب جهاد العدو، الحديث١.
(٢) المصدر السابق: ١٠، الباب ٥ من أبواب جهاد العدو، الحديث٢.
(٣) المصدر السابق: ١٠، الباب ٤ من أبواب جهاد العدو، الحديث ٢.

القتلى، كما أوضح ذلك الإمام الصادق عليه السلام في قوله: «**كان أمير المؤمنين** عليه السلام **لا يقاتل حتى تزول الشمس ويقول: تُفتح أبواب السماء، وتُقبل الرحمة، وينزل النصر، ويقول: هو أقرب إلى الليل وأجدر أن يقلّ القتل ويرجع الطالب، ويفلت المنهزم**»[1].

٤ ـ منع الإسلام من الغدر بالعدوّ فقال: «**لا ينبغي للمسلمين أن يغدروا ولا يأمروا بالغدر، ولا يقاتلوا مع الذين غدروا**»[2].

إلى غير ذلك من المُثُل الأخلاقية والضوابط السامية في باب الجهاد.

فكيف وقد ملأ الخافقين أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد نهى عن الفتك؟[3]. وقد رووا عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**الإسلام قيَّد الفتْك**»[4].

وفي ضوء ذلك فمن اتهم الإسلام بأنّه يدعو إلى الفتك والإرهاب فهو إمَّا جاهل بالقيم والمثل العليا في أحكام الإسلام، أو أنّه مغرض يريد تشويه الإسلام في أذهان الناس ليصدّهم عن سبيل الله.

هذا وقد قام مؤلِّفنا الفاضل المحقِّق حجَّة الإسلام والمسلمين الشيخ محسن الحيدري (دامت إفاضاته) بتحرير هذه الرسالة حول الإرهاب والعنف وتنزيه الشريعة عن ذينك الأمرين في ضوء القرآن والسنَّة والتاريخ الصحيح والفقه المقارن، وقد أغرق نزعاً في التحقيق ولم يُبقِ في القوس منزعاً. وهذا هو الأصل الأصيل في التشريع الإسلامي والصورة الناصعة له.

نعم خرج منه الدفاع الشرعيُّ بألوانه المختلفة، الذي يمارسه الإنسان المُعتدى عليه، أو الشعب المضطَهَد ضدَّ العدوّ المعتدي، فيعدّ حقاً أو واجباً أو مباحاً مرخّصاً فيه ـ على الأقل ـ لدى كلّ القوانين البشريّة فضلاً عن الشرائع

---

(١) الوسائل: ١٠، الباب ١٧ من أبواب جهاد العدو، الحديث ٢.

(٢) المصدر السابق: ١٠، الباب ٢١ من أبواب جهاد العدو، الحديث١.

(٣) الكافي٧ / ٣٧٥.

(٤) مناقب ابن شهراشوب: ٢ / ٢١٨.

السماوية. وفي الحقيقة ليس هو إرهاباً ولا عنفاً بل سلاحاً بيد الضعيف في مقابل العدوّ الغاشم الذي احتلَّ أرضه وصادر حرياته وأمواله، فلم يجد محيصاً في إعادة سيادته غير التضحية بنفسه ونفيسه. كلّ ذلك يتمُّ تحت إشراف فقيه جامع للشرائط، عارف بالإسلام وأحكامه وسياساته وحدوده.

ونحن ندعو الله أن يوفق المؤلِّف ومن سار معه في هذا الطريق لما فيه صلاح الدنيا والآخرة، وأن يسدد خطاهم لبيان حقائق الإسلام ويأخذ بأيديهم ويجعلهم مصابيح للدرب إن شاء الله تعالى.

جعفر السبحاني

مؤسَّسة الإمام الصادق عليه السلام

٢٥شهر صفر المظفَّر ١٤٢٩ هـ

مقدّمة المؤلّف:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلوة والسلام على مولانا محمّد وآله الطاهرين.

ما أبغي بيانه في هذه العجالة كمقدّمة للكتاب مطلبان:

الأوّل: الحوافز إلى اختيار هذا العنوان (الإرهاب والعنف).

الثاني: إعطاء صورة إجماليّة للقارئ عن تشكيلة الكتاب.

والحوافز الّتي حدت بي إلى اختيار العنوان شيئان:

الأوّل: المساهمة في الدّفاع عن الصّورة النقيّة للإسلام، الحنيف في مقابل هجمات الصّهاينة والصليبيّن الذين يرمونه بالإرهاب والعنف.

وموقف اليهود والنّصارى من الإسلام، وإن لم يكن حديثاً، فإنّهم منذ بزوغ فجره، كرّسوا جهودهم لمقارعته بكلّ ما أوتوا من قوّة وحيلة عسكريّة واقتصاديّة وثقافيّة، ولم يألوا جهداً في هذا المسير حتّى بالتنسيق والتعاون مع المشركين والمنافقين. وكان هدف كلّ المحاولات إيقاف الإسلام عن التّحرك وإرجاع المسلمين إلى الدّيانات والملل الأخرى.

كما قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[البقرة: ١٢٠].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وهذا هو الحلم الكبير الذي كان يحلم به المشركون والمتمرِّدون من أهل الكتاب. ولا يتحقَّق هذا الحلم إلّا بإطاعة المسلمين لهم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٠]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٩].

ولمّا ضرب الإسلام بجرانه وخابت آمال أعدائه من أن ينهار بمؤامراتهم العسكريّة، انعقدت آمالهم مرّة أخرى لمقارعة الإسلام من خلال إلقاء الشبهات وطرح الإشاعات الكاذبة وإعطاء الصور المزيّفة حوله بغية انهيار معنويات أتباعه من مواصلة الدّرب، وتعتيم الأجواء على غير المسلمين حتّى لايحدّثوا أنفسهم بالفحص عن حقيقة الإسلام، فإنّ الفحص عنه يورث معرفته واعتناقه على الأغلب.

وكان رأس حربة الافتراء على الإسلام هو أنّه دين السّيف والقتال، وأنّه إنّما انتصر على أعدائه بالقهر والغلبة، وتمكَّن من كسب مواليه بالفرض والإكراه.

وكان الصليبيّون ومن بعدهم الصهاينة الذين لطّخوا كلَّ شبر من الأرض بدماء الأبرياء، هم حملة تلك الحرب النفسيّة الشّعواء على طول التّاريخ. وقد ملؤوا الكتب والأسفار ودوائر المعارف والمجلّات بإلصاق تلك التّهمة بذلك الدّين.

وهذه نماذج منها، ذكرها مؤلِّف كتاب (الإسلام في قفص الاتهام)[1]، عن ألسنتهم وأقلامهم:

أ ـ (يتحتّم على المسلم أن يعلن العداوة لغير المسلمين حيث وجدهم، لأنَّ

---

(١) الدكتور شوقي أبو خليل، الإسلام في قفص الاتهام، دمشق، دار الفكر، عام ١٩٩٢م ـ ١٤٢٠ هـ. ص ٩٢ ـ ٩٣.

محاربة غير المسلمين واجب ديني)[١].

ب ـ (من الثابت أنّ الإسلام لم يكن يصادف نجاحاً إلّا عندما كان يهدف إلى الغزو)[٢].

ج ـ ويرجع كلٌّ من (مور) و(غيتاني): (ازدياد عدد المؤمنين الى الانتصارات العسكريّة وإكراه الناس على الدعوة الموجودة في تعاليم الإسلام)[٣].

د ـ (وأخضع سيفُ الإسلام شعوب أفريقية وآسية شعباً بعد شعب)[٤].

هـ ـ (إنّ تاريخ الإسلام كان سلسلة مخيفة من سفك الدّماء والحروب والمذابح)[٥].

و ـ (في القرن السابع للميلاد برز في الشرق عدوٌّ جديد، ذلك هو الإسلام الذي أسّس على القوّة، وقام على أشد أنواع التّعصّب، لقد وضع محمّد السّيف في أيدي الّذين اتّبعوه. وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق، ثمَّ سمح لأتباعه بالفجور والسلب، ووعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذّات)[٦].

ز ـ (وقد أمر محمّد أتباعه أنّ يحملوا العالم كلَّه على الإسلام بالسيف إذا اقتضت الضرورة)[٧].

ح ـ (إنّ هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوّة وقالوا للنّاس: (أسلموا أو

---

(١) راجع كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٧٨.
(2) راجع Muir 2 col ، Iv ، pp. 88 _ 107 :و. Caetanl vol ، 1 p. 663. وفردريك دينسونموريس في the Religions of the Word P. 28 (Cambridge ، 1852):
(٣) الدعوة إلى الإسلام ص٢٨.The Religions of the world P:٩٦٤ (Cambridge، ١٨٥٢)
(٤) التبشير والاستعمار ص ٤١. عن Islam and Missicn: 34 .
(٥) هذا كلام: لطفي ليفونبان٩ Levenian ..
(٦)البحث عن الدين الحقيقي، المنسينور كولي، ط ٦/ ١٩٢ ص ٢٢٠.
(٧) تاريخ محاضرات ، إيزاك ج١ / ٣٢..

موتوا). (بينما أتباع المسيح ربحوا النفوس ببرّهم وإحسانهم)[١].

نعم إنّ موقف اليهود والنّصارى، وإن كان قديماً كما بيّنّا، إلّا أنّهم اتّخذوا في هذا الزّمان شعاراً جديداً وتَقَمَّصُوا ثوباً حديثاً، وهو ثوب حقوق الإنسان، واتّخذوا شعاراً عصريّاً وهو: مكافحة الإرهاب والعنف، ووصفوا المسلمين بأنّهم يقومون بهذا الأسلوب تبعاً لتعاليم دينهم الإسلامي الّتي ظهرت في القرآن والسّنّة.

ومن الطّريف جدّاً أنّه يقوم بهذه الحملة الشرسة الشعواء أصحاب أقسى وأعتى الأنظمة المستكبرة الّتي بنيت على أساس الإرهاب والعنف، ألا وهم قادة الولايات المتحدة الأمريكيّة والصهاينة ومن حالفهم من الدول الاستعماريّة الغربيّة كبريطانيا وأضرابها، الذين لم يمرّ على جرائمهم أكثر من ستين سنة في قصف ناكازاكي وهيروشيما بالقنابل الذريّة، وتشريد أهالي الشعب الفلسطيني من دياره والفتك بهم وغصب أراضيهم، وتأسيس النظام اللّامشروع الصهيوني في أرض فلسطين من خلال العصابات الإرهابيّة والأساليب العنيفة، ناهيك عن سوابقهم في استعمار الشعوب المضطهدة في القرون الأخيرة. وإنما يكيلون تلك التهم للّذين قاموا بالحركات التحرّريّة في فلسطين ولبنان ومَنْ ساندهم ودعمهم من المسلمين كإيران، وسوريا بالإرهاب والعنف!

ومن هذا المنطلق صنعوا جريمة ١١ سبتامبر عام ٢٠٠١م ـ وبتلك الذريعة احتلُّوا أفغانستان والعراق، واليوم يهدّدون سائر البلدان الإسلاميّة بالاحتلال.

وهذا لعمري من أقبح المهازل التاريخيّة في القرن الواحد والعشرين!

وحيث أصبح اليوم البحث عن الإرهاب والعنف، بسبب تلك الحوادث حديث العصر، وأضحت أقلام الأعداء والأصدقاء تخوض في موضوع موقف

---

(١) تاريخ فرنسا، هـ. غيومان وف. لوسيتر. ص ٨٢ ـ ٨٣ (وكان يُدرس في لبنان).

الإسلام من الإرهاب والعنف وتقدّم كلّ رطب ويابس في هذا المجال، أحسَسْتُ بأنّ التكليف الشّرعيّ يفرض علينا الدخول في هذا المضمار لعرض ما نعرفه من موقف الإسلام والمسلمين من هذه المسألة، بغية المساهمة في الذود عن حياض الإسلام المترعة بالماء المعين لإرواء البشريّة الظمأى، بقدر الإمكان والبضاعة، العلميّة المزجاة.

هذا هو الحافز الأوّل الذي حدا بي إلى اختيار هذا العنوان.

والحافز الثاني: هو أنّا نعتقد أنّ الإسلام جاء بأطروحة كاملة وكافلة لتأمين السعادة الحقيقيّة للبشر. وهذه الأُطروحة لها ثلاثة أركان:

الأول: المعارف والعقائد.

الثاني: الأخلاق.

الثالث: الفقه.

والفقه لاينحصر بأبواب العبادات من الصلاة والصيام والحجّ وما إلى ذلك، بل يتكفّل بجميع الأبعاد المختلفة لحياة البشر، ومن أهمها البعد السياسي، ويمكن أن يُطلق على الفقه المتكفّل بهذا الجانب، الفقه السّياسيّ.

والفقه السّياسيّ كان قد عُني به الفقهاء في العصور الّتي تشكّلت فيه الحكومات على الأسس الدينيّة، وأصبح في زماننا المعاصر شبه مهجور في ما بين المسلمين.

ولكن ببركة اليقظة الإسلاميّة الّتي عمّت المسلمين في القرن الأخير انصبَّت توجّهات الإسلاميّن، خاصّة الشّبيبة منهم بشكل منقطع النّظير، على التفتيش عن مصادر الفقه السّياسيّ. ومن حسن الحظّ أنّ الموسوعات الفقهيّة الّتي قام بتصنيفها فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام الذين استقوا آراءهم من المنهل العذب، ألا وهو القرآن وسنَّة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، تحتوي على ثروة فكريّة هائلة، لو قدّر للمفكّرين الإسلاميّين الرّجوع إليها والاستقاء منها،

لتمكّنوا من أن يعرضوا أطروحة كاملة وجامعة للنظام السّياسيّ الإسلامي الذي بإمكانه أنّ يقوم بالإجابة عن متطلّبات هذا العصر ومقتضياته، بل كلّ العصور في جميع الأصقاع. وإذا قدّر لهم الرّجوع إلى ذلك التراث العلمي النبيل، لا يجدون داعياً إلى الانبهار أمام الثقافة البشريّة الغربيّة والانجراف بتيّاراتها.

وإنّهم، مع اكتشاف تلك الروافد الفقهيّة، بإمكانهم أن يستقلّوا أمام العالم، بل بإمكانهم أن يتحدَّوْا الثقافة البشريّة المعاصرة، ويرفعوا علم استقلال الإسلام بكلّ عزّة وفخار. ولكن من المؤسف أنّ كثيراً من أبناء أهل السّنّة لايشعرون بتلك الثروة الفكريّة الهائلة. وهذا ما يحتم على علماء مدرسة أهل البيت أن يُشمِّروا عن سواعد الجدّ لكشف النّقاب عن ذلك الواقع بأسلوب علميّ رصين.

ومن المناسب هنا أن أشير إلى خاطرة أوّل لقاء لي مع القائد المظفَّر لحزب الله لبنان سماحة السيّد حسن نصر الله وما ذكره خلال حديثه إليّ حول القضايا الفكريّة الإسلاميّة.

حدث اللّقاء في بيروت في شهر صفر ١٤٢٣هـ (عام ٢٠٠٢)، ومن جملة ما قاله:

إنّ الشبيبة الشّيعية في حالة فقر بالنسبة إلى الفقه السّياسيّ الإماميّ، فإنّ الموسوعات الفقهيّة وإنْ تضمّنت تلك الأبحاث، إلّا أنّها ليست في متناول الشبان، وهم لايفهمون لغتها. فنطلب من علماء الحوزة العلميّة أن يقدّموا لشبيبتنا الفقه السياسيّ الإماميّ بلغة العصر حتّى يستضيئوا بمصابيح تلك التعاليم في حركتهم السياسيّة.

وأمّا الشّبيبة الثوريّة السّنيّة فهم في حالة قحط، ومتلهّفون إلى فهم الفقه السّياسي الإمامي. وهذا هو أفضل طريق لتعريف أهل البيت إليهم، فإنّهم من خلال معرفتهم لفقههم يتوصّلون إلى عمق أحقيّتهم.

وهذا النداء جلب انتباهي جدّاً إلى أهميّة الموضوع. وعند رجوعي إلى إيران، طرحت الفكرة على بعض أساتذتي فرحّبوا بها. وأنا بدوري قمت، استجابة لذلك النداء، بتأليف كتاب في هذا المضمار حول ولاية الفقيه الذي كنت قد نشرته بشكل موجز بالفارسيّة، فأضفت إليه بعض المطالب ودوّنته باللغة العربيّة وأسميته (ولاية الفقيه، تاريخها ومبانيها).

وفي سفرتي الثانية إلى لبنان وفي اللّقاء الثاني بحضرة السيّد حسن حفظه الله، عرضت عليه الكتاب فرحّب به، وقال: **إنّه يحلّ لنا كثيراً من الشبهات المطروحة هنا حول المسألة**. فطُبع هناك ولله الحمد.

وفي تلك السّفرة كانت لي برامج في فضائيّة المنار حول مواضيع شتى، ومنها الإرهاب والعنف الذي كان حديث الساعة بسبب ما أَلَمَّ بالعالم من حوادث إثر واقعة (١١ سبتامبر)، وبعد عودتي إلى إيران صمّمت على أن أقوم بتأليف كتاب حول هذه المسألة حيث إنّه يعتبر من مسائل الفقه السّياسيّ بالذّات، استجابة لذلك الطّلب وتلك الضرورة. وقد استشرت في ذلك عدّة من أساتذتي الفقهاء، على رأسهم الفقيه الكبير آية الله العظمى الشيخ جعفر السبحاني، وسماحة العلّامة المغفور له آية الله الشيخ هادي معرفة رضوان الله عليه، فرحّبوا بتلك الفكرة وغمروني بإرشاداتهم وألطافهم فجزاهم الله عن الإسلام خيراً.

هذا كلّه ما يرتبط بالمطلب الأوّل.

وأما المطلب الثاني: أي تشكيلة الكتاب:

فإنَّه يتشكّل من:

أ ـ بحوث تمهيديّة حول مواضيع من قبيل: الإرهاب والعنف في اللغة والمصطلح المعاصر، والأخلاق، والقانون والسياسة.

ثمّ بحثت حول الإرهاب والعنف في الغرب المعاصر ونقد نظريّة التساهل

والتسامح الغربيّة، وبعد ذلك تعرَّضت إلى وضع الإرهاب والعنف في تاريخ الإسلام قديماً وحديثاً، أي ماجرى في أرض الواقع عند المسلمين، بغضِّ النظر عن موقف الإسلام منهما. وقسّمت ذلك إلى صنفين:

الأوَّل منهما : الإرهاب اللّامشروع، سواء كان في مجال الحكومات أو الحركات كحركة الخوارج والقرامطة والحركة السلفيّة في القرون الأخيرة بدءاً من الوهّابيّة في القرن الثاني عشر الهجري وانتهاءً بحركة القاعدة في القرن الخامس عشر.

والصّنف الثاني: هو العنف المشروع المتمثّل في الحركات الإسلاميّة التّحرريّة في وجه الاستعمار في البلدان المسلمة في القرون الأخيرة وما يجري في الساحة حالياً في لبنان وفلسطين.

والصّبغة الغالبة على هذه البحوث تاريخيّة بطبيعة الحال.

ب ـ ما يشكّل صلب الكتاب، وهو بحث إجمالي حول الأصل الأوّلي في الإسلام، وإنّه هو السّلم وعدم شرعيّة الإرهاب والعنف إلّا ما خرج بالدّليل. والموارد المستثناة من ذلك الأصل الأوَّلي تعتبر حالات طارئة شرّع الإسلام فيها العنف للضرورات الحتميّة التي تقتضي ذلك وهي الجهاد، والحدود والتعزيرات، والقِصاص، وبعض مراتب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

ويقع البحث التفصيلي في بابين: أوَّلهما إثبات ذلك الأصل الأوَّلي في ضوء الآيات القرآنية والسّنّة الشريفة. والصبغة الغالبة في ذلك هو البحث التفسيري القرآني وفقه الحديث.

والباب الثاني حول الموارد المستثناة من ذلك الأصل، وهو بحث فقهي مقارن، أي بالمقارنة ما بين الفقه الإمامي والفقه السّنّي، وهو من أهمّ البحوث الفقهيّة السّياسيّة بطبيعة الحال.

ج ـ خاتمة المطاف: وهو البحث حول الإمامة والقيادة في النظام السياسي الإسلامي في ضوء المدرستين (مدرسة أهل البيت ومدرسة الخلفاء) وأزمة القيادة الإسلاميّة في هذا الزمان، ويطغى عليه الأسلوب الكلامي والفقهي كما هو واضح. وهذه الخاتمة تعتبر بحثاً استطرادياً يتناسب مع البحوث الفقهيّة في الباب الثاني، كما يعتبر مكمّلاً للفقه السّياسيّ الذي نحن بصدده في هذا الكتاب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمّد وآله الطّاهرين.

محسن الحيدري
ممثّل أهالي خوزستان في مجلس خبراء القيادة
وإمام الجمعة الموقّت والمدرّس
في الحوزة العلميّة بالأهواز
٤/ شوال / ١٤٢٨ ـ الأهواز ـ إيران

المحور الأول:

تعريف الإرهاب والعنف

يلزم معالجة تعريف الإرهاب والعنف في نقطتين:

الأولى في اللغة والثانية في الاصطلاح.

النقطة الأولى: الإرهاب والعنف في اللغة.

الإرهاب: أمّا الإرهاب فهو إفعال يستعمل للتّعدية في مادّة الرُّهب والرَّهبة.

والرَّهبة من رَهِبَ يَرهَبُ رَهبَةً ورُهْباً بالضّم ورَهَباً بالتّحريك، أي خاف[1]. وجعل ابن فارس للمادّة أصلين أحدهما يدلّ على خوف والآخر على دقّة وخِفّةً. فالأوّل الرّهبة: تقول رَهِبْتُ الشيء رُهباً ورَهَباً ورَهبَةً. والرَهَب: التعبّد. ومن الباب الإرهاب وهو قدع الإبل من الحوض وذِيادُها.[2]

والأصل الآخر: الرَّهْب: الناقة المهزولة. والرِّهاب: الرّقاق من النّصال. والرَّهاب: عظمٌ في الصّدر ـ مشرف على البطن مثل اللّسان[3].

فالرُّهب والرّهبة، بناءً على ما ذكره أكثر اللغويّ، يدلان على مطلق الخوف إذ الكلمتان مترادفتان. إلّا أنّ بعضهم ذكر قيوداً للكلمة مثل التّحرّز والاضطراب أو طول الخوف والاستمرار. وهذه القيود هي التي تشكل الفارق بين الكلمتين.

---

(١) لسان العرب، ابن منظور مادّة رهب ـ القاموس المحيط للفيروزآبادي ـ المصباح المنير للفيومي العين للخليل بن أحمد.

(٢) أي كَفُّها وطردُها.

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس ج ٢ ص ٤٤٨.

قال أبو هلال العسكري: الفرق بين الخوف والرَّهبة أنّ الرهبة طول الخوف واستمراره، ومن ثمَّ قيل للراهب راهب لأنّه يديم الخوف، وأصله من قولهم جَمَل رهب إذا كان عريض العظام مشبوح الخلق، والرّهابة، العظم الذي على رأس المعدة، ترجع إلى هذا(١).

وقال الرّاغب: الرَّهبَة والرُّهب مخافة مع تحرّز واضطراب، والرَّهب التعبد وهو استعمال الرَّهبة، والرهبانيَّة غلوّ في تحمل التّعبد من فرط الرّهبة. والإرهاب فزع الإبل وإنّما هو من أرهبتُ(٢).

وقال الزمخشري: وأرهبتُه ورهّبتُه واسترهبتُه: أزعجت نفسه بالإخافة. وتقول يقشعرُّ الإهاب إذا وقع منه الإرهاب(٣).

وعلى هذا الأساس قال بعض المحقّقين في أصل هذه الكلمة وفرقها عن الخوف: والتحقيق أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الخوف المستمرّ المستديم وأنَّ الخوف ضدّ الأمن، والرّهب ضدّ الرغبة والأنس ضدّ الوحشة ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء:٩٠] أي ويدعوننا على الرغبة والرهبة. هذا التعبير يدلّ على تقابلهما.

وإيّاي فارهبون، لربّهم يرهبون أي مستمرّون في حالة الخوف من الله العزيز المتعال، فهذه الحالة توجب ورعاً وتقوى لهم.

وإذا أُريد التعدية: تستعمل من الإفعال أو التفعيل ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[الأنفال:٦٠]. أي: تلقون في قلوبهم الرّعب المستمرّ حتّى لايتعرّضوا للمسلمين. وإذا أُريد الطلب ويراد رهب الآخرين: فتستعمل من الاستفعال كما في: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦] أرادوا رَهَب الناس وطلبوا

---

(١) الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري ص ٢٠٠، منشورات مكتبة بصيرتي، قُم.

(٢)المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني ص ٢٠٤.

(٣) أساس البلاغة للزمخشري طبع مصر ١٩٦٠م.

رهبتهم.

والرهبانية تدلّ على تأكّد الرَّهب وشدّته وذلك بزيادة المبنى واللفظ ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد: ٢٧]. أي وترهّباً شديداً ابتدعوه من عندهم، من دون أن يأخذوا خصوصية الرَّهبانية وشرائطها وآدابها من نبيّ أو دين محكم، إلى أن قال:

وأمّا الانقطاع للعبادة والدّقة والخفّة والهُزال والتحرُّز والإضطراب وغيرها فمن آثار الخوف المستديم[1].

النقطة الثانية: الإرهاب في المصطلح المعاصر

ما مرّ من معنى الإرهاب هو الموجود في كتب اللغة القديمة والنصوص الدينيّة. وأمّا الكلمة حينما تطلق في الحال الحاضر سواء في الأندية أو الإذاعات والصّحف فإنّها تنصرف إلى معنى خاصّ، لا مطلق الخوف، وهو استعمال العنف السّياسيّ من أجل المقاصد السّياسيّة. وله مصاديق من قبيل اغتيال الشخصيّات السّياسيّة والاجتماعيّة، واختطاف الطّائرات، واحتجاز الرّهائن وتفجير المنشآت الاقتصاديّة وما شابه ذلك من أجل الضّغط على جهة معيّنة كالأنظمة الحاكمة أو الانتفاضات الشعبيّة أو الدّول الأخرى.

والإرهابي هو الذي يقوم بتلك العمليّات.

يقول الأب لويس معلوف: (الإرهابي من يلجأ إلى الإرهاب لإقامة سلطته. والحكم الإرهابي: نوع من الحكم يقوم على الإرهاب والعنف، تعمد إليه حكومات أو جماعات ثوريّة)[2].

وقال أحد اللّغويين المعاصرين في شرح كلمة (تِرّورْ) الّتي تعني الإرهاب: (ترُور) أصلها فرنسيّة (Terreur) بمعنى القتل السّياسيّ بالأسلحة. وهذه الكلمة متداولة في الفارسيّة، ويستعمل العرب المعاصرون كلمة الإرهاب بدل كلمة

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، للسيّد حسن المصطفوي ج٤ / ٢٤٠-٢٤٢.
(٢) المنجد، مادّة رهب.

(ترور) والكلمة في فرنسا جاءت بمعنى الوحشة والخوف. وحكومة الإرهاب (ترور) هي أصول الحكومة الثوريّة التي استقرّت في فرنسا منذ ٣١ مايو ١٧٩٣ إلى ١٧٩٤م، بعد سقوط الجيروندنيّن، وكانت تشتمل على الإعدامات السّياسيّة الكثيرة[١].

وقال أحد الكتّاب في أحد المعاجم السّياسيّة في تفسير كلمة (Terrorism): ترور في اللغة الفرنسيّة بمعنى الخوف والإخافة.

وتُطلق الكلمة في عالم السّياسة على أعمال العنف غير القانونيّة للحكومات من أجل قمع المخالفين وإخافتهم، وكذلك تُطلق على أعمال المنظّمات المناضلة التي تمارس أعمال العنف من أجل الوصول إلى الأهداف السّياسيّة. وهذا الأسلوب هو أسلوب الفوضويين، ومارسته بعض الفئاتٍ الثوريّة في روسيا القيصريّة. ولذلك تطلق الكلمة على المجازر السّياسيّة. وأُطلقت الكلمة على حكومة فرنسة في عامي ١٧٩٣ـ ١٧٩٤. ففي تلك الفترة حشّت رقاب الآلاف بالمقاصل، كما ظهرت في إيران بعد عصر المشروطة عصابات يساريّة أو يمينيّة اتّخذت هذا الأسلوب في اغتيال الشّخصيّات السّياسيّة. وأمّا في إيران والشرق الإسلامي فالفرقة الّتي اتّخذت أسلوب الإرهاب والاغتيال كأسلوب دائم هي الفرقة الإسماعيليّة أو أتباع الحسن الصّباح، الذين ألقت اغتيالاتهم الرعب في قلوب الجميع ومنهم الصليبيون بحيث يسمّى القاتل في الألسنة الأوروبيّة إلى الآن بـ (أساسين (assassin)والظاهر أنّ أصل الكلمة هو (الحشّاشون)[٢].

وعلى أيّ حال فالإرهاب، لغةً، إمّا بمعنى مطلق الإخافة وتخويف الآخرين، أو بمعنى إيجاد حالة الخوف المستمرّ والفزع والاضطراب في نفوس الآخرين. وفي اصطلاح المعاصرين هو استعمال العنف في سبيل الأهداف السّياسيّة.

---

(١) لغت نامه دهخدا، مادّة ترور.

(٢) دانشنامه سياسي، داريوش آشوري ص ٩٨ ـ ٩٩ ط: انتشارات مرواريد، تهران،١٣٧٣ ش.

العنف:

وأمّا العُنف ـ مثلّث حركة العين ـ فهو مصدر بمعنى الخُرق بالأمر وقلّة الرفق به، وهو ضدُّ الرفق. عَنُفَ به وعليه يعنُفُ عُنفاً وعَنافةً وأعْنَفَه، وعنّفَه تعنيفاً، وهو عنيفٌ إذا لم يكن رفيقاً في أمره. واعتنف الأمر: أخذه بعنف، وفي الحديث: إنّ الله تعالى يُعطي على الرّفق ما لا يعطي على العنف وهو، بالضمّ، الشّدّة والمشقّة، وأعنف الشّيء أخذه بشدّة، واعتنف الشّيء: كرهه، ووجد له عليه مشقّة وعُنفاً. والتعنيف: التّعيير واللّوم[1].

فالمستفاد من كتب اللغة أنّ العُنف يرادف الشّدَّة والغلظة والصعوبة ويُضادُّ الرّفق والسهولة والرخاوة، وإن كان بين هذه المترادفات والمتضادات فوارق دقيقة ذكرها المعنيّون بفقه اللّغة.

وقد يراد بالعنف خصوص الغلظة للإيذاء والظّلم، وحينئذٍ لايطلق على مثلِضرب المربّي والمؤدِّب للمتربّي والمتأدّب من أجل تأديبه وتربيته. وكذلك لايطلق العنف على مثل العقوبات القانونيّة، ولا الدّفاع عن حريم الشّخص والبلد وغير ذلك من الحقوق المشروعة.

ولكنّ المراد، على الأغلب كما في لغة العصر والحوار السياسي، هو المعنى اللغوي، أي الغلظة المطلقة، والمقصود هنا هو هذا المعنى اللغوي العامّ.

وحينما يراد المعنى اللغوي للإرهاب والعنف يمكن تصنيفهما إلى قسمين من حيث الشرعيّة وعدمها، فيقال: الإرهاب والعنف الشرعيان والإرهاب والعنف اللّاشرعيّان.

---

(١) راجع: معجم مقاييس اللغة ج ٤ / ٥٨ ـ العين، للخليل بن أحمد ـ لسان العرب لابن منظور ـ مجمع البحرين للطريحي ـ القاموس المحيط للفيروزآبادي ـ الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ـ المصباح المنير للفيومي و...

المحور الثاني:

الإرهاب والعنف في العلوم الإنسانيَّة

يمكن معالجة هذا المحور في عدَّة نقاط:

النقطة الأولى: الإرهاب والعنف في علم النفس

الإرهاب والعنف ـ سواء قلنا بأنهما غير مشروعين مطلقاً، أو قلنا مشروعيتهما في بعض الموارد، وهي التي يجوّزها قانون الشرع والعقل ـ كسائر الأفعال الّتي تصدر عن الإنسان لابدّ أن تكون لهما دوافع نفسيّة وممهّدات طبيعيّة، وهي الغرائز والعواطف الإنسانيّة الكامنة في نفس الإنسان. فمثلاً غريزة صيانة النّفس هي الّتي تحرّك الإنسان للدّفاع المشروع واستعمال القوّة والعنف لصدّ هجوم العدوّ المباغت على نفس الإنسان أو دينه أو شرفه وعرضه أو وطنه.

وغريزة الاستعلاء هي الّتي تحرّك الذين يحملون روح التّكبّر على الآخرين وفرض السّيطرة عليهم بأن يقوموا بأعمال إرهابيّة واستعمال العنف لإرغام آنافهم.

كما أنّ مرض الهيستريا أو الساديّة (التلذُّذ بالقسوة) يمكن أن يكون حافزاً للمصابين بذلك المرض النفسيّ على القيام بالأعمال الإرهابيّة. وهذا المرض هو نتيجة العقد النفسيّة والاحَن الكامنة في النفس بسبب الحرمان والاحتقار اللّذين يواجهُهما الشّخص من حين طفولته وشبابه، وإذا لم يجد له علاجاً مناسباً يبرز

ذلك المرض بحبّ إيذاء الآخرين وممارسة العنف والقسوة معهم. ومطالعة حياة السّفّاحين، قديماً وحديثاً، أكبر برهان وشاهد على وجود الأمراض الرّوحيّة الّتي يمكن أن يعبّر عنها بشهوة الدَّم في تلكم الأفراد. فهذا الحجّاج بن يوسف الثّقفي الذي قام بأبشع الجرائم وأصبحت مجازره مضرب الأمثال في تاريخ الإرهاب والعنف من أجل تثبيت الحكم الطّاغوتي لبني أميّة، يعترف للخليفة الأمويّ عبد الملك ابن مروان في بداية تقرّبه من الخليفة حينما سأله يوماً: (كل امرىء يعرف عيوب نفسه، فعب نفسك ولاتُخفِ عنّي شيئاً). تمالك الحجّاج نفسه وقال لعبد الملك: (أنا لجوج حقود حسود)؛ ومتى كانت هذه الصفات في متسلّط أهلك الحرث والنسل،إلّا أن يدين له الناس ويذلّوا.

وحينما تدهور أمر العراق على عبدالملك بن مروان، وانتدب جلاوزته للقضاء على الثائرين في ذلك البلد، أجابه الحجّاج قائلاً: (أنا لها يا أميرالمؤمنين). فقال له من أنت ؟ فقال: (أنا من تدين الرقاب لحسامه، وتذلّ الرجال لسنانه... أنا الشّيطان الذي لايُبقي ولايذَر). فأمّره الخليفة على العراق وأمر بمنحه ما يشاء حتى ينهي الفتنة[1].

هذا كلّه ما يرتبط بنفس القائمين بعمليّات الإرهاب والعنف. وأمّا ضحايا الإرهاب فهم، غالباً، يعيشون في قلق دائم واضطراب مستمرّ بسبب ما يجدونه في أنفسهم من الخوف وهيجان هذه العاطفة أو الغريزة. وهذا الواقع هو الحافزللإرهابييّن لكي يقوموا بأعمالهم. فإنّهم لو علموا بعدم اكتراث الضحايا بذلك، لقلّ ولع الإرهابيّين بأعمال العنف. إذ نفس حالة الخوف والاضطراب لها موضوعيّة فيأهدافهم. ومعلوم أنّ حالة الخوف هي مقتضى الغريزة والطّبيعة الإنسانيّة. وعلى أيّ حال فالإرهاب والعنف يحتلان مكانة مرموقة في الدراسات العلميّة عند المتخصِّصين في علوم النفس والاجتماع والقانون.

---

(١) شهوة الدّم، سيرة أشهر القتلة والسّفّاحين في العالم، ممدوح الزّوبي ص٢٢. ط دار الرشيد ـ دمشق ـ بيروت ١٤١٥ هـ.

وقد اهتمّ العلماء بالإجرام بشكل عامّ، مركّزين على الإجرام الجنائيّ أي: الجرائم التي يتمخّض عنها إيذاء جسديّ أو إزهاق الأرواح، وحاولوا وضع قواعد تميّز المجرمين بشكل عامّ. وكان على رأس هؤلاء الانثروبولوجي الفرنسي توبينار الذي ولد عام ١٨٧٩. لكنّ علم الإجرام دخل عصره العلميّ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على يدي الطبيب شيرازي لو ميروز ومبدع الانثروبولوجيا الجنائيّة، وكذلك أنريكو فري أستاذ القانون وعلم الاجتماع.

وبغضّ النّظر عن صحة هذه النّظريات أو عدمها، خاصَّة وأنها كانت بدايات دراسات جديدة لعلم الإجرام الجنائي، فإنّ هناك عوامل أخرى تساهم بشكل كبير في التكوين النفسيّ للمجرمين والسفاحين، وتلعب دوراً كبيراً في دفعهم نحو الإجرام. ومن أهمّ هذه الأسباب، التربية الخاطئة في الصغر، وانفصال الأبوين عن بعضهما، والّذي غالباً ما يؤدّي إلى رمي الأطفال على قارعة الطرقات.

وقد ظهرت مؤخّراً دراسات كثيرة تناولت الإجرام بأسلوب علميّ عميق ممّا أدّى إلى الحصول على نتائج أكثر دقّة من ذي قبل...

وتلعب الحياة العاطفيّة للأسرة تجاه أطفالها دوراً مهماً في السلوك النّفسي في المستقبل، ففي إحصائية أجراها الباحثان لشلدون والباتور جلوك عن صلة الأمومة والأبوَّة بالسلوك الإجرامي، تبيّن أنّ الحنان والعطف من الوالدين تجاه الأطفال يقلّل كثيراً من نسبة الجنوح والانحراف والتحوُّل إلى الإجرام[1].

النقطة الثانية: الإرهاب والعنف في علم الأخلاق

هذا كلّه حول الإرهاب والعنف في ضوء علم النفس، وأمّا تفسير هاتين الحالتين في ضوء علم الأخلاق فيتوقّف على معرفة القوى النفسيّة والفضائل والرذائل المرتبطة بها.

إنّ علماء الأخلاق قسّموا قوى النفس الناطقة إلى أربع شعب:

---

(١) شهوة الدَّم، ممدوح الزوبي ص ٨ـ ١٠

الأولى: العاقلة.

الثانية: العاملة.

الثالثة: الغضبيّة.

الرابعة: الشهويّة.

وإذا غلبت الأولى سائر القوى ولم تنفعل بها، كان تصرف كلّ منها على وجه الاعتدال وحصل تسالم القوى الأربع وتمازجها فيُهذَّبُ كلّ واحد منها، ويحصل له ما يخصّه من الفضيلة. فيحصل من تهذيب العاقلة العلم ويتبعه الحكمة، ومن تهذيب العاملة العدالة، ومن تهذيب الغضبيّة الشجاعة، ومن تهذيب الشهويّة العفّة. ولكلّ من الفضائل الأربع الرئيسيّة (الحكمة والعدالة والشجاعة والعفّة) طرفان من الإفراط والتفريط، تكمن الرذائل فيها وفي لوازمها. كما تتفرّع الفضائل على الفضائل الأربع الأصليّة. والإرهاب والعنف يقعان في القوّة الغضبيّة على حسب وجهة نظر الأخلاقيين.

فهذا المولى النراقي في غضون شرحه للقوى النفسيّة وفضائلها ورذائلها، يقول:

(وأمّا جنس الرذائل للقوَّة الغضبيّة، فأوَّلهما (التهوّر) وثانيهما (الجبن). وقد عرفت أنّ ضدَّهما من الفضيلة (الشجاعة). وأمّا الأنواع واللَّوازم والنتائج المترتبة عليها، فمنها (الخوف) وهو هيئة نفسانيّة مؤذية تحدث من توقع مكروه أوزوال مرغوب، وهو مذموم إلا ما كان لأجل المعصية والخيانة، أو من الله وعظمته، والمذموم من رذائل تلك القوَّة ومن نتائجها الجبنُ، وضدُّه الأمن، وهو الممدوح من فضائلها، لكونه مقتضى العقل وضده الأمن من مكره الله... إلى أن قال: ومنها (الغضب) وهو حركة نفسانيّة تُوجب حركة الروح من الدّاخل إلى الخارج للغلبة، وهو من باب الإفراط، وضده الحِلْم. ومنها (الانتقام) وهو من نتائج الغضب، وضدُّه العفو. ومنها (العنف) وهو أيضاً من نتائج الغضب،

وضدُّه الرفق. ومنها (سوء الخُلُق) بالمعنى الأخصّ، وهو أيضاً من نتائجه، وضدُّه (حسن الخُلُق) بالمعنى الأخصّ. ومنها (الحقد) وهو العداوة الكامنة أي إرادة الشّر وقصد زوال الخير عن المسلم، وهو أيضاً من ثمرات الغضب. ومنها (العداوة) الظاهرة، وضدها (النصيحة) أي ارادة الخير والصلاح ودفع الشّر والفساد عن عمل كلّ مسلم. ثمَّ للغضب والحقد لوازم هي الضرب والفحش واللعن والطعن...

إلى أن يقول: وأمّا الرذائل والفضائل المتعلّقة بالقوى الثلاث أو باثنتين منها: فمنها (الحسد) وضدُّه النصيحة. ومنها (الإيذاء والإهانة والاحتقار) وضده كف الأذى، والإكرام والتعظيم. والإيذاء قريب من الظلم بالمعنى الأخصّ أو هو أعم منه. وضدُّ الظلم بالمعنى الأخصّ العدالة بالمعنى الأخص. ومنها (إخافة المسلم وإدخال الكرب في قلبه) وضدُّهما إزالة الخوف والكرب عنه....)[1].

ما سلف من كلام النّراقي انما يختصُّ بالإرهاب والعنف غير المشروعين، وموقعهما من القوة الغضبيّة، وأنهما من رذائلها. ولاريب أنّ الإرهاب والعنف المشروعين كإرهاب الكفّار بإعدادِ المسلمين ما استطاعوا من قوّة ومن رباط الخيل لقوله تعالى:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، فليس من الرذائل بل هو من لوازم الشجاعة وأبرز مصاديق فضائلها. كما أنّ العنف الشرعي مثل تنفيذ الحدود الشّرعيّة فيمن يستحقّها كذلك.

النقطة الثالثة: الإرهاب والعنف في عالم السّياسة

الإرهاب والعنف السّياسيّ لاينفكّ عن مجال السّياسة قديماً وحديثاً على الأعمّ الأغلب. فإنّ رجال السّياسة يرون أنفسهم ـ حقّاً أو بغير حقّ ـ مضطرّين

(١) جامع السّعادات، العلّامة المولى محمّد مهدي النراقي المتوفى ١٢٠٩ ج ١ ص ١٠٣ ـ ١٠٦ ط مطبعة الآداب في النجف الأشرف ١٣٨٧، الطبعة الرابعة.

إلى استعمال العنف وإرهاب خصومهم من أجل تمشية مقاصدهم. وقلّما توجد ساحة سياسيّة لايستعمل فيها ذلك الأسلوب ولو بشكل خفيف من أشكاله كالإرهاب الإعلامي.

وهذا الواقع يُعدُّ من الأسباب التي حَدَت بالبعض الذين يرون الدين أسلوباً سلميّاً عارياً من أيّ عنف وغلظة، أن يقولوا بفصل الدّين عن السّياسة وأنّ للدّين رجالاً وللسّياسة رجالاً!

والإرهاب والعنف السّياسيّ يتّخذ أشكالاً مختلفة كاغتيال الشّخصيّات وحرب العصابات واختطاف الطّائرات واحتجاز الرّهائن وتفجير المباني والمنشآت الى شنّ الحروب والاعتداء السّافر بالصّواريخ وقنابل النابالم، وحتّى استعمال الأسلحة النّوويّة والتّدمير الشامل من قبل الدّول الكبرى خاصّة، كما أنّ الإرهاب قد تقوم به منظّمات سريّة أو علنيّة أو دول وأنظمة حاكمة.

والمنظَّمات الإرهابيّة قد تكون تابعة وممَوَّنة من قبل الدّول الكبرى وقد تكون مستقلّة تسعى من أجل تحرير بلادها من براثن المحتلّين واستقلالها عن المستعمرين.

والمنظَّمات السّريّة التابعة في زماننا الحاضر ـ قبل انتهاء الحرب الباردة بين الولايات المتّحدة والاتحاد السوفياتي ـ كانت إمّا تابعة للمعسكر الشرقي أو المعسكر الغربي.

يقول أحد المحقّقين في هذا الصّدد:

(أدّى سقوط الشيوعيّة، وتفكّك الاتحاد السوفياتي، إلى انكشاف ٨٠ مجموعة سياسيّة في آسيا وأفريقيا وأوروبا والشرق الأوسط، كانت تتخذ الإرهاب وسيلة لبلوغ أهدافها، وكانت تتمتّع بدعم وبتغطية الاتحاد السوفياتي والدول المنضوية تحت لوائه من أوروبة الشرقيَّة.

في عام ١٩٦٨ كان العالم يعرف ١٣ منظَّمة فقط تتوسَّل الإرهاب، وكانت هذه المنظّمات ذات طابع أيديولوجي في الأساس. ولكن في عام ١٩٩٠ ارتفع

العدد إلى ٨٥ منظَّمة، منها ٥٨ منظَّمة قوميّة تسعى للانفصال، و١٢ منظَّمة دينيّة و١٥ منظَّمة أيديولوجيّة.

وبوقوع المتغيّرات الدوليّة التي أنهت الحرب الباردة، والّتي نقلت موسكو وواشنطن من خندقين متقابلين إلى خندق واحد ضدَّ الإرهاب والعنف السياسيّ، وبانكشاف كلّ هذه المنظّمات لأجهزة الاستخبارات الّتي كانت تطاردها، وبتخلّي الأجهزة الّتي كانت تحميها عنها، بدأت هذه المنظّمات تتداعى وتذوب في حرارة ما بعد الحرب الباردة.

إلّا أنَّ ذلك لايعنى أنَّ العنف سقط كأحد أساليب التعبير عن الموقف السّياسي والمبدئيّ أو العقيدي)[١].

(١) الإرهاب والعنف السياسي، محمّد السّماك ص ٢٧ ـ ٢٩. ط دار النفائس بيروت، ١٩٩٢م.

أنواع الإرهاب في عالم السياسة

ثم إنّ الإرهاب الدارج في الميادين السّياسيّة على أنواع:

١ ـ الإرهاب ضدّ نظام ديكتاتوري قائم بهدف الإطاحة به وإحلال نظام آخر محلَّه.

٢ ـ الإرهاب ضدَّ نظام شعبيّ مستند إلى شرعيّة ومكانة اجتماعيّة بهدف الإطاحة به وإحلال نظام جديد محله.

٣ ـ الإرهاب الذي تلجأ إليه الثورات بعد وصولها إلى السّلطة في عمليّة تصفية آثار العهد السّابق وتدمير مرتكزاته.

٤ ـ الإرهاب الذي تلجأ إليه بعض الثورات حينما ينفذ فيها الانتهازيّون لإلتهام أبنائها لدى اقتسام غنائم النّصر.

٥ ـ الإرهاب الذي تمارسه الشّعوب المستضعفة الّتي تحتلّ بلادها قوىً استعماريّة أو مدعومة من قبل الاستعمار لفرض السيطرة واستنزاف خيراتها وتشريد أهاليها من أرضهم المغتصبة. وتضطرّ تلك الشّعوب إلى تنظيم منظّمات تحريريّة، كالحرب الّتي شنّها الجزائريّون ضدّ الاستعمار الفرنسي، والحرب التي شنها الفيتناميّون ضدَّ الاحتلال الأمريكي، وكالانتفاضة الفلسطينيّة بما فيها من منظَّمة التحرير وحماس ومنظّمة الجهاد الإسلاميّ وما شاكله، والمقاومة الإسلاميّة في جنوب لبنان ضدَّ الاحتلال الإسرائيليّ.

٦ ـ الإرهاب وأعمال العنف التي تقوم بها السّلطات والدّول المحتلّة لكبت الشعوب وقمع الحركات التحريريّة الثائرة لطلب الحريّة والاستقلال وإقامة العدل.

٧ ـ الإرهاب الذي تقوم به الدّول المعتدية على الدّول والبلاد الأخرى

المجاورة وغيرالمجاورة في سبيل الأطماع التّوسُّعيّة بحجج وذرائع واهية، كما تمارسه اليوم أميركا في حقّ بعض البلدان الإسلاميّة. ومثل الحرب الّتي شنّها الحزب البعثي العراقي ضدَّ الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، أو الغزو العراقي للكويت وما شاكل ذلك.

٨ ـ الإرهاب واستخدام العنف الذي تقوم به الدّول والشّعوب المعتدى عليها دفاعاً عن كرامتها وطرداً للمعتدي من أرضها، كالدفاع المقدّس الذي قام به الشعب المسلم الإيراني ضدَّ صدّام ومرتزقته البعثيّين المعتدين منذ عام ١٩٨٠ الى ١٩٨٨م.

النقطة الرابعة: موقف القانون والحقوق من الإرهاب والعنف

لاشكّ أنّ كثيراً من أنواع الإرهاب والأعمال التعسُّفيّة والمجازر الّتي تمارس في مجال السّياسة تعتبر جرائم ومظالم سافرة لدى القانون والحقوق الوضعيّة البشريّة فضلاً عن شريعة السّماء.

فهذا المنشور لحقوق الإنسان يصرّح بحريّة كلّ إنسان وإدانة أيّ اعتداء على كرامة أيّ إنسان فرداً كان أو جماعة.

ولكن يا ترى، هل يمكن الحكم على جميع أنواع الإرهاب واستعمال العنف بهذا الشكل، فتعتبر جميع تلك الأنواع والأشكال جرائم ؟ الحقّ هو القول بالتفصيل. وهذا ماتبنّته الاتفاقيّات والمواثيق والقرارات التي نصّت عليها الأمم المتّحدة. فإنّ الدفاع الشّرعيّ الذي يمارسه الإنسان المعتدى عليه أو الشّعب المضطهّد ضدَّ العدوّ المعتدي يعدّ حقّاً أو واجباً أو مباحاً ومرخّصاً فيه على الأقلّ لدى كلّ القوانين البشريّة فضلاً عن الشّرايع الدينيّة.

الدفاع الشّخصيّ في القانون:

أمّا في مجال الدفاع الشّخصيّ أي دفاع الإنسان عن نفسه أو ماله وعرضه فالأمر واضح عند العقل والعقلاء، ومطابق لمقتضيات الفطرة السّليمة. فإنّ المجرمين

لا يقترفون جرائمهم إلّا حيث يأمنون سطوة القانون وبطش السلطة العامَّة على الأغلب. وعندما تعجز القاعدة القانونيَّة عن ردع الأشرار عن الناس، ويتعذّر على الإنسان الضحيّة للإجرام، اللجوء إلى الاحتماء بالسلطة العامَّة في الوقت المناسب وقاية لحياته وحفاظاً على سلامة جسمه وماله وشرفه وحريّته، فإنّ الدفاع الشرعي ـ حينما يمارسه الضحيّة ـ يحسم هذا العدوان، حسماً يمتاز من مجرّد إيقاع العقاب، أوتعويض الأضرار بعد خرق القانون، وانتهاك محارمه. فأهميّة الدفاع الشرعي تتجلّى في تفويت الفرصة التي يعتبرها الأشرار سانحة فيهتبلونها للإجرام، بعيداً عن هيمنة الدولة، فيحافظ الدفاع الشّرعيّ على استتباب الأمن قبل الإخلال به، وفي ذلك راحة وأمن المجتمع، ويحول دون مخالفة القانون قبل انتهاكه، وبذلك يسود النّظام، وتصان للأفراد حقوقهم التي حرص القانون على صيانتها. والواقع أنّ الخوف والرّعب من الدفاع الشّرعيّ يُفزِع الأشرار ويخيفهم أكثر من التهديد بسجنهم في المستقبل، وهو غالباً ما يكون غير مؤكّد.

وقد اتفق الفقهاء وأصحاب القانون على شرعيّة هذا الدفاع، وان اختلفوا في حدوده، وأنّه هل هو مختص بالدفاع عن النفس؟ أم يشمل المال والعرض أيضاً؟ وكذلك اختلفوا في مبناه الشرعي والقانوني وأنه حقّ طبيعي أو ضرورة أو واجب أو رخصة على مبانٍ مختلفة.

فمثلاً كان الكتاب في فرنسا في القرن التاسع عشر يمتنعون عن ترتيب أيِّ إثر للتبرير في حالة الاعتداء على الأموال متمسّكين بسكوت القانون وملاحظين أنّ المادّة (٣٢٨) ق. ع. الفرنسي قَصَدت الاعتداء على الأشخاص ليس إلّا. نعم جاء في المادّة ٣٢٩ من ذلك القانون تأكيد خاصّ على جواز الدِّفاع عن المال.

أما في إيطاليا فقد نصّت المادة (٥٢) على شمول الدفاع لجميع الأموال القانونية والحقوق كافّة بنصّ عامّ. وفي بلجيكا وإن حدث للمادّة ٤١٦ من قانون العقوبات البلجيكي ما حدث للمادّة ٣٢٨ من القانون الفرنسي من تفسير اتّسم بالجمود على النّص، إلّا أنها ـ تبدو ـ لأوّل وهلة تحدّد استعمال القوّة بالدفاع عن النفس.

وعند الرجوع إلى الأعمال التحضيريّة لقانون العقوبات البلجيكي سنة ١٨٦٨ نجد أنّ مجلس الشّيوخ قد رفض ما يظهر من التفسير الجامد لدلالة المادة ٤١٦ بشدة وإن قالوا في المجلس: إنّ الملكيّة لها الحقّ في الحماية تماماً كحياة الافراد(١).

والمتتبّع لقانون بقيّة الدّول يراها مُطْبِقة على مشروعيّة الدفاع في الجملة وإن اختلفت في المباني.

موقف الشّريعة الإسلاميّة من الدفاع الشّرعيّ الشخصي

يقف الفقه الإسلامي إزاء طبيعة الدفاع الشرعي موقفاً نسبيّاً بحسب الظروف والأحوال الّتي يُمارس فيها. وهذا الموقف يدور بين الوجوب والجواز والحرمة.

فإزاء جرائم الاعتداء على النّفس ذهب الجمهور إلى وجوب الدّفاع مطلقاً(٢).

وقال فريق بجوازه مطلقاً. بينما ذهب فريق ثالث إلى تفصيل الحكم بحسب حالة المعتدى عليه، وظروف الدّفاع.

وإزاء جرائم الاعتداء على العرض، فالإجماع على أنّ المرأة والصبيَّ يجب عليهما الدفاع عن فرجيهما مطلقاً، لأنّ التمكين منهما محرم ولايحلّ بالإكراه(٣).

أمّا في حالة الدفاع عن عرض الغير، فلدينا قولان: أحدهما بالوجوب بشرط القدرة والسلامة، والقول الآخر بالجواز(٤).

وأمّا بالنسبة إلى جرائم الاعتداء على الأموال فللفقهاء رأي بوجوب الدّفاع اذا ترتب على فقدانها هلاك النفس أو شدّة أذى أو كانت ممّا له روح. وبلا شرط

---

(١) راجع كتاب تجاوز الدّفاع الشّرعي، الدكتور داود العطّار، ط المركز الإسلامي، الطبعة الأولى١٩٨٢ م. ص ٩ ـ ١٤.

(٢) المسالك للشهيد الثاني آخر كتاب الجهاد ـ مغني المحتاج، ١٩٥ / ٤، المحلّي، لابن حزم الظاهري ج ١١ / ٩٩.

(٣) المغني لابن قدامة ج ٩/ ١٦٥.

(٤) اللمعة للشهيد الأوّل وشرحها الشهيد الثاني ج ٢ / ٣٩٤.

على رأي آخر[١].

ولهم رأي ثالث هو أنّ الدفاع محرم إذا كان المعتدي مضطرّاً إلى محلّ الاعتداء أو مكرهاً عليه متى كان الإكراه بالقتل أو القطع[٢].

والإجماع على جواز الدّفاع دون المال قلّ أو كثر[٣].

ومن هذا العَرض يتبيّن اتّفاق الجمهور على وجوب الدّفاع في حالتي الاعتداء على النفس أو العرض، ذلك لأنّ حياة الفرد وسلامة جسمه وطهارةعرضه لها أهميّة بالغة وتأثير خطير في المجتمع والأسرة ـ في المفهوم الحضاري الإسلامي ـ تأثير ينذر بدمار التنظيم الإنساني للمجتمع. فسبب وجوب الدفاع هو تعلّق هذه الحقوق والمصالح الحيويّة والخطيرة بالمجتمع أكثر من تعلّقها بالفرد ذاته من وجهة النظر الإسلاميّة.

كما أنّ الفقهاء المسلمين أوجبوا الدفاع عن المال تارة وأجازوه أخرى، وحرّموه ثالثة. كلّ ذلك كان منهم مراعاة للحالات الدقيقة والملابسات الظّرفية، وهذا الموقف يتفق مع الضّرورات الاجتماعية ومنطق الأمور وطبيعة النفس البشريّة في إطار التكافل الاجتماعي من ناحية، وصيانة الحقوق والمصالح التي تحميها الشريعة الغرّاء، من ناحية ثانية.

وأمّا موقف الفقهاء المسلمين من مجال الدفاع الشّرعي، فلديهم:

تهديد النفس أو العرض أو المال سواء في نشوء حالة الدفاع الشرعي عند تحقُّق الخطر بأوصافه المقرّرة. فإذا تحقَّق التّناسب كان الدفاع عن أيّ من هذه المصالح مباحاً[٤].

ويمكن القول إنّ الفقه الإسلامي قد أحرز قصب السبق في إقرار الدفاع،

---

(١) كشف اللثام للفاضل الهندي كتاب الجهاد.

(٢) جواهر الكلام للنجفي، كتاب الحدود.

(٣) ردّ المختار لابن عابدين ٥ / ٤٨٢.

(٤) شرايع الإسلام للمحقق الحلّي ج ٤ / ١٨٩ ـ تحرير الوسيلة للإمام الخميني ج ١ / ٤٦٣٧ ـ المحرّر في الفقه لابن تيميّة ج ٢ / ١٦٢.

مخصِّصاً طبيعته بحسب الموضوع والظروف والتوسُّع في مجاله حتى يشمل جميع المصالح الإنسانية والحقوق المشروعة[1].

موقف القانون الدَّوْلي من الدفاع الشرعي الاجتماعي

بعد أن عرفنا موقف القانون الوضعي، وكذلك الديني إزاء الدفاع الشخصي، وأنه شرعيّ في الجملة، نلفت النظر إلى موقفهما إزاء الدفاع الاجتماعي أي في حالةحدوث اعتداء على مجتمع، فهل يجب عليه أو يجوز له الدّفاع عن وطنه وشرفه باستعمال الإرهاب والأساليب العنيفة ضدّ المعتدي أو لا؟

أمّا موقف الشّرائع السّماوية، لاسيّما الإسلام، فواضح إذا لاحظنا كتاب الجهاد من الفقه، فإنّ الفقهاء يقسمون الجهاد إلى قسمين: ابتدائي، وهو جهاد الدّعوة إلى الإسلام، ودفاعي. وقد ردّ بعض الفقهاء الإبتدائي إلى الدفاعي أيضاً.

وقد صرّح فلاسفة يونان القديمة نظير سقراط وأفلاطون وأرسطو، بأنَّ الحروب التي تثار ضدَّ الظلم وكذلك الحروب الدفاعيّة مشروعة، ووصفوها بالحروب العادلة. والمسيحيّة في نهاية الأمر سلّمت بهذا الأمر، فأعلنت الكنيسة الكاثوليكيّة عام ١١٥٠ م بأنَّ الحروب العادلة هي التي تخاض من أجل استرداد الأموال المغصُوبة وصدّ العدوّ وإخراجه من الأرض (المعتدى عليها).

كما أنّ القوانين الدوليّة قرّرت شرعيّة الحرب الدفاعيّة لصد الاعتداء، ونصّت جمعيّة الأمم المتّحدة في مواثيقها على الدّفاع الشرعي بصورة مكرّرة.

ففي المادّة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة جاء ما يلي:

(.. فيما لوْ تعرض أحد أعضاء الأمم المتحدة لاعتداء عسكري، لايزاحم أيّ قرار من قرارات هذا الميثاق الحقّ الطبيعي لذلك العضو في الدفاع الشرعيفرديّاً

---

(١) تجاوز الدفاع الشرعي، داود العطّار ص ١٦-١٨.

كان أو اجتماعيّاً، إلى أن يقوم مجلس الأمن للأمم المتحدة بإجراءات لازمة من أجل السلم والأمن الدولي...)[1].

وموقف مجلس الأمم المتّحدة والقانون الدّولي إزاء الدفاع الشّرعيّ للشعوب ضدّ المعتدين واضح أيضاً، خاصّةً إذا لاحظنا القرارات الّتي اتّخذها القانون الدّولي.

---

(١) چرا جمهوري إسلامي إيران صلح تحميلي را نمى‌پذيرد ؟، منظَّمة الإعلام الإسلامي ص ٥٥ ـ ٥٦ ط تهران عام ١٣٦٤ هـ. ش.

التحرير الوطني والإرهاب الدّولي

جاء في تقرير اللجنة الخاصة حول الإرهاب الدولي لجمعية الأمم المتحدة عام ١٩٧٣م:

(يعود نشوء الإرهاب السياسي إلى أعمال القمع التي تمارسها الأنظمة الاستعماريّة والعنصريّة والأجنبيّة ضدَّ الشعوب التي تناضل من أجل تحرُّرها وحقوقها المشروعة في تقرير مصيرها واستقلالها وفي حريّاتها الأساسيّة الأخرى).

ولعلّ أوّل قرار صدر عن الجمعيّة العامّة للأمم المتحدة بشأن معالجة الإرهاب (القرار رقم ٣٠٣٤ تاريخ ١٨ كانون الأوّل ديسمبر ١٩٧٢). ربط بين تأكيد قانون النّضال من أجل التحرّر الوطني ودراسة مشكلة الإرهاب الدولي.

وقد نصّ القرار الذي أيّدته ٧٦ دولة وعارضته ٣٥ دولة أخرى وامتنعت ١٧ دولة عن التّصويت، على: (إنّ الجمعيّة العامّة إذ تشعر بقلق عميق من أعمال الإرهاب الدولي الّتي تتكرّر بصورة متزايدة، والّتي تذهب ضحيتها أرواح بشرية بريئة.

وإذ تدرك أهمية التعاون الدولي في استنباط إجراءات فعّالة لمنع وقوعها، وفي دراسة أسبابها الأساسيّة من أجل إيجاد حلول عادلة وسليمة بأسرع ما يمكن.

واذ تذكّر بإعلان مبادئ القانون الدّولي الخاصة بالعلاقات الودّية والتّعاون بين الدول وفقاً لميثاق الأمم المتّحدة.

١ ـ تعرب عن قلقها العميق من تزايد أعمال العنف الّتي تهدّد أو تقضي على أرواح بشرية بريئة، أو تعرّض للخطر الحريّات الأساسيّة.

٢ ـ تحثّ الدول على تكريس عنايتها الفوريّة لإيجاد حلول عادلة سلميّة للأسباب الأساسيّة الّتي تؤدّي إلى أعمال العنف.

٣ ـ تعيد تأكيد الحقّ الثابت في تقرير المصير والاستقلال لجميع الشعوب الواقعة تحت الاستعمار وأنظمة التميز العنصري وأنواع السيطرة الأجنبيّة الأخرى، وتدعم شرعيّة نضالها، خصوصاً نضال الحركات التحرريّة، وذلك وفقاً لأغراض ومبادئ ميثاق الأمم المتّحدة وسواه من قرارات أجهزتها ذات الصّلة بالموضوع.

٤ ـ تدين استمرار أعمال القمع والإرهاب الّتي تقدم عليها الأنظمة الإرهابيّة والعنصُريّة في إنكار حقّ الشّعوب الشرعي في تقرير المصير، والاستقلال، وغيرهما من حقوق الإنسان وحرّيّاته الأساسيّة.

٥ ـ تدعو الدول إلى الانضمام إلى الاتّفاقيّات الدّولية القائمة المتعلِّقة بمختلف أوجه مشكلة الإرهاب الدَّولي.

٦ ـ تدعو الدول إلى اتخاذ كلّ الإجراءات الملائمة على المستوى الوطني من أجل إزالة المشكلة بصورة سريعة ونهائية واضعة نصب عينها نصوص الفقرة (٣) الواردة أعلاه.

وقد أكّدت الأمم المتحدة شرعيّة كفاح الشعوب في سبيل التحرُّر من السيطرة الاستعمارية والأجنبيّة والقهر الأجنبي بكافة الوسائل المتاحة، بما في ذلك الكفاح المسلّح، كما ورد في قرار الجمعيّة العامّة رقم ٣٢٤٦ (الدورة ٢٩ بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٧٤).

وأدانت الجمعيّة العامّة بشِدّة جميع الحكومات التي لا تعترف بحقّ الشعوب

الخاضعة للسيطرة الاستعمارية والأجنبيّة والقهر الأجنبي وعلى الأخصّ شعوب إفريقيا والشعب الفلسطيني في تقرير المصير والاستقلال»[1].

كما أنّ هناك قرارات أخرى صدرت عن الأمم المتّحدة يستفاد منها أنّ الشعب المعتدى عليه له حقّ الكفاح المسلّح بوجه المعتدي والدول الاستعماريّة، منها القرار رقم ٣١٠٣ في الدورة ٢٨ بتاريخ ١٢ كانون الأوّل ديسمبر ١٩٧٣م. والقرار رقم ٢٦٢١ في الدورة ٢٥ بتاريخ ١٢ تشرين الأوّل اكتوبر ١٩٧٠م، والقرار رقم ١٥٩٢ بتاريخ ٢١ أيار ـ مايو ١٩٧١م[2].

ولكن وللأسف الشديد بقيت تلك القرارات على الأغلب حبراً على ورق، ولم يقم مجلس الأمن الدولي بأيّ إقدام عملي لصدّ الصهاينة عن اعتداءاتهم رغم المجازر البشعة الّتي قاموا بها ضدّ الشعب الفلسطيني الأعزل والمضطهد من قبيل مجازر دير ياسين، وصبرا وشاتيلا، والعشرات بل المئات من المذابح الأخرى.

والسّبب الرئيسيّ يكمن في حماية أميركا المطلقة لإسرائيل واستفادتها من حق الفيتو في إلغاء أيّ قرار يصوّبه مجلس الأمن الدولي ضدّ إسرائيل!

وهذا الواقع هو الذي دفع الفلسطينيين إلى اليأس من مجلس الأمم المتّحدة والاعتماد على أنفسهم في الدفاع عن وطنهم الإسلامي. واستمرّوا بذلك الدفاع والانتفاضة اعتماداً على الحجارة في مقابل الأسلحة الناريّة الفتّاكة. وحينما تنسدّ طرق الدفاع بأوجههم لايرون طريقاً إلّا العمليّات الاستشهاديّة في دحر الأعداء الصهاينة.

إلّا أنّ الأميركان في إعلامهم الظالم يسمّون هذا النوع من الدفاع الشّرعيّ بالإرهاب. ويصفون الاعتداءات الإسرائيلية المتكرّرة بالأعمال السلميّة لمكافحة الإرهاب!

---

(١) الإرهاب والعنف السياسي، محمّد السّماك، ص ١٧٥-١٨٠.
(٢) المصدر السابق، ص ١٨١ ـ ١٨٢.

المحور الثالث:

الإرهاب والعنف في الغرب

إنّ تاريخ البشريّة مليء بالإرهاب والعنف منذ أن قام قابيل بقتل أخيه هابيل إلى يومنا هذا، بل إلى قيام السّاعة. بل يمكن أن يقال ليس التاريخ إلّا سرداً لحوادث الإرهاب والعنف على الأغلب. ووصل الإرهاب إلى قمّته في القرون الأخيرة نظراً إلى تطوّر التكنولوجيا وصنع الأسلحة الحديثة الّتي استفيد منها للدّمار الشّامل. وهذا الواقع التاريخي أكثر مأساويّةً وأشدّ ضراوة في الغرب نظراً إلى تقدّمه في هذه النواحي على الشّرق.

وفي هذا المحور نعالج البحث في مطلبين: الأوّل نعرض فيه وضع الإرهاب والعنف في الغرب وخاصّة في القرون الأخيرة والزمن المعاصر.

وفي الثاني نشير إلى نشوء وتطوّر فكرة التسامح في الغرب ونقدها علميّاً وتاريخيّاً.

المطلب الأوّل: الإرهاب والعنف في الغرب المعاصر

مُسَبقاً تلزم الإشارة إلى أنّ المقصود هنا بالغرب ما يشمل الاتّحاد السوفيتي، وإنْ أُطلق عليه بالمعسكر الشرقي في مقابل أميركا.

وعليه، فيمكن تقسيم مظاهر الإرهاب والعنف في الغرب إلى عدّة وجوه.

الوجه الأوّل: الحروب الدامية

أمّا في الوجه الأوّل فقد أُضرمت نيران الحروب في البلدان الغربيّة بما فيها روسيا وما والاها في القرون الأخيرة، بما لم يوجد له نظائر في تاريخ البشريّة جمعاء.

الحرب العالميّة الأولى والثانية

عُدّت الحروب التي اشتعلت من القرن السابع عشر الميلادي في البلدان الأروبيّة إلى القرن العشرين، فبلغت ٢٣٠٠ حرب[1].

وهذه الحروب الدّامية قد بلغت ذروتها في الحربين العالميّتين الأولى والثانية، حيث اتّسعت دائرتهما وشملت قطاعات كثيرة من الكرة الأرضيّة، وراح ضحيتها عشرات الملايين من أبناء البشر.

ففي الحرب العالميّة الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨ م) بلغ عدد المقتولين١١١١٢٦٨٣ نفراً من روسيا وتركيا وألمانيا وفرنسا والنمسا وبريطانيا وإيطاليا وأمريكا[2]. ناهيك عن الخسائر الماديّة الفادحة التي منيت بها البشريّة.

وأمّا الحرب العالميّة الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م) فقد تراوحت إحصائيات القتلى فيها بين ٤٠ و٥٠ مليوناً[3].

وقد قتل خلال ثوان في تلك الحرب الضروس ١٥٠ ألف نفرٍ في مدينتي هيروشيما وناكازاكي في اليابان على أيدي الجناة الأمريكيين بالقنابل النوويّة!

لهذه الحروب الدمويّة دوافع معلومة وهي الأطماع التوسعيّة لدى الطغاة والجبابرة وإن كانت تتستّر بأغطية كالقوميّة والعقيدة وما شاكل ذلك. والخلافات الدينيّة المسيحيّة لعبت دوراً هامّاً في إشعال نيران الحروب في الغرب.

---

(١) جامعه شناسى (ساموئل كينك) نقلاً عن (جامعه انسانى اسلام) محمّد مجتهد شبستري ص ١٨.

(٢) نكاهى به تاريخ معاصر جهان بحرانهاى عصر ما، محمود حكيمى ص ١٩٢.

(٣) تاريخ قرن بيستم، سرز برشتين لى يرميلزا، ترجمه دكتر امان الله رجمان ج ١ / ١٣٩ ط: آستان قدس رضوى، ١٣٧٠ ش، مشهد.

فمضافاً إلى الحروب الصليبيّة الّتي دامت مئتي عام دَبَّجتها الكنيسة بذريعة احتلال بيت المقْدِس وسفكت فيها دماء مئات الألوف من البشر، وقد جسّدوا فيها أبشع مظاهر العنف والإرهاب حتّى قال فيهم المحقّق الغربي كلارك:

(لاشك أنّ عالم الأخلاق لم ير من الصليبيين خيراً وبركة، وذلك لأنّه لا يوجد بين القوى المعتدية في أيّ شعب وفي أيّ زمان مثل ماتحقّق على أيدي تلك العصابة باسم الحرب المقدّسة من الرذالة والشرّ والوقاحة والمجون والفسوق. فالمقاتلون الصّليبيّون قاموا بأعنف وأشدّ نماذج العصبيّة، فأصبحت الحرب وظيفة مقدّسة، وبدل الدّعاء والإحسان والأعمال الصّالحة أصبح سفك نفوس المسلمين كفّارة للمعاصي والذنوب)[1].

وهناك حروب سعّرت نيرانها بين المسيحيين أنفسهم إثر ثورة مارتين لوثر الألماني وكالوِن الفرنسي في القرن السّادس عشر الميلادي وما بعده المسمّاة بمذهب البروتست ضدَّ الكنيسة والفاتيكان، حيث ثارت مجموعات بشريّة هائلة فيحروب دامية ضدَّ أصحابِ مذهب الكاثوليك، واستمرَّت عشرات السنين وراح ضحيتها الملايين، كما أُعدِم حوالي خمسة ملايين نسمة بتهمة المخالفة للكنيسة في محاكم التفتيش.

هذا وجه من وجوه الإرهاب والعنف.

الوجه الثاني: الأعمال الديكتاتوريّة

والمقصود من هذا الوجه، أعمال الكبت والقمع الّتي قامت بها الأنظمة الديكتاتوريّة في السجون، والمجازر البشريّة، نظير المجازر الّتي صنعها قادة الحزب الشيوعي في الاتّحاد السوفيتي بالنسبة إلى المخالفين، والمجازر التي قام بها هتلر وأمثاله من السّفاكين.

---

(١) كتاب (وستى جيا انكلى) ج ١ / ٣٣٩، راجع كتاب (عذر تقصير به پيشكاه محمّد | وقرآن) جان ديون پورت، ترجمه: سيدغلامرضا سعيدى ط: شركت انتشار طهران، ١٣٤٤ش ص ١٣٨.

الوجه الثالث: اعتداءات الغرب على البلدان الإسلاميّة

والوجه الآخر للإرهاب الغربي مسلسل الاعتداءات الّتي قامت بها الدول الاستعماريّة تجاه المسلمين وغيرهم، كما صنع اليهود في فلسطين، والسوفيت في أفغانستان، وبريطانيا في الهند، وإيطاليا في ليبيا والمغرب العربي، وفرنسا في الجزائر، وبريطانيا والرّوس في إيران، وأمريكا وأحلافها في العراق وأفغانستان في هذا الزّمان.

الوجه الرابع: إرهاب المنظمات السّريّة

وأمّا الإرهاب الذي قامت به المنظمات السّريّة وغيرها في الغرب فذلك حديث ذو شجون.

يقول محمّد السمّاك في الجذور التاريخيّة الحديثة للإرهاب:

في الأساس، ظهر الإرهاب كتعبير وحتى كممارسة قبل قرنين من الزمن. فإذا كانت الحروب المنظّمة والحروب غير المنظّمة ـ حروب العصابات ـ قد بدأت مع بداية العنصر البشري، فإنّ الإرهاب لم يتبلور واقعيّاً إلّا في عام ١٧٩٣. كان ذلك في عهد الرهبة Rign of Terror في فرنسا (١٠ آذار ـ مارس ١٧٩٣ ـ ٢٧ تموز ـ يوليو ١٧٩٤): ومنه اشتقّت اللّغتان الانكليزيّة والفرنسيّة كلمة الإرهاب (Terrorism) بالانكليزية و(Terrorisme) بالفرنسيّة. فخلال الثورة الفرنسيّة مارس روبسبيير وزمرة معه، منهم سان جيست (St. Just) وكوثون (Couthon) العنف السياسي على أوسع نطاق. فمن أصل سكّان فرنسا، الذين كان يبلغ عددهم في ذلك الوقت ٢٧ مليون نسمة، تمكنت تلك المجموعة من قطع رأس ٤٠ ألفاً بوساطة المقصلة، كما تمكّنت من اعتقال وسجن ٣٠٠ ألف آخرين. وكارا سيناتور جوزف ماكارثي يصبح روبسبيير القرن العشرين (١٩٥٠ ـ ١٩٥٤) في الولايات المتّحدة الأميركية، إلّا أنّ اتهاماته بالخيانة للآلاف لم تصل إلى حدّ قطع رؤوسهم بالمقصلة أو خنقهم في غرف الغاز المغلقة[1].

---

(١) الإرهاب والعنف السياسي، محمّد السّماك، ص ١٩، ٢٠.

والإرهاب الأوروبي لم ينحصر في تلك الحدود المذكورة من قبيل قطع الرّؤوس بالمقصلة بل له إشكال وأنماط أخرى، منها اختطاف الطائرات، الأمر الذي حاز الغربيّون به قصب السبق وأخذ غيرهم هذا الدرس منهم.

يقول محمّد السّماك:

إنّ خطف الطائرات ليس كلمة جديدة أدخلها الفلسطينيون إلى قاموس الإرهاب والعنف السياسي. ففي عام ١٩٥٦ أقدمت السلطات الفرنسيّة على اختطاف طائرة مدنيّة ترفع العلم المغربي وعلى متنها خمسة من قادة الثورة الجزائريّة ـ بينهم أحمد بنبلا ـ في طريقهم من الرباط إلى تونس لحضور مؤتمر يشترك فيه ممثلون عن الحكومة الفرنسية للبحث عن حلّ للقضيّة الجزائريّة. وعندما أصبحت الطّائرة في الأجواء الدّولية فوق البحر، اعترضتها طائرات عسكريّة فرنسيّة وأجبرتها على الهبوط في مطار الجزائر الذي كان تحت الاحتلال الفرنسي. واحتفظت فرنسا بقادة الثورة أسرى لديها حتّى استقلال الجزائر في عام ١٩٦٢. لقد كان حادث القرصنة هذا أوَّل حادث من نوعه تقوم به حكومة دولة كبرى.

وبعد عامين، وبالتحديد في ٣/ ١١ / ١٩٥٨، نظّمت الولايات المتّحدة حادث اختطاف طائرة كوبيّة ممّا أدّى إلى مصرع ١٧ شخصاً. وخلال الفترة من عام ١٩٦٠ حتّى عام ١٩٦٤ تمّ اختطاف ٤٠ طائرة كوبيّة، وكان المختطفون يُستقبلون كالفاتحين في المطارت الأميركيّة. كانت الولايات المتّحدة تريد تجريد كوبا (فيدل كاسترو) من أسطولها الجوي، ولذلك شجّعت وموّلت عمليات الاختطاف وحرّضت على إحراق الطائرات المختطفة في المطارات الأميركيَّة أوتفكيكها وبيعها قطع غيار لشركات الطيران المحلّيّة الأميركيّة.

وفي عام ١٩٦٨ قامت إسرائيل بغارة على مطار بيروت الدولي فدمّرت وأحرقت جميع طائرات الأسطول الجوّي المدني اللبناني الّتي كانت جاثمة على أرض المطار، وعددها ١٣ طائرة. من هنا فإنّ العالم العربي ليس مخترعاً للإرهاب،

ولكنه من ضحايا مخترعيه الحقيقيّين. ولعلّ أبلغ دليل على ذلك وأوضحه وجود إسرائيل بالذات الّتي توسّلت بالإرهاب لفرض وجودها على يد عصابتي أرغون وشترن[1].

الإرهاب الإسرائيلي

واستمرّ السّماك في كلامه يذكر نماذج من الإرهاب الإسرائيلي ثمّ قال:

إنّ مناحيم بيغن الذي ارتكب في ٩/ ٤/ ١٩٤٨ مجزرة دير ياسين في فلسطين والتي ذهب ضحيتها ثلاثون شخصاً، أصبح رئيساً للحكومة، وقد استقبلته بريطانيا بهذه الصفة رغم أنّه كان مطلوباً للقضاء البريطاني بتهمة تفجير فندق الملك داوود في مدينة القدس أثناء الانتداب أوّل تموز ـ يوليو ١٩٤٦، وهو الحادث الذي ذهب ضحيته مائتا شخص بين قتيل وجريح كان بينهم عدد من المسئولين العسكريّن والإداريّن البريطانيين.

وإسحق شامير الّذي ترأس الفريق الذي قام في ١٧/ ٩/ ١٩٤٨ بإغتيال مبعوث الأمم المتحدة الكونت برنادوت (بسبب مشروعه بإقامة اتحاد بين الأردنّ وفلسطين بدلاً من تقسيم فلسطين إلى دولتين عربيّة وإسرائيليّة)، أصبح رئيساً للحكومة ووزيراً للخارجيّة. وإسحق شامير نفسه هو الّذي أشرف قبل ذلك على اغتيال اللورد موين وزير الدولة البريطاني ورئيس شؤون المستعمرات في القاهرة في ٦/ ١١/ ١٩٤٤. والجنرال آرييل شارون دخل عالم المجازر الجماعيَّة من قرية قبية حيث كان يترأس الفرق ١٠١ في عام ١٩٤٨ عندما اقتحمت الفرق عينها، تلك القرية العربية، وقتلت ٦٩ شخصاً من سكانها. وقد أدانت الأمم المتحدة تلك الجريمة، وكان قرار الإدانة الأوّل الذي يصدر عن المنظَّمة الدوليّة ضدَّ إسرائيل.

ولقد تواصل هذا الإرهاب إلى مخيّمي صبرا وشاتيلا في بيروت في أيلول

---

(١) الإرهاب والعنف السياسي، محمّد السّماك، ص ٢٢،٢٣.

سبتمبر ١٩٨٢، وإلى مقرّ قيادة منظَّمة التحرير الفلسطينيّة في تونس في أكتوبر تشرين الأوّل ١٩٨٥ ؛ ولايزال لبنان، وخصوصاً جنوبه، يعاني من سلسلة الجرائم الإرهابيَّة التي ترتكبها القوّات الإسرائيليّة. وفي كلّ مرة كان يلجأ فيها لبنان الى الأمم المتّحدة للتنديد بهذه الجرائم، كان يصطدم بالفيتو الأميركي. لقد حدث ذلك أثناء الغزو الإسرائيلي وبعده، وأثناء محاصرة بيروت وبعد احتلالها وقبل انسحاب القوّات الإسرائيليّة إلى الشريط الحدودي في الجنوب وبعد الانسحاب. لقد كان الفيتو الأميركي دائماً بالمرصاد. وفي الواقع فإن الفيتو الأميركي كان تشجيعاً للإرهاب الإسرائيلي وإلى حدٍّ ما، مشاركاً فيه، ومع ذلك نجد أنّ ضحيّة الإرهاب هو متّهم بأنّه الإرهابيّ الأوّل وبأنه المصدر للفكر الإرهابي[1].

نعم إنّ الإرهاب الإسرائيلي صفحة سوداء في جبين الانسانيّة. وانّما تمّ ذلك بفضل الدعم الغربي ككلّ لاسيَّما الأميركيّ منه. وجميع الحلول السلميّة والقانونيّة كبثّ الشكوى لدى المجاميع الدولية باءت بالفشل، ولم يبق إلّا الدفاع الشّرعيّ المستميت الذي تقوم به الشعوب المضطهدة، أي ضحايا الإرهاب بوجه الإرهابيّن. كما حدث في جنوب لبنان بفضل المقاومة الإسلاميّة التي أنجزها حزب الله، وتمكّن من طرد العدوّ الإسرائيلي عن أراضي لبنان بالعمليّات الاستشهاديّة الّتي حقّقها أبناء حزب الله الغيارى.

وهذا هو النّهج الصحيح الذي اتّجهت إليه الانتفاضة الإسلاميّة الفلسطينية في مواجهة الإرهاب الإسرائيليّ. ألا وهو الاستفادة من سلاح الاستشهاد الذي لا يوجد له مثيل في التّرسانات الأميركيّة والإسرائيليّة!

والعجب أنَّ الإعلام الغربي يتّهم ذلك الدفاع الشّرعيّ بالإرهاب، ويتغافل عن العنف الرهيب والإرهاب البشع الذي يقوم به الإسرائيليون خاصّة في السنوات الأخيرة في قمع المقاومة الفلسطينية وسفك دماء العزّل والأبرياء من ذلك الشعب المضطهد.

(١) الإرهاب والعنف السياسي ص ٢٤ ـ ٢٥.

الوجه الخامس: إرهاب المنظّمات السّرّيّة

وهناك وجه آخر للإرهاب الغربي، هو إرهاب المنظّمات السّرّية. فإنّ كثيراً من هذه المنظمات تعدّ من صنائع الدّول الكبرى الغربيّة والشرقيّة من أجل أهدافها الاستراتيجيّة وأطماعها التوسعيّة لإرغام مخالفيها. وإن كان بعضها إنّما أسّس من قبل أبناء الشعوب المستضعفة للوقوف بوجه الاعتداءات الاستعماريّة، إلّا أنّها رأت نفسها مضطرّة إلى الاستناد إلى الدول الشرقيّة في وجه الاستعمار الغربي، أو إلى الدول الغربيّة في وجه الاستعمار الشّرقي.

والمنظَّمات السرّيّة الّتي صنعها المعسكر الشرقي أو كانت مستندة إليه قد انكشف الكثير منها بعد سقوط الشيوعيّة وتفكّك الإتّحاد السوفياتي.

هذا الانكشاف قضى على ١٢ مجموعة في الشرق الأوسط وحده، وعلى ثلاثين مجموعة أخرى في اليابان وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وبلجيكا، ولا تزال هناك حوالي ٢٠ مجموعة أو أقل تعمل بوسائل ذاتيّة، مثل منظّمة (إيتا) الّتي تقود حركة الباسك الانفصاليّة في أسبانيا، والجيش الجمهوري الإيرلندي في ايرلندة الشمالية وبريطانيا و(منظمة ١٧ نوفمبر) في اليونان، ومنظمة (ديف سول) في تركيا. وكانت هناك حوالي مائة منظّمة تعمل في أربعين دولة وتوظّف أكثر من ٢٠ ألف شخص خلال فترة الحرب الباردة[١].

حرب العصابات

إنّ الأدوات التي تعتمدها المنظّمات في ممارستها للإرهاب تتراوح بين حرب العصابات، والاغتيال، وتدمير المنشآت العامَّة واحتجاز الرهائن وخطف الطائرات. وقد أخذت حرب العصابات أبعادها الهامة في دول أميركا اللاتينيّة بصورة خاصة بعد نجاح الثورة الكوبيّة في عام ١٩٥٩، حيث مورست هذه الحرب في كولومبيا، وغواتيمالا، وبوليفيا، وحتى في فنزويلا والبرازيل، وحاربتها الولايات

(١) مجلة الأسبوع العربي ٢ / ١٢ / ١٩٩١، ص ٥. نقلاً عن الإرهاب والعنف السياسي ص ٢٨.

المتّحدة بإرهاب معاكس من خلال تنظيمات مسلّحة، كانت تموّنها وتدرّبها مثل منظّمات(تونتسي) و(ماكوتسي) في هاييتي، و(فرقة ألموت) في البرازيل، و(اليدالبيضاء) في غواتيمالا. ويعتبر (تشى غيفارا) رائد العصابات في أميركا اللاتينيّة....»[1].

الاغتيال السياسي

الاغتيال السياسي وجه آخر من وجوه الإرهاب. وهو وان بدأ في الواقع في تاريخ البشريّة قديماً، يمكن إرجاع جذوره إلى اغتيال هابيل على يد قابيل، إلّا أنه ازداد ضراوةً واتّسع نطاقه في الدّول الغربية في القرون الأخيرة. وكثير من التّحولات الّتي حدثت هناك كانت بدايتها اغتيالاً سياسيّاً. مثلاً:

الحرب العالمية الأولى الّتي أودت بحياة أكثر من عشرة ملايين إنسان، بدأت بعمل إرهابي نفّذته منظّمة (الكفّ الأسود) الصربيّة (إحدى الجمهوريات التي كانت تتألف منها يوغسلافيا). فاغتيال ولي عهد النّمسا وزوجته في مدينة سراجيفو احتجاجاً على استمرار ضم البوسنة والهرسك إلى الإمبراطورية النمساويّة المجرية، أعاد رسم خريطة العالم كله، وليس فقط تلك الإمبراطورية الّتي تداعت بسرعة بعد ذلك. وقد حقّقت (الكف الأسود) هدفها المباشر بإعادة البوسنة والهرسك إلى يوغسلافيا موحّدة[2].

وإسرائيل الّتي تعتبر أكبر مشكل في العالم الإسلامي في القرن الأخير هي غدة سرطانيّة زرعتها الدول الغربيّة في هيكل العالم الإسلامي، ولازالت تحامي عنها. وعقدت جميع آمالها في سيطرتها على الشرق الأوسط بفضل وجود إسرائيل. وإسرائيل هذه إنّما قامت على أساس الإرهاب وقتل الأبرياء والعزّل وطردهم من بيوتهم وسفك دماء قادتهم. وفي السنين الأخيرة أعلنت رسميّاً ومن دون أيّ مبالاة بأنّ الدولة الصهيونيّة صوّبت قتل القادة الفلسطينيّن بعد

(١) الإرهاب والعنف السياسي ص ٣٣.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٤،٣٥.

أن نفّذت حكمها في بعضهم كالشهيد الدكتور فتحي الشقاقي قائد منظّمة الجهاد الإسلامي، واستمرَّت الاغتيالات بقتل الشيخ أحمد ياسين والدكتور عبدالعزيز الرنتيسي من قادة حماس . . .

والمنظّمات الإرهابيّة العاملة اليوم في إسرائيل تعتمد نفس الأساليب التي اعتمدتها من قبل المنظمتان المؤسستان أرغون وشترن. وأبرز هذه المنظمات (حركة غوش إيمونيم) كتلة الإيمان، والمنظمة اليهوديّة، ومنظّمة وحدة الثأر، ومنظّمة القبض والترس، وحركة كاخ، ومنظّمة حركة بيت المقدس السّرّية، ومنظّمة الإرهاب ضد الإرهاب (ت، ن، ت) ومجموعة عين كارم. إلّا أنّ أهمَّ المنظمات الإرهابيّة الإسرائيليّة على الإطلاق هو الجيش الإسرائيلي الذي له سجل حافل في الأرض العربيّة المحتلة وفي دول عربيّة عديدة في المشرق وفي المغرب على حدّ سواء[١].

الإرهاب السياسي الأميركي

شكّلت الولايات المتحدة قوى عسكريّة خاصة مهمتها تطبيق سياسة إرهاب الدول المتمرّدة على الطاعة والّتي يشكّل تمردها خطراً مباشراً أو غير مباشر على المصالح الاستراتيجيّة الأميركية.

وأبرز هذه القوى ما يأتي:

أ ـ القوّات الخاصة (Special Forces) والتي كانت لها ميزانية في عام ١٩٦٩ تبلغ مليار دولار، أمّا عدد أفرادها فهو عشرة آلاف عسكري مختارين من أفضل العناصر من القوّات المسلّحة.

ب ـ فرقة القبعات الخضر (Green Berets) ومهمَّتها شن حرب العصابات.

ج ـ فرقة الغوريلا (Military Traininy Teams) ومهمَّتها تدريب جيوش البلدان الصديقة للولايات المتحدة، والإشراف على عمليّات الاغتيال

(١) الإرهاب والعنف السياسي، ص ١٤٢.

والتصفية الجسدية.

د ـ الفرقة الخاصة (Rangers) ومهمَّتها (تمشيط أرض العدوّ قبل الاقتحام) كما حدث في أنغولا... وقبل ذلك في صحراء لوط الإيرانيّة أثناء العمليّة الفاشلة لإطلاق سراح رهائن السفارة الأميركيَّة بطهران.

هـ ـ الوحدة المدنيّة (Civil Affairs) ومهمّتها مراقبة المواطنين المحليّين.

و ـ الوحدة النفسيّة (Psy. Operation) ومهمَّتها القيام بترويج الإشاعات وتوجيه الإعلام وإعداد المنشورات السّرّية... إلخ

ويقف على رأس كلّ هذه الوحدات، وحدة متميّزة تعرف باسم (DeltaForce) وتضمّ عناصر قياديَّة من كلّ من وكالة المخابرات المركزية (C.I.A) ومكتب التحقيق الفدرالي (F. B. I).

وتتألف عناصر هذه الوحدة من ألفي رجل، وهي مزودة بالطائرات، وبطائرات الهليكوبتر، وقد ألحقت بها مؤخّراً غوّاصتان نوويتان بعد إعادة تأهيلهما لعمل هذه الوحدة، والغواصتان هما (سام هيوستن) و(جون مارشال). وتضمّ كلُّ غوّاصة أكثر من مائة من جنود البحرية والجيش، وهم مدرّبون تدريباً خاصا لَشنّ هجمات صاعقة على أهداف خطرة....»[1].

ما ذكرناه من وقائع تاريخيّة إنّما هو نماذج مقتضبة من تاريخ الإرهاب الغربيّ المعاصر ولاشكّ أنّ استقصاء جميع الجوانب المرتبطة بالموضوع بحاجة إلى موسوعة ذات مجلّدات عديدة، والغرض هنا إنّما هو الإلماح العابر إلى ذلك الواقع المرير.

المطلب الثاني: نشوء وتطوّر فكرة التسامح في الغرب

بعد أن عرضنا صورة خاطفة للإرهاب والعنف المخيّم على ربوع الغرب في القرون الأخيرة من عصر النهضة الأوروبيّة حتّى العصر الحاضر، ينبغي هنا أن

---

(١) الإرهاب والعنف السياسي، ص ١٤٩، ١٥٠.

نشير إلى تيّار معاكس لذلك الواقع، ألا وهو فكر التسامح والتّساهل. والكلمة الّتي استعملت في هذا المعنى عندهم (Toleration) وأصلها اللاتيني (Tolero) بمعنى التّحمل والإجازة والابقاء في مقابل العنف كما يعبّر عنها بـ (تولرانس Tolerance) بالفرنسية وتالرنس بالإنجليزية. والمقصود من التّسامح والتّساهل اصطلاحاً: هو عدم التّدخّل والمنع في ما يتعلق بأعمال الآخرين وعقائدهم وإن كانت غير مرضية لدى الشّخص المتسامح.

والتّساهل ينقسم إلى التّساهل السّياسيّ والديني والأخلاقي حسب الحوزة الّتي يلاحظ فيها.

والدوافع الّتي حدت بالمفكّرين الغربييّن إلى طرح تلك الفكرة مختلفة، يجمعها الواقع المتردّي الذي شاهدوه في مجتمعهم بسبب أعمال العنف والإرهاب الّتي كانت تقوم بها الحكومات أو المنظّمات السّياسيّة والدينيّة، كالحروب الضّارية التي اندلعت إثر النّهضة الأروبيّة في القرن الخامس عشر خاصّة، بين سلطة الكنيسة الكاثوليكيّة وهواة المذهب البروتستاني. حيث إنّ الطابع العامّ لتلك الحروب كان دينيّاً على الأغلب، وإن كانت الأحاسيس الوطنيّة والعصبيّة العنصريّة وكذلك الأطماع التوسعيّة هي العلل الرئيسيّة لتلك الفتن. وكذلك العقوبات الّتي كانت تفرض على المجرمين في المحاكم فإنّها كانت تتّسم بالتّطرّف والقسوة إلى أبعد الحدود، كاحراق المحكومين بالنار وهم أحياء، أو شقّ بطونهم وإخراج أمعائهم وإحراقها بمرأىً من نفس المحكومين وهم يلفظون آخر أنفاسهم، ثمَّ قطع رؤوسهم وتقطيعهم إرباً إرباً. ولاشكّ أنّ هذا التّطرّف في أعمال العقوبات وتنفيذها في الملأ العامّ ممّا يربّي المتفرّجين على العنف والقسوة[1].

ولاريب أنّ ظروف الإرهاب والعنف المذكورة من شأنها أن تقضي على العدالة والحرّيّة الإنسانيّة وتسلب الأمن والاستقرار.

---

(١) راجع: تاريخ تمدّن (قصّة الحضارة)، ويل دورانت ج ٩ ص ٧٧.

وهذا ما ساق المفكّرين من الفلاسفة وعلماء النفس والحقوق والأخلاق والإجتماع للوقوف أمام ذلك الواقع المرّ ومكافحة الإرهاب وإصلاح المجتمع على أساس التعايش السّلمي إلى اتخاذ فكرة التّساهل والتسامح تارة، وإلى تبنّي حقوق الإنسان تارةً أخرى، ووضع قوانين عارية عن القسوة اللاذعة في مجال العقوبات.

ونظريّة التّسامح والتّساهل بدأت بصورة بسيطة، ثمَّ تطوّرت إلى مراحل معقّدة آخذة في التطرُّف من جانب آخر.

فالنظريّة في المرحلة الأولى طرحت من أجل إخماد نار الحرب بالدّعوة إلى تحمّل أصحاب العقيدة المخالفة ومذمّة استعمال العنف والقسوة تجاههم كفعل مناف للأخلاق الدينيّة والإنسانيّة، ثمَّ تدرّجت إلى إعطاء الحرّيّة لأصحاب الدّيانات والمذاهب المختلفة في تبليغ معتقداتهم وصيانتهم من تعدّي الآخرين عليهم. ثمّ انتهت إلى الاعتقاد بالبولاريّة والتعدديّة ونسبيّة الحقّ بمعنى عدم كون مذهب على الحق المطلق، أو انبساط الحقّ على جميع المذاهب والآراء.

وتطرّف البعض إلى القول بمذمّة العنف مطلقاً حتى ما يستعمل بصورة قانونيّة لمجازاة المجرمين وتربيتهم. وتجاوز البعض هذه الحدود وألغى حكم الإعدام مطلقاً داعياً إلى الاقتصار على الحبس حتّى بالنسبة إلى السّفّاكين والقتلة. كما أن الحرّيّة المقصودة في ميثاق حقوق الإنسان تنصّ على إطلاقها ما لم تحدّد حرّية الآخرين، فتعطي الحق لأيّ أحد بأن يختار أيّ مذهب ويرتدّ عن أيّ دين ويبلغ لأيّ دين. وفي ضوء ذلك ترى المجرمين يبرّرون إهانة جميع الأديان السّماويّة.

المباني الفلسفيّة للتسامح الغربي

إنّ المفكّرين الغربييّن الذين تبنّوا فكرة التّسامح والتّساهل انطلق كلّ واحد منهم أو كلّ مجموعة منهم من مبنى فلسفي خاصّ. وإليك عرضاً لأهمّ المفكّرين وأهمّ مبانيهم الفكريّة والفلسفيّة:

١ـ جون لوك (١٦٣٢ ـ ١٧٠٤م John Locke): ولد بمدينة رنجبون بولاية سومرست بانجلترا. يُعد من أكبر الفلاسفة الغربيّين الذين أبدعوا في نظريّة المعرفة، وفي الفلسفة السّياسيّة. وقد كانت كتابات لوك منصبة صراحة ـ في معظمها ـ على تقديم تبرير نظري للآراء السّياسيّة التي يعتنقها هؤلاء الذين يبتغون التخلّص من حكومة (آل ستيوارت) المتعسّفة، ليضعوا مكانها ملكيّة ذات سلطات محدودة تحديداً ضيّقاً: وبحثه الأوّل ـ من (بحثيه عن الحكومة) ـ عبارة عن تفنيد موفق لرأي لا يستحق مثل هذه العناية المسهبة. وهدف لوك هنا هو (نظرية الحكم المطلق).

وقد تبنّى لوك نظريّة التّساهل، وألّف كتاباً أسماه (مكتوب في باب المداراة).

وحيث كان يعيش ظروفاً قاسية مليئة بالحروب المسيحيّة في مابينهم، وتضغط الحكومات على الفرق الدينيّة، طرح هذه الفكرة وهي مرتكزة على أساسين.

الأوّل: أنّ الدّولة ليس عليها إلّا التّصدّي للأمور المعيشيّة والمدنيّة للنّاس، وليس لها التّدخل في شؤون الدين والكنيسة. كما أنّ الكنيسة مهمّتها تربية الأرواح والأمور المعنويّة، فلا يحقّ للدّولة إعمال العنف في الأمور الدينيّة. كما ليس للكنيسة أن تتدخل في القوانين المدنيّة المبنية على المواثيق الاجتماعيّة. وهذا هو المنطلق للمنهج العلماني الذي يدعو إلى فصل الدين عن السّياسة.

والثّاني: أنّ معرفة الإنسان ناقصة ومحدودة، فلا يمكن تحصيل اليقين المطلق. وعليه فليس لأيّ دين أن يدّعي أنّ كلّ الحقيقة لديه، فلا معنى للتّصلب في العقيدة والتّعصب لها. وهذا الأساس يعتبر من منطلقات البلوراليّة والتعدديّة.

وتعتبر نظريّة لوك حلاً نهائيّاً للمشكلة التي واجهتها أروبّا منذ بدء الدّعوة الإصلاحيّة للبروتستانيّن وبقيت بلا حلّ لمدّة قرنين. ولازالت أروبّا تعتمد على هذا الطريق الذي سلكه لوك في الحكومات الدّيمقراطيّة[1].

---

(١) راجع: كتاب (خداوندان انديشه سياسى) و. ت. جونز، ترجمة على رامين القسم الأول من ج ٢ ص ٢٧٤ ـ ٢٧٧ ـ وكتاب (تساهل وتسامح اخلاقى) دينى، سياسى، محمود فتحعلى ص ١١٨ ـ ١٢١.

ولاشكّ أنّ نظريّة لوك تعرّضت لانتقادات كثيرة من بعض المفكّرين، وترد عليها إشكالات أساسيّة ليس هذا مجال التعرّض لها.

٢ ـ بيير بيل (١٦٤٧ ـ ١٧٠٦م) كان من أهالي فرنسا ومعتنقاً للمذهب البروتستاني. وكان في طليعة المنظّرين لنظريّة التّساهل. وألّف رسالة أسماها (التّساهل العامّ) وتُبتنى نظريّته على أساس الأخلاق.

وكان يعتقد بأنّ الأخلاق عادة يشترك فيها جميع النّاس، وقوام المجتمع يتوقف على الالتزام بالأصول الأخلاقيّة. وهذه الأصول الأخلاقيّة غير الأصول الدينيّة. وأيّ مسألة دينيّة تتنافى مع الأخلاق يجب رفضها. وحيث إنّ تعذيب المخالفين في العقيدة كالملحدين يتنافى مع الأخلاق، لذلك يلزم التّسامح مع الملحدين. و حاول تفسير الكلام المنقول عن السيّد المسيح عليه السلام في الإنجيل من مثل (سوقوهم حتى يؤمنوا)، وهو الكلام الذي كانت الكنيسة على أساسه تفتي بأعمال الإرهاب واستعمال القوّة القهريّة لجلب الآخرين إلى حظيرة الإيمان، حاول بيل تفسير ذلك الكلام، بأنّ مقصود السيّد المسيح هو دعوتهم إلى الدين بالأدلّة الإقناعيّة لا باستعمال القوّة، فان هذا الشيء يتنافى مع الأخلاق. وكان يقول بفصل الأخلاق عن الدّين. ويرى ان الذين صنعُوا الحروب الصليبيّة هم مسيحيّون ملتزمون، إلّا أنّهم قاموا بإرتكاب أبشع الأعمال المضادّة للأخلاق.

والركيزة الثانية لنظريّة بيل هي عجز العقل عن معرفة الحقائق، وأنّ الناس نظراً إلى اختلافاتهم الذهنيّة والبيئيّة والثّقافيّة يرون الحقيقة بأشكال متعدّدة. وعليه فليس لأحد دعوى الحصول على الحقيقة المطلقة (البلوراليّة النظريّة).

وبيل لم تسلم نظريته ومبانيه من الإشكالات العديدة الّتي وجّهت إليه من قبل المفكّرين[1].

(١) راجع كتاب (تساهل وتسامح اخلاقى، دينى، سياسى) محمود فتحعلى ص ١١٤ ـ ١١٧ ط:قم ١٣٧٨ ش.

٣ـ ميل، جون استوارت (١٨٠٦ ـ ١٨٧٣م Mill ،Jhon Sturt): ولد في لندن وكان من المنظّرين لفكرة التّساهل وألّف كتاباً سمّاه (في باب الحرّيّة) (OnLiverty)وتبتنى نظريته على دعامتين:

الأولى: أصالة الفائدة والنفع (Utilitarjanism).

والثانية: أصالة الفرد.

وانطلاق من الدّعامة الأولى إلى أنّ التّساهل ينسجم مع اصالة الفائدة وعدم التساهل خلاف النفع. وكلّ ما يجرّ النفع إلى الإنسان يسبّب وصوله إلى السعادة.

ومن الدعامة الثانية إلى أنّ مراعاة حريّة الإنسان في اختيار عقيدته من لوازم أصالة الفرديّة، فلا يجوز مزاحمته في اختيار عقيدته أيّاً كانت. لأنّ حريتهالفرديّة يجب أن تحترم على أيّ حال. والعقيدة سواء كانت صائبة أو خاطئة يجب أن تحترم ولا يمكن قمعها. ثمَّ إنّ فسح المجال لطرح العقائد المتعارضة يوجب مناخاً لاختيار العقيدة الأحسن والأصوب.

ويجب أن نؤكّد بأنّ نظريّة التساهل عند ميل ليست مطلقة بل هي محدودة بمراعاة فردية الآخرين، فإذا أضرّ التّساهل بحقوق الآخرين وفرديتهم يجب أن يحدّد.

والظاهر أن هذه النظريّة من جملة المنطلقات لمدرسة اللّيبرالية الغربيّة.

ثمّ إنّ هناك بعض المفكرين الغربييّن مثل جيمز فيتزاتسيون عارض آراء ميل وكتب كتاباً لنقد آرائه سمّاه (الحريّة والمساواة والأخوّة)[1].

تقييم نظريّة التّساهل وآثارها على الحضارة الغربيّة

نحن لسنا الآن في صدد دراسة المباني الفكريّة الّتي ترتكز عليها نظريّة

---

(١) راجع كتاب (تساهل وتسامح) محمود فتح عليّ ص ١٢٦ ـ ١٣٠ وكتاب خداوندان انديشهسياسى ص ١١٥.

التّساهل كالمعرفة النسبيّة والبولوراليّة والعلمانيّة والليبراليّة وماشابهها، ووضعها في ميزان النقد والتقييم النظري، إلّا أنّنا نرجّح إلقاء الضوء على الآثار العمليّة الّتي ترتّبت على سيادة هذه النظريّة ورواجها في الحضارة الغربيّة.

لاشكّ أنّ هذه النظريّة خلقت بالتّدريج روح التّسامح عند أبناء الغرب تجاه العقائد المختلفة، وساهمت في إعطاء الحرّيّة لأصحاب الاتّجاهات المتعدّدة الدينيّة والسّياسيّة والعلميّة، في عرض أفكارهم ونشرها، خاصّة مع التّقدم التكنولوجي الذي حدث متزامناً مع رواج تلك النظريّة في الحضارة الغربيّة. فقد أصبح من العسيرأو المتعذّر جدّاً إغلاق الأجواء على أهل الأفكار والمدارس المخالفة بالمرّة، أللّهم إلّا من طريق التعتيم الإعلامي المضاد وتسيير الرّأي العامّ على وفق الأهداف المطلوبةلقادة الإعلام وضدّ الأفكار المناوئة.

كما نجحت تلك النّظريّة في وضع القوانين الجزائيّة والمدنيّة وفقاً لميثاق حقوق الإنسان ولغو القوانين القاسية في مجال الجزاء. وشاركت في تقليص دور الكنيسة بل الحد من غطرستها وإلغاء سيادتها على الإجتماع والسّياسة والثقافة، على خلاف ماكانت عليه في القرون الوسطى.

ولكن هل نجحت نظريّة التّساهل في القضاء على روح الإرهاب وخلق مجتمع خالٍ من العنف والتّعسّف ومليء بالأمن والاستقرار ؟

الواقع المرّ لتاريخ الغرب، خاصّة في القرنين الأخيرين، والذي حاولنا إعطاء صورة مقتضبة عنه في الفصل السّابق، أحسن شاهد على عدم نجاح هذه النظريّة في المهمّة الأولى الّتي وضعها المنظّرون من أجلها، ألا وهي مكافحة الإرهاب والعنف!

وهذه الحالة، ليس فقط أنها لم تعالج، بل ازدادت ضراوة واتّساعاً لم تشهد لها الإنسانية نظيراً في تاريخها. وإحصائيات القتلى والمجروحين والتّدمير الشامل في الحربين العالميتين الأولى والثانية أكبر برهان على ذلك، مضافاً إلى اتّساع حجم الاغتيالات السّياسيّة وخطف الطائرات وحجز الرّهائن والاعتداء

السافر على أهل الدّيانات الأخرى، كما حدث في البوسنة والهرسك في الأعوام الأخيرة، وهذا كلّه حدث في نفس البلدان الغربيّة. وأمّا ما أتحفه الغرب بعد رواج تلك النظريّة إلى العالم الشرقي والإفريقي، وخاصّة في البلدان الإسلاميّة من استعمار واعتداء وقتل وتشريد ونهب للثروات، فحدّث عنه ولا حرج، فإنّ ذلك حديث ذو شجون!

والسّرّ في عدم نجاح نظريّة التّساهل يكمن في عدم إلمام المفكّرين بالدّوافع الرّئيسة لنشوب الحروب واستعمال المجرمين لأعمال العنف والإرهاب. إنّهم خالوا أنّ السّبب الرئيسيّ هو التّعصّب الديني والالتزام المذهبي فوجّهوا حِرابهم نحو ذلك. وحسبوا أنّ العلاج الوحيد هو بثّ روح التّساهل والدّعوة إلى الانسلاخ عن العلائق المعنويّة والجنوح إلى الوشائج الماديّة.

ولعلّ التّاريخ يعذرهم بذلك الانزلاق، لأنّهم لم يفتحوا أعينهم إلّا في أحضان الكنيسة المتّسمة بالانحراف عن المبادئ السّماويّة، والواقعة في أيدي أناس يحمل الكثير منهم روح الإجرام، والهُوِيّ في المستنفعات الماديّة، والارتطامٍ في الجهل والحماقة والقيام بأعمال العنف والإرهاب، وشنق العلماء وإحراق المفكرين باسم الدين، وعرض الأفكار الخرافيّة باسم الكلام السّماوي. وكانوا لا يرون معنى الدين إلّا من خلال الفلسفة الإسكولاستيكيّة، ولايرون مصداقاً للشريعة إلّا القوانين الجافّة والمعوجّة التي يروّجها رجال الكنيسة. ولم يكزنزا قد سمعوا باسم دين جامع ملؤه الرحمة للبشريّة وإسعادهم في الحياة الدنيا والآخرة، والرفع من مقام العلم والعلماء ومنح الحرّيّة الحقيقيّة والصحيحة في مجال العقيدة والسياسة والفرد والإجتماع، ومنع التعصب المقيت ومكافحة الظّلم والفجور.

نعم لربّما لو سمع أولئك المفكّرون بالإسلام، وعرفوا مزاياه وكمالاته لجنحوا إليه، استبدلوه بالمسيحيّة المحرّفة وساقوا الناس إلى منهجه، كما صنع أضرابهم من الغربييّن نظير (جان ديون بورت) و(مونت مرى وات Montgery Wiliam)

Watt) و(غوستاف لوبون) وغيرهم.

وعلى أيّ تقدير، سواء لم تتمّ على دعاة التّساهل الحجّة الإلهيّة، أو تمّت لكنهم تساهلوا في أمر الفحص عن الحقيقة، ووقفوا مبستميتين في مقابل الدّين، زعماً منهم أنّه هو السبب لذلك الوضع المأساوي، ولم يلتفتوا إلى أنّ الإرهاب والعنف القائمين على قدم وساق، سواء في أروبا أو أيّ مكان آخر، لهما أسباب حقيقيّة تكمن في الطبيعة البشريّة، حيث الأنانيات والأطماع التوسعيّة وحبّ الاستعلاء والطغيان من أجل تخيّل الاستغناء عن الله ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦ - ٧]، والقوّة الغضبيّة ما لم يجمحها جامح من العقل، والنّفس الأمّارة بالسوء إذا لم تكن تتربّى في مدرسة الإيمان بالله وفق الموازين التربويّة الصحيحة.

ونتيجةً لغفلتهم أو تغافلهم عن تلك الأسباب الحقيقيّة، وعدم برمجتهم لضبطها أو التخفيف من وطأتها، استغلّ الطغاة وأصحاب القدرة تلك الأجواء والظّروف المؤاتية بسبب شيوع روح التّساهل ورُقيّ التّكنولوجيا، فاستخدموا العلم والعلماء المتخصّصين لصنع أسلحة الدّمار الشامل وحتّى القنبلة الذريّة، فسعّروا نيران الحروب، ونفخوا في كير الإرهاب، وصنعُوا المجازر وصبغوا الأرض بالدّم الأحمر!

ولم تنحصر ويلاتٍ مدرسة التساهل في هذا، فإنّها مهّدت الأرضيّة لهبوط المجتمع الغربيّ من سُلّم الارتقاء نحو سماء الأخلاق الفاضلة، وسقوطه في مستنقعات المادّيّة العمياء وعبادة شيطان الأرض، فلم يلاقوا من جرّاء التّساهل إلّا تفكّك العرى الأخلاقيّة في مجال الفرد والمجتمع خاصّة في مجال الأسرة، حيث بَرَد دفء العاطفة في كانون الأسرة، وتقطّعت أواصر المحبّة بين الزوج وزوجته وأولادهما وأرحامهم. واستشرت الأمراض النفسيّة الناشئة عن التربية الخاطئة والتّعقيدات الروحيّة، فكثر الانتحار خاصّة بين الفتيان والفتيات، مضافاً إلى تصاعد إحصائيّات الإجرام والنّهب والسّلب وانتشار الفسق والمجون،

وانحطاط المرأة من أوج كرامتها إلى أحضان الرجال كألعوبة يُستفاد منها في إطفاء نيران شهواتهم والوصول إلى مآربهم السّياسيّة والاقتصاديّة. وهذا كلّه فعلوه باسم الحركة النسوية(Femenisme) و تحريرها وإعطائها حقّ المساواة بالرجال، الأمر الذي أودى بالحضارة الغربيّة إلى مشارف السقوط والانهيار!.

هذا الواقع المأساوي هو ما أدركه الوعاة من العلماء الغربيّين أنفسهُم، فجعلوا يصرخون بأعلى أصواتهم وينذرون مجتمعهم بالهلاك والانحطاط.

من بينهم نذكر نموذجاً واحداً ألا وهو المفكّر الأميركي رابرت رينجر (Robert. l. Ringer) الذي نشر كتاباً عام ١٩٨٣ حول انهيار الحضارة الغربيّة[1] نذكر هنا نماذج من كتابه القيّم باعتبار أنّ مؤلفه تربّى في أحضان تلك الحضارة، بل هو وليد فيها وتعتبر شهادته من قبيل (وشهد شاهدٌ من أهله).

يقول حول ظاهرة الانتحار في أميركا: ينتحر في أميركا في كلّ عام بصورة متوسطة خمسة آلاف مراهقٍ وشابّ، أي في كلّ يوم ينتحر ثلاثة عشر منهم.

ومنذ عام ١٩٦٠ إلى هذا الحين ازداد عدد المنتحرين ضعفين. والمنتحرون تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والأربعة والعشرين عاماً. وكان انتحار٣٢٪ من ذلك العدد (٥٠٠٠) يختصّ بالمراهقين المتراوحة أعمارهم بين العشرة والرابعة عشرة إلى عام (١٩٧٦)[2].

وقال حول دور السينما وما حلّ بها نتيجة لسياسة التّساهل من تفسّخ خلقي وعرض أفلام مستهجنة: إن الفوضى الجنسيّة وحريّة الخلاعة، السكْس، وصلت

---

(١) عنوان الكتاب بالانجليزيّة:

(How You Can Find Happiess Durting the Collaps of Western Civili Zation)

و قد ترجمه أحمد تقى پور بالفارسية تحت عنوان (فروپاشى تمدن غرب) أي انهيار الحضارة الغربية.

(٢) فروپاشى تمدن غرب، رابرت جى. رينكر، ترجمه احمد تقى پور ص ٢٠، طهران: م، ١٣٦٥. نقلاً عن كتاب: غرب شناسى، سيد احمد رهنمائى ص ١٥١-١٥٢.

إلى حد اضطرّت فيه القطاعات المختلفة في المجتمع إلى قبولها بتصوّر أنّها يجب أن تكون بهذه المثابة[١].

وقال حول انتشار جريمة القتل بين الشباب والمراهقين الذين فقدوا تربية صحيحة إثر انهيار نظام الأسرة والتّساهل بالنسبة إلى الأصول الأخلاقيّة والدينيّة: إنّ المراهقين صاروا على مشارف السقوط والانهيار فإنّ بعضهم اعتاد على قتل زملائهم إرضاءً لأهوائهم. فإنهم حين تجوّلهم في الشوارع والأزقّة وبأدنى ذريعة حمقاء وبدون أيّ ذريعة أحياناً يلطّخون أيديهم بدماء النّاس ويتلقّون ذلك نوعاً من الرّياضة والتّنزه!.

ويقول محذّراً بالنسبة إلى انهيار نظام الأسرة: لعلّ أسوأ شيءٍ وأفظع خطر يهدّد الحضارة الغربيّة هو الأوضاع غير المطلوبة في الأسر. فإنّ العوائل بدأت تنهار واحدة تلو الأخرى، وما أعظمه من خطرٍ، هذا الانهيار![٢].

ويقول منتقداً النظام التربوي القائم في مدارس أمريكا حيث يفصلون عمليّاً الأولاد عن عوائلهم، ويعبثون بهم بما يريدون: (إنّهم لقّنوا أولياء الأطفال بأن لا يتدخّلوا في مسائل ومشاكل أولادهم. حيث لا ضرورة في أن يتقبّلوا مسؤوليّتهم، وذلك لأنّ الدولة قد التزمت بذلك. كما يلقّنون الأطفال أنفسهم في بداية دخولهم إلى المدرسة، حينما يقدّمون طعاماً مجانيّاً لهم بأن لاينتظروا شيئاً من آبائهم وأمّهاتهم، وعليهم أن يرفعوا حاجاتهم إلى الدّولة فقط!)[٣].

هذا غيضٌ من فيض ما يجري في أميركا. ويمكن مشاهدة مثله أو الأفظع منه في البلدان الغربيّة الأخرى. كلّ ذلك حدث إثر المدنيّة الجديدة المرتكزة على عدّة دعائم، منها نظريّة التّساهل.

---

(١) فروپاشى تمدن غرب، رابرت جى. رينكر، ترجمه احمد تقى پور ص ٢٠، طهران: م، ١٣٦٥. نقلاً عن كتاب: غرب شناسى، سيد احمد رهنمائى ص ٢١ و ٢٢.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٥.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٥.

دور المستغربين في تسريب سياسة التّساهل إلى البلدان الإسلاميّة

إنّ من محاور سياسة الغزو الثقافي الغربي الذي يراه المستعمرون ضروريّاً لسيطرتهم على البلدان الإسلاميّة تسريب سياسة التّساهل والتّسامح إلى تلك البلدان، والهدف منها بث روح الفتور وذبح الغيرة والتّحمّس الديني والوطني على أعتاب مصالح الاستعمار، وتخدير الأفكار وإيجاد الميوعة والجنوح إلى الخلاعة والانسلاخ عن مبادئ التقوى، والابتعاد عن مباني العقيدة، والتّمهيد لقبول الثقافة الغربيّة، ونزع روح النشاط والدفاع الدّينيّ والوطني، خاصّة في ما بين الجيل الجديد حتّى يتمكن الغزاة من الوصول إلى مآربهم من دون أن يواجهوا أيّ مقاومة جادّة في طريقهم.

والعوامل الّتي يستفيد منها المستعمرون في هذا المجال كثيرة، أهمها الاستفادة من العناصر الوطنيّة المنبهرة أمام الثّقافة الغربيّة والمعتقدة بها، بحيث يمكن اعتبارهم من المستغربين. وهؤلاء يرفعون شعار الإصلاح، الذي ينطلي على كثير من السُّذَّج من النّاس، فيحسبونهم مصلحين صادقين ولم يعلموا بأنهم هم المفسدون. وهؤلاء المدّعون للإصلاح يزمّرون ويطبّلون لنظريّة التّساهل الغربيّة، ويحاولون إضفاءَ لباس المشروعيّة والإسلام عليها، ويستندون إلى بعض النّصوص الدينيّة كالحديث النبوي الشريف «**إنّما بعثت بالشّريعة السّمحة السّهلة**».

والحال أنّ هذا الاستناد يعتبر نوعاً من التّفسير بالرّأي والتّفكير الالتقاطي. لأنّ بين التّساهل الغربي الذي شرحناه في هذا الفصل والسّماحة والسّهولة في الشريعة الإسلاميّة بوناً بعيداً. سوف نتعرّض إن شاء الله في فصل خاصّ إلى شرح معنى السهولة الإسلاميّة، وكذلك الرّفق والمداراة ونبيّن الفوارق بينها وبين نظريّة التّساهل والتسامح الغربيّة.

المحور الرابع:

الإرهاب والعنف في التاريخ الإسلامي القديم والمعاصر

المقصود من الكلام في هذا المحور ليس تبيين موقف الإسلام من الإرهاب والعنف، فإنّ هذا المعنى هو الغاية من وضع هذا الكتاب. وسوف نتعرّض لهذه المسألة بعد إكمال البحوث التمهيديّة إن شاء الله. ولكنّ المقصود هنا الإشارة الخاطفة إلى الحكومات والحركات والتّنظيمات الّتي عرفت بممارستها لعمليات الإرهاب والعنف في تاريخ الإسلام خاصّة في القرن الحاضر. ولاشكّ أنّها لا تمثّل وجهة نظر الإسلام. بل إنّ بعضها منبوذ عند المشترعين، وقد تبرّأ من بعضها جميع الفرق الإسلاميّة من أهل السنَّة والشّيعة. كما قد يوجد من بينها من يعتبر عمله إسلاميّاً، لأنه ناشئ عن المبادئ الإسلاميّة الصحيحة، ولا يعتبره المتشرّعون عملاً إجراميّاً، بل هو جهاد في سبيل الله لدفع هجمات المعتدين، أو للإطاحة بحكم الظالمين.

ولنبدأ أوّلاً بذكر نماذج من الحكومات المعروفة بالإرهاب والتّعسّف في تاريخ الإسلام الغابر والحاضر، ثمّ نكر الكرّة على الحركات والتنظيمات.

الفصل الأوّل

الحكومات الإرهابيّة

ونشير في هذا الفصل إلى نماذج من إرهاب الحكومات في تاريخ الإسلام الغابر والحاضر.

١ـ الإرهاب الأُمويّ:

حكومة الأمويّن الّتي بدأت من عام ٤١هـ وانتهت عام ١٣٢هـ، تستند في الواقع، إلى حزب سياسيّ مضادّ في جوهره للإسلام، إلّا أنّه ظهر بمظهر الخلافة الإسلاميّة، ألا وهو الحزب الأمويّ.

ومؤسّسوا هذا الحزب هم أبوسفيان ونجلاه يزيد ومعاوية. وكانوا يقودون جبهة الشّرك ضدّ الإسلام في الحروب التي أُضرمت بينهما كبدر وأحد والأحزاب، إلى أن فُتحت مكّة واضطرّوا إلى إظهار الإسلام حاملين الكفر في مكامن قلوبهم كماقال أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

«فوالذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر فلمّا وجدوا عليه أعواناً أظهروه»[1].

ضحايا إرهاب معاوية بن أبي سفيان

تمكَّن بنو أميّة من النفوذ في هيكل الحكم الإسلامي ببركة تسامح الخلفاء. ولمّا بايع الناس عليّا عليه السلام بغى معاوية عليه وشنّ عليه حرب صفّين التي قتل فيها حوالي سبعين ألفاً من أهل الشام والعراق[2]. كما كان لمعاوية دور بارز في تحريض الناكثين وشن معركة الجمل الّتي راح ضحيّتها أربعة عشر ألفاً من الفريقين[3].

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب رقم ١٦.

(٢) وقعة صفين، لابن مزاحم ص ٥٥٨.

(٣) النص والاجتهاد، السيّد عبدالحسين شرف الدين ص ٣٤٣.

وكذلك كان له الدور الفعّال في إثارة فتنة الخوارج وتسعير نار حرب النهروان التي راح ضحيتها حوالي أربعة آلاف نسمة.

وأمّا الذين قتلوا في الغارات الّتي شنّها معاوية على العزّل من النّاس على العراق والحجاز واليمن زمن أمير المؤمنين عليه السلام، فقد بلغوا مئة ألف بينهم الأطفال والنّساء والشيوخ. وكانت في طليعة تلك الغارات غارة بسر بن أرطاة على مكّة والمدينة واليمن حيث قتل حوالي ثلاثين ألفاً من المسلمين منهم طفلا عبيدالله بن العبّاس[1].

ولا تنحصر ضحايا الإرهاب الأموي زمن معاوية بذلك العدد الهائل، لأن سياسته الإرهابية استمرَّت طوال عشرين سنة حينما تولّى الخلافة، فراح حوالي مئة ألف ضحيّة لتلك السياسة الغاشمة في السجون أو المجازر الجماعيّة مثل مرج عذراء الذي قتل فيها حجر وأصحابه، كما أنّ يد معاوية تلطّخت بدم السبط الأكبر الحسن المجتبى عليه السلام حيث قضى عليه معاوية بالسّم على يد زوجته جعدة بنت الأشعث.

ضحايا إرهاب يزيد بن معاوية

بعد أن استولى يزيد، وهو المعروف بشرب الخمور والمعلن للفسق والكفر، بعد أبيه معاوية، على سدة الحكم، قام بعمليّات إجراميّة لم يشهد تاريخ البشريّة مثلها فظاعة وقساوة.

أوّلها: قتل السبط الشهيد الحسين بن عليّ عليه السلام وأهل بيته وأصحابه في كربلاء، وقطع رؤوسهم، ودوس جثثهم المجزّرة بسنابك الخيل، وحمل رؤوسهم على الرماح إلى الكوفة ومن ثَمَّ إلى الشام، وأسر حرمه وأطفاله...

وثانيها: مجزرة واقعة الحرّة في المدينة وقتل المئات من صحابة رسول

(١) راجع أنساب الأشراف للبلاذري ج ٢ / ٤٥٣، ٨٥٤، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ / ١١٩-١٢١.

اللهﷺ والألوف من أبنائهم وأحفادهم واستباحة نساء المدينة لجيش الشام بقيادة مسرف ابن عقبة[1].

وثالثها: مجزرة مكّة وضرب الكعبة بالمنجنيق وهدمها والقضاء على ثورة عبدالله بن الزبير واستباحة حرم مكّة الآمن. وهذه المجازر قام بها يزيد خلال ثلاث سنوات حكمه الغاشم.

ضحايا إرهاب الحجّاج بن يوسف الثقفي

الحجّاج بن يوسف الثقفي هو الذي ولّاه عبدالملك بن مروان والوليد بن عبدالملك على العراق.

وكان تأمّره على النّاس عشرين سنة، وأُحْصَي من قتله صبراً سوى من قُتل في عساكره وحروبه، فوُجد مائة وعشرون ألفاً، ومات وفي حبسه خمسون ألف رجل، وثلاثون ألف امرأة، منهن ستة عشر ألفاً مجرّدة، وكان يحبس النساء والرجال في موضع واحد، ولم يكن للحبس ستر يستر الناس من الشمس في الصيف ولا من المطر والبرد في الشتاء، وكان له غير ذلك من التعذيب[2].

أعظم ضحايا إرهاب بني أميّة هم ذريّة رسول الله ﷺ:

وأعظم الضحايا في دولة بني أميّة هم أبناء رسول الله ﷺ وخيرة الأمّة من أهل البيت عليهم السلام الحسنان وعليّ بن الحسين عليه السلام ومحمّد بن عليّ الباقر عليه السلام الذين قتلوا بالسّم ما خلا الحسين عليه السلام الذي قتلوه بالسيف عطشان غريباً.

٢ـ الإرهاب العباسيّ:

استولى بنو العبّاس على الحكم بعد سقوط بني أميّة عام ١٣٢ إلى ٦٥٦ هـ. واستمرَّ حكمهم خمسمئة وأربعاً وعشرين سنة وما فعلوه من إجرام في السجون وخارجها، فالتاريخ الإسلامي حافل بذلك. وأكبر ضحاياهم وأفظعها تنكيلهم

(١) مروج الذهب للمسعودي ج ٣/ ٨٢-٨٤.
(٢) المصدر نفسه ج ٣/ ١٨٧.

بأئمّة أهل البيت عليهم السلام وذراريهم وشيعتهم. فقد قتلوا ستّة من أئمّة أهل البيت عليهم السلام وهم جعفر الصادق عليه السلام وموسى بن جعفر الكاظم عليه السلام وعليّ بن موسى الرّضا عليه السلام ومحمّد بن عليّ الجواد وعليّ بن محمّد الهادي والحسن بن عليّ العسكري عليهم سلام الله.

وقد قاموا بجرائم يندى لها جبين الإنسانيّة.

ولله در القائل:

والله مافعلتْ أُميّةُ فيهمُ معشارَ ما فعلتْ بنو العبّاسِ

وإليك نماذج من جرائمهم:

روى المؤرِّخون: (أنّ المنصور الدوانيقي كان يجلس ويُجلِس إلى جانبه واعظاً، ثمَّ تأتي الجلاوزة في أيديهم السيوف يضربون أعناق الناس، فإذا جرت الدّماء حتى تصل إلى ثيابه، يلتفت إلى الواعظ ويقول: عظني ! فإذا ذكّره الواعظ بالله، أطرق المنصور كالمنكسر !! ثمّ يعود الجلاوزة إلى ضرب الأعناق، فإذا ما أصابت الدماء ثياب المنصور ثانياً قال لواعظه: عظني) !

ويقول المسعودي: (جمع المنصُور أبناء الحسن، وأمر بجعل القيود والسلاسل في أرجلهم وأعناقهم، وحملهم في محامل مكشوفة وبغير وَطاء، تماماً كما فعل يزيد بن معاوية بعيال الحسين عليه السلام. ثمَّ أودعهم مكاناً تحت الأرض لا يعرفون فيه الليل من النهار، وأشكلت أوقات الصلاة عليهم، فجزّأوا القرآن خمسة أجزاء، فكانوا يصلّون على فراغ كلّ واحد من حزبه، وكانوا يقضون الحاجة الضرورية في مواضعهم، فاشتدّت عليهم الرائحة، وتورّمت أجسادهم، ولايزال الورم يصعد من القدم حتّى يبلغ الفؤاد، فيموت صاحبه مرضاً وعطشاً وجوعاً)[1].

---

(١) الشيعة في موكب التاريخ، آية الله الشيخ السبحاني ص١٢٣ـ نقلاً عن مروج الذهب ج ٣ص ٣١٠ ط ١٩٤٨.

وقتل الهادي العباسي الحسين بن عليّ الخير وأصحابه في مكّة في مجزرة فخّ، ومقبرتهم المسمّاة بالشهداء في مكّة المكرّمة، وتسمّى الآن بمقبرة عبدالله بن عمر بالقرب من شارع الشهداء ومسجد التنعيم.

وروى الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام بسنده عن حميد بن قحطبة الطائي أنّه قُتل في ليلة واحدة بأمر الرشيد في طوس ستّون نفساً من العلويين وطُرِحَتْ أجسادهم في بئر هناك[1].

٣ ـ الإرهاب العثماني:

العثمانيُّون سلاطين أتراك، تسمّوا باسم مؤسّس سلالتهم عثمان الأوَّل. تولَّوا الإمارة (١٣٢٦ ـ ١٥١٦م) ثمَّ الخلافة (١٥١٦ ـ ١٩٢٤م). وكانت هذه الدولة أيضاً مليئة بالمجازر ومذابح الأبرياء وانتهاك الحرمات، خاصّة وأنّ بعض سلاطينهم كالسلطان سليم صبّوا جامَّ غضبهم على أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام بسبب فتوى بعض وعّاظ السلاطين ضدَّ الشيعة بتهمة الخروج عن الإسلام.

وقتل السلطان سليم العثماني من الشيعة في الأناضول أربعين ألفاً، وقيل سبعين ألفاً لم يكن لهم ذنب سوى أنَّهم شيعة[2].

وبعد أن حكم الشيخ نوح الحنفي بوجوب قتل الشيعة قُتل عشرات الآلاف منهم في حلب[3].

وفي زمان تلك الدولة، قتل الشهيد الثاني صاحب شرح اللّمعة الدمشقيَّة، كما قضى الجزّار حاكم عكا بالقرب من جبل عامل على كثير من الشيعة وسفك دماء علمائهم وشرّد الكثير منهم عن أوطانهم[4].

---

(١) أعيان الشيعة ج ٢ / ٢٩.

(٢) أعيان الشيعة ج ١، المقدمة الثانية ص ٣٠، الطبعة الخامسة، دار التعارف، بيروت.

(٣) ترجمة (الشيعة والحاكمون)، الشيخ محمدجواد مغنية، عن الفصول المهمّة.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢١٩.

ومن المشرَّدين من جبل عامل الشيخ إبراهيم يحيى يصوّر لنا الأوضاع المأساويّة الّتي حلّت بهم، في قصيدته التي بقيت وثيقة تاريخيّة، منها:

مضى مامضى والدهرُ بؤسٌ وأنعُمُ ... صبرُ الفتى إنْ مسّهُ الضُرُ أحزمُ
يعزُّ علينا أنّ نروح ومصرُنا ... لفرعون مغنىً يصطفيهِ ومَغنمُ
منازلُ أهلِ العدلِ منهم خليةٌ ... وفيها لأهلِ الجور جيشٌ عرمرمُ
وعاثت يدُ الأيامَ فينا ومجدُنا ... وبالرغم منّي أنِ أقولَ مُهدَمُ
ولستَ ترى إلّا قتيلاً وهارباً ... سليباً ومكبولاً يُغلّ ويُرغَم
وكم عالم في عالم طوّحت به ... طوائحُ خَطْبٍ جرحُها ليس يلأم
وأصبحَ في قيد الهوان مكبّلاً ... وأعظمُ شيءٍ عالم لايُعظَم
وكم من عزيز ناله الضيم فاغتدى ... وفي جيده حبلٌ من الذل محكم
وكم هائم في الأرض تهفوا بلبّه ... قوادمُ أفكار تغورُ وتُتهمُ
ولمّا رأيتُ الظّلم طال ظلامهَ ... وانّ صباح العدل لايتبسّم
ترحّلت عن دارِ الهوانِ وقلّما ... يطيبُ الثوى في الدار والجارُ أرْقَم
تملّكها ـ والملكُ لله ـ فاجرٌ ... سواءٌ لديه ما يحلُّ ويحرُم
عُتُلٌ زنيمٌ يظهرُ الدين كاذباً ... وهيهات أن يَخفَى على اللهِ مُجرِمُ

٤ـ الإرهاب البهلويّ:

وهي الحكومة الّتي حكمت إيران منذ عام ١٣٠٤ ش (١٩٢٥م) الى١٣٥٧ ش (١٩٧٨م). أسّسها رضا خان، وسقطت بسقوط ولده محمدرضا شاه بسبب الثورة الإسلاميّة التي فجّرها الشعب المسلم الإيراني بقيادة الإمام الخميني + . والجرائم التي ارتكبتها هذه السلالة في حقّ هذا الشعب لا تعد، أفظعها المجازر الجماعيّة الّتي أُجريت على أيدي مرتزقة الشّاه في الشّوارع، والمشانق والتعذيبات المريرة التي كان السافاك يقوم بها ضدّ الأبرار في السجون وقد استشهد على أيدي هذه الحكومة زهاء ستين ألفاً، منهم العلماء والفقهاء والمفكّرون كالشهيد آية الله المدرس والشهيد السيّد مجتبى نواب الصفوي والشهيد آية الله السيّد السعيدي والشهيد آيةالله الشيخ الغفاري. وسُجن ونُفيَ الآلاف عن أوطانهم

على رأسهم الإمام الخميني الذي سجن وحوصر ونفي حوالي ١٥ عاماً إلى أن منّ الله على الشعب المسلم الإيراني بالنّصر والظّفر، ورجع الإمام ظافراً. وألقى الشعب المسلم بثورته العارمة نظام الشاه في سلّة مهملات التاريخ، وأسّس نظام الجمهوريّة الإسلاميّة في هذا البلد.

٥ ـ الإرهاب الصدّامي العفلقيّ:

تسلّق صدّام حسين نظام الحكم العراقي على مدرجة حزب البعث العفلقيّ. وبعد أن قضى على أحمد حسن البكر بالسّم، تصدّى لرياسة الجمهوريّة عام ١٩٧٩م، وقام بإرهاب لم يشهد له التاريخ مثيلاً، فملأ السجون والزّنزانات وقضى على مئات الألوف، إن لم يكونوا بالملايين في السّجون والمجازر الجماعيّة البشعة، أو تحت أقسى أنواع التعذيب. وقام بتدمير العراق وصرف خيرات البلد في سبيل إرساء دعائم حكمه وملاذه. ومن جرائمه السوداء فرض الحرب على الجمهوريّة الإسلاميّة الفتيّة التي راح ضحيتها حوالي مليوني نسمة من البلدين. ولم يكتف بقصف المدن الإيرانيّة بالصّواريخ، بل قام بقصف بعض مدن العراق بالقنابل الكيماويّة، كما قتل خمسة آلاف نسمة في مدينة حلبجة العراقيّة. وقد أسدى خدمة لأميركا وإسرائيل لا تُنسى بفرض الحرب على إيران. وأعطى لأميركا الذّريعة الكاملة في التدخل العسكريّ واحتلال الخليج الفارسيّ بغزوه الكويت وتدمير ذلك البلد وإرعاب أهله الآمنين.

وكان عناده الشديد متوجّهاً إلى شيعة العراق أوّلاً ثمَّ إلى الأكراد ثانياً. وكان مولعاً بسفك الدّماء بشكل منقطع النظير ومتمرّساً في تعذيب الأبرياء. وقد كشف بعض أزلام صدّام الفارّين من حكومته جوانب من قسوته وشهوته الدّمويّة، منهم ميخائيل رمضان الذي لعب دور شبيه صدّام مدة ١٩ عاماً وهرب أخيراً وكتب كتاباً حول خاطراته في تلك الأعوام.

وإليك نماذج من تلك الخواطر:

١ـ بعد غزو الكويت وقصف قصر صدّام في إحدى الحملات الجوّيّة لقوّات الائتلاف، ذهب إلى السجن ليشفي غليله، فجيء بثلاثين من الثوريّين الشيعة فصفّاهم وسفك دماءهم بنفسه بـ(اليوزي). ثمَّ جيء له بثلاثين من ذلك النمط فقضى عليهم. لكنّ نهمته لم تنقض إلى أن جيء له بخمسين من الأكراد ففعل بهم مثل ما فعل بنظرائهم من الشيعة. ثمَّ نظر إلى الجثث الملطّخة بدمائها وأرسل ضحكات جنونيّة عالية وذهب(١).

٢ـ ذات يوم أراني الكتاب الّذي كتبه لولده قُصيّ ظنّاً منه أنّه سوف يكون الحاكم بعده في العراق، وفيه وصايا لكيفيَّة الحكم، منها:

أوّلاً: لا تعتمد على أحد حتى على أبنائك.

ثانياً: أمعِنْ في القتل حتى يقول لك الناس: سفّاح، فإنّهم لا يخشون إلّا السّفّاح.

ثالثاً: من ظننت أنّه ضدُّك فلا تُبق عليه.

رابعاً: لا تعتنِ بأيّ أصل من الأصول الأخلاقيّة.

خامساً: اضرب الشيعة ونكّل بهم ما استطعت فإنّهم العدوُّ الأوّل.

سادساً: نكّل بالأكراد فإنّهم من أعتى أعدائك.

سابعاً: قرّب أهل السّنّة بصورة عامة وخاصّة أهالي تكريت،إلّا أنك لا تعتمد عليهم كمال الاعتماد.

ثامناً: إنّ الحاكم الحقيقيَّ في العراق هو الأميركان.

وتاسعاً: إنَّ اليهود أصدقاؤنا الأقوياء، فاستفد منهم دائماً.

عاشراً: اقض على العشائر وأبنائها بكلّ ماتستطيع . . .

(١) ترجمة شبيه صدّام ص ١٣٥، ١٣٦.

٣ـ أُمرتُ من قبل صدّام بالتّجوّل في السجون من أجل فرض سيطرته هناك، فرأيت قضايا عجيبة ومخيفة جدّاً منها: وجود السّجّانين القساة الفاقدين لأيّ رحمة وعاطفة، ومنها مروري على زنزانة تحت الأرض فيها آلاف امرأة عارية تماماً يعتدى على شرفهنَّ يوميّاً ويذبح أطفالُهن الذكور ويُستحيي الأناث للعبث بهن! ومنها زنزانة مختلطة فيها النّساء والرجال يعذّبون، يوجد فيها الأساليب المختلفة للتعذيب الجسدي والروحي كالكراسي الكهربائيّة والأجهزة لقطع الأعضاء، والعقارب، كما يتعدّى على نواميس المسجونين بمرأى منهم، ورأيت طالباً دينيّاً سجيناً يأبى الاعتراف فأُتي بطفله وله أربع سنوات أُلقي في حوض من الأسيد وكان الطفل يصرخ وهو يلقط أنفاسه، والأب ليس له إلّا أن يردّد كلمة الاسترجاع إلى أنّ ذاب ولده في الحوض، والأب مستمرّ في مقاومته! كما رأيت سرداباً فيه أربعة آلاف امرأة، كلهن عاريات تحت التعذيب[1].

وكان صدّام يحمل حقداً خاصّاً على الشيعة ويخطّط لإزالتهم من العراق تماماً كما أمر مرّة بأن يُلقى السّم في مياه النجف وكربلاء للقضاء على أهل تَيْنَكَ المدينتين بالمرّة. إلّا أن بعض مستشاريه ثبّط عزمه بأن هذا الأمر ليس لصالحه وقد اقتنع. وكان يبجّل الحجّاج بسبب إبادته للشّيعة. وقد قام بالقضاء على الحوزات العلميّة وأعدم مجموعة كبيرة من فقهاء الدين والمفكّرين الكبار ومراجع التقليد أمثال هؤلاء الآيات: الشهيد السيّد باقر الصدر، وآل الحكيم والسيّد محمّد الصدر والميرزا عليّ الغروي والشيخ البروجردي والسيّد محمّد تقي الخوئي، وعشرات من الفضلاء ومئات من طلاب العلوم الدينيّة كما قام بتشريد الآلاف منهم وإيداعهم في السجون.

واستمرّ الأمر على تلك الحال إلى أن منّ الله على الشّعب العراقي بإزالة ذلك الكابوس بسقوط صدّام عام٢٠٠٣ فإنه استسلم بصورة مريبة لقوات الإحتلال

(١) ترجمه شبيه صدّام، ص ٢٠٧-٢٠٨ ـ ٢٠٩ ـ ٢١٠ ـ ٢١٣ ـ ٢١٤ ـ ٢١٥ ـ ٢١٧.

وانتهى كلّ شيءٍ ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

وحقّاً إنّ مصيره الأسود وعاقبته المظلمة لمن عِبَر التاريخ. فإنّ وقوفه ذليلاً تحت وطأة جنود الأمريكان، ومحاكمته في مجزرة الدّجيل، ثمَّ إعدامه شنقاً ممّا يجب أن يعتبر به كلّ الطّغاة والحكّام المجرمين.

الفصل الثاني

الحركات والتّنظيمات المسلّحة في التاريخ الإسلامي الماضي والحاضر

بعد أن ذكرنا نماذج من الحكومات المعروفة بالعنف والإرهاب، حان الوقت لكي نعرض الحركات والتنظيمات المسلّحة المعروفة في التاريخ الإسلامي، والمطروحة في السّاحة المعاصرة الّتي ادّعت الإسلام منهجاً في استعمالها للقوّة القهريّة إزاء خصومها، بصرف النظر عن كونها صادقة في ذلك الإدّعاء أو كاذبة، وانّها صائبة أو خاطئة.

وعليه فيمكن تقسيم تلك الحركات من حيث الاعتبار وعدمه إلى صنفين.

الصنف الأوّل: الحركات الّتي ادّعت الإسلام، والإسلام منها بريء وهي منبوذة عند أكثر المسلمين.

والصنف الثاني: الحركات الّتي اضطرّت إلى استعمال القوّة القهريّة من موقع المباني الفكريّة والفقهيّة الإسلاميّة كالدّفاع في مقابل المعتدين ومقارعة الظّلم والظالمين، وهي مورد تأييد أكثر المسلمين على الغالب.

ونشير هنا أوّلاً إلى الصنف الأوّل، ونذكر نماذج لذلك من القرن الأوّل الهجري كالمنافقين والخوارج، ومن القرون الوسطى الإسلاميّة، من القرن الرابع إلى السّادس، كالقرامطة وغيرهم من الحركات الباطنيّة، ومن القرون الأخيرة كالوهابيّة والقاعدة من السّلفييّن.

وإليك تلك النماذج من الحركات المصنّفة في الصنف الأوّل:

١ـ المنافقون:

المنافقون هم شريحة من شرائح النّاس ظهروا كتيّار مارد منذ انبثاق فجر المجتمع المسلم في المدينة. وهذه الشريحة كانت تتظاهر بالإسلام، إلّا أنّها تضمر الكفر. وكانت لها ارتباطات سرّيّة مع الكفّار والمشركين، وتشترك في مخطّطاتهم

لمكافحة الإسلام، وتقوم بأدوار عدائيّة كثيرة تتّسم بالدّجل والنّفاق من أجل التفريق بين عناصر المجتمع المسلم بذرائع مختلفة كالطائفيّة والعنصريّة وغيرها. وكان الإرجاف وإشاعة الأخبار الكاذبة من أجل تسعير نار حرب نفسيّة ضدّ المسلمين من جملة مخطّطاتهم وأعمالهم الإجراميّة. كما يقول سبحانه: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾[الأحزاب: ٦٠].

وكان المنافقون، للتغطية على أعمالهم العدائيّة ضدّ المسلمين، وارصاداً للمحاربين الكفرة، وللتفريق بين المؤمنين، عمدوا إلى تأسيس مسجد في مقابل مسجد قبا، وصفه القرآن بأنه مسجد ضرار. وأمر النبيّ ﷺ بهدمه والقضاء على مخطّطهم الإجرامي.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

وكان من أفظع مخطّطاتهم محاولة اغتيال رسول‌الله ﷺ. لذلك اضطرّ رسول‌الله ﷺ في السّنوات الأخيرة من حياته إلى اعداد حماية تحرسه من كيد المنافقين، وقد بقيت أسطوانة الحرس إلى هذا الزمان في مسجد الرسول ﷺ. فإنه حينما كان رسول‌الله ﷺ يخرج كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقف بحذائها لحراسة الرسول ﷺ حيث كان يجلس لاستقبال الضيوف والوفود.

كما قام المنافقون بتدبير مؤامرة اغتيال لرسول الله ﷺ عند رجوعه من غزوة تبوك، وقد تلثّموا وألقوا الدّباب لتنفير دابّة رسول الله ﷺ في العقبة من أجل إسقاطه والقضاء عليه. إلّا أنّ الله سبحانه قد كشف عن مخطّطهم إذ جاءه أمين الوحي جبرئيل وعرّفه بأسماء المنافقين. كما أنّ حذيفة اليماني رآهم وعرفهم. وكانوا من قريش، إلّا أنّ المصالح الإسلاميّة ما كانت تقتضي آنذاك إفضاحهم.

وثَمَّ روايات في كتب الفريقين أماطت اللثام عن أسماء بعضهم[1].

والمنافقون كانوا ولا يزالون يشكّلون الخطر الأصليَّ وحجر العثرة في مسيرة الإسلام الصاعدة. ولذلك ركّز القرآن بأسلوب بليغ على كشف مخطّطاتهم وتحذير المسلمين منهم في آيات كثيرة في عدّة سور كما نزلت سور باسم المنافقين. ومن الغريب جدّاً أنّ حضورهم كان واضحاً في السّاحة زمن رسول الله ﷺ، وكانوا يُذكرون صباحاً ومساءً في مجالس المسلمين وتتّخذ الإجراءات الصارمة والحذرة تجاههم إثر تأكيد القرآن البالغ وتعاليم النبيّ الكريم ﷺ بالنسبة إليهم. ولكنّهم غابوا عن السّاحة في الظاهر بعد وفاة رسول الله ﷺ، بحيث لم يعد لم ذكرعلى ألسن الخلفاء وعامّة المسلمين إلّا قليلاً. فهل يا تُرى آمنوا بعد رسول الله ﷺ وأقلعوا عن الجرائم الّتي كانوا يمارسونها قبل ذلك؟ أم أنّهم استمرّوا في خطّتهم العدائيّة ضدّ الإسلام بشكل وأسلوب آخرين؟ ثمَّ ماذا كان موقف الخلفاء تجاههم وما هي صفتهم بهم؟ فهذه أسئلة مهمّة للغاية تستدعي بذل الانتباه

---

(١) ومن جملة ما رُوي في هذا المجال ماذكره ابن حزم الظاهري في كتابه المحلّي ج ١١ / ٢٢٧: من أنّ عدّة من مشاهير الصحابة، وقد ذكرهم بأسمائهم أرادوا قتل النبيّ | وإلقاءه من العقبة في تبوك، ومع ذلك فإنّ ابن حزم يرى هذا الحديث موضوعاً، لأن راويه عن حذيفة اليماني هو الوليد بن جميع، وقدح فيه لأنه روى مثل هذا الحديث. إلّا ان كثيراً من علماء الرجال من أهل السّنّة وثقوا الوليد بن جميع. قال ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب ج ٦ / ٨٩: الوليد بن عبدالله بن جميع الزهري المكي الكوفي وقد ينسب إلى جده... قال أحمد وأبو داود: ليس به بأس. وقال ابن معين والعجلي: ثقة. وقال أبو زرعة: لا بأس به. وقال أبو حاتم: صالح الحديث. وقال عمرو بن علي: كان يحيى بن سعيد لا يحدثنا عنه، فلما كان قبل موته بقليل حدثنا عنه. وذكره ابن حبّان في الثقات. قلت: وذكره أيضاً في الضعفاء. وقال: ينفرد عن الإثبات بما يشبه حديث الثقات فلما فحش ذلك عنه بطل الاحتجاج به. وقال ابن سعد: كان ثقة له أحاديث. وقال البزار: احتملوا حديثه وكان فيه تشيّع. وقال العقيلي: في حديثه اضطراب. وقال الحاكم: لو لم يخرج له مسلم لكان أولى.

كما جاء مثل هذا المضمون في ميزان الاعتدال ٢ / ٣٣١ وفي التاريخ الكبير ٨ / ١٤٦. وجاء توثيقه في الجرح والتعديل للإمام الرازي ٩ / ٨.

والظاهر عدم اعتناء ابن حزم بحديثه وعد ابن حبّان له في الضعفاء مع أنه عدّه في الثقات. وكذلك تمنّي الحاكم بعدم إخراج مسلم له ناتج كلّه من عصبيّتهم، وليس له جرم إلّا نقله لذلك الحديث، وإلّا فإنّه ثقة عندهم كما صرّح بذلك.

والتحقيق التاريخي الواسع والعميق لمعرفة حقيقة الحوادث ومجريات الأمور في صدر الإسلام.

٢ـ الخوارج:

الخوارج هم الذين خرجوا على إمام المسلمين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ومرقوا من الدين، كما أخبر عنهم الرسول الكريم صلى الله عليه وآله. وذلك في نهاية حرب صفين حيث كان جيش أمير المؤمنين عليه السلام على مشارف الظفر، وكان جيش القاسطين معاوية وزمرته على أهبة الانهزام، إذ دبّر عمرو بن العاص مكيدة رفع المصاحف وطلب التحكيم وإيقاف الحرب، فاغتر جمع غفير من جيش أمير المؤمنين عليه السلام بذلك الشعار الفارغ، وفرضوا عليه الأمر بإيقاف الحرب وقبول التحكيم، ثمَّ فرضوا عليه انتداب أبي موسى الأشعري. فلمّا تبيّن دجل عمرو بن العاص ومعاوية وكذلك انحراف أبي موسى وعدم التزامه بحكم الله، أعلنت تلك المجموعة المغترّة بأنّنا كفرنا بقبولنا التحكيم، وتبنا ورجعنا إلى الإسلام، وعليّ بن أبي طالب كفر برضوخه لطلبتنا وعليه أن يتوب وإلّا فنخرج عليه. وكان في معتقدهم أنّهم هم فقط على الحقّ وكل المسلمين من الفريقين كفرة. وعندهم أنّ الكافر مهدور الدّم. وحيث كانوا سفهاء ومتحجّرين للغاية، وإن كانوا متنسّكين، ما كانت تفيد المتصلّبين منهم نصائح أمير المؤمنين عليه السلام وأعلام العلماء من الصّحابة كعبدالله بن عبّاس وغيره، فاستمرّوا في غيهم وخرجوا على حكومة أمير المؤمين عليه السلام مستعملين أسلوب العنف والإرهاب. ففي الظروف الّتي دعا أمير المؤمنين عليه السلام عامّة النّاس لتعبئة الجيوش حتّى يعيدوا الكرّة لإزالة الغدّة السرّطانيّة من المجتمع، ألا وهي فتنة بني أميّة المتمثّلة في جيش معاوية بن أبي سفيان، خرج حوالي أربعة آلاف من الخوارج في حروراء يعيثون في الأرض الفساد، ويسفكون دماء المسلمين.

وممّن قتلوه عبدالله بن خبّاب بن الأرت صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت امرأته معه وهي حامل. فبعد أن علموا أنّهما يواليان عليّاً عليه السلام أوثقوهما كتافاً

حتّى نزلوا تحت نخل مواقير، فسقطت منه رُطبَة، فأخذها أحدهم فتركها في فيه، فقال آخر: أخذتها بغير حلّها وبغير ثمن، فألقاها. ثمّ كان قربهم خنزير لأهل الذّمّة فضربه أحدهم بسيفه فقالوا: هذا فساد في الأرض. فهم كانوا متحرّجين من هذا، ولكنهم لم يتحرّجوا من اراقة دماء المسلمين، فقد عمدوا إلى عبدالله بن خبّاب فذبحوه فسال دمه في الماء وأقبلوا إلى المرأة فقالت: أنا امرأة ألا تتّقون الله.؟!، فبقروا بطنها، وقتلوا ثلاث نسوة من طيّئ وقتلوا أمّ سنان الصّيداويّة.

فلمّا بلغ عليّاً قتلهم عبدالله بن خبّاب واعتراضهم الناس، بعث إليهم الحارث ابن مرّة العبدي ليأتيهم وينظر ما بلغه عنهم ويكتب به إليه ولايكتمه. فلمّا دنا منهم يسألهم، قتلوه، وأتى عليّاً الخبر والناس معه، فقالوا: يا أميرالمؤمنين، علام ندع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في عيالنا وأموالنا ؟ سر بنا إلى القوم، فإذا فرغنا منهم سرنا إلى عدوّنا من أهل الشام.

فأجمع عليّ على ذلك وخرج بقرب الجسر وسار إليهم. فأرسل عليّ إلى أهل النهر: أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم أقتلهم بهم. ثمّ أنا تارككم وكافّ عنكم حتّى ألقى أهل المغرب فلعلّ الله يُقبل بقلوبكم ويردّكم إلى خير ممّا أنتم عليه من أمركم. فقالوا: كلّنا قتلهم وكلّنا مستحلّ لدمائكم ودمائهم.

وبعد أن ألقى عليهم الإمام عليه السلام وأعلام أصحابه الخطب البليغة والكلام الواضح إتماماً للحجّة ودعوة لهم إلى الحقّ فأبوا إلّا القتال، امتنع عليّ عليه السلام من أن يبدأهم. فلمّا اعتدوا على معسكره بعد أن بقي ألفان وثمانمئة أو ألف وثمانمئة، إذ رجع عدّة آلاف منهم إلى الكوفة تاركين القتال[١] أمر الإمام عليه السلام بتضييق الخناق عليهم ومحاصرتهم لفقأ عين الفتنة واقتلاعها من جسم المجتمع الإسلامي في تلك الظروف. وقبل الحرب أخبر عليّ عليه السلام مسبقاً بنتيجة القتال حيث قال عليه السلام:

---

(١) راجع: الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢ / ٤٠٣-٤٠٥ ط دار إحياء التراث العربي، بيروت الأولى عام ١٤٠٨ هـ.

«مصارعهم دون النُّطفة والله لايُفْلَتُ منهم عشَرة ولايَهْلِك منّا عشَرة»[١].

وقد تحقَّق ما أخبر به عليه السلام حيث لم يستشهد من جيش أمير المؤمنين عليه السلام إلا تسعة كما لم ينج منهم إلّا تسعة كان عبدالرحمن بن ملجم المرادي أحدهم.

وهناك كلمات أخرى نطق بها أمير المؤمنين عليه السلام في شأن الخوارج لإماطة اللثام عن حقيقتهم. بعضها كان موجّهاً إليهم وهي موجودة في نهج البلاغة، ذلك الكتاب الخالد.

منها: **«فأنا نذيرٌ لكم أن تصبحوا صرعى بأثناء هذا النّهر، وبأهضام هذا الغائط على غير بيّنة من ربّكم ولا سلطان مبين معكم. قد طوّحت بكمَ الدّار، واحتبلكم المقدار. وقد كنتُ نهيتكم عن هذه الحكومة، فأبيتم عليّ إباءَ المخالفين المنابذين، حتّى صرفت رأيي إلى هواكم، وأنتم معاشر أخفَّاء الهام، سفهاء الأحلام، لم آت (لا أبا لكم) بُجراً، ولا أردت لكم ضُرّاً!»**[٢].

ومنها: **«فإن أبيتم إلّا أن تزعُموا أنّي أخطأت وضلَلتُ فلم تضلّلون عامّة أمّة محمّد صلى الله عليه وآله بضلالي، وتأخذونهم بخطئي، وتكفّرونهم بذنوبي؟سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البُرء والسّقم، وتخلطون من أذنبَ بمن لم يُذنب. وقد علمتم أنّ رسول‌الله صلى الله عليه وآله رجم الزّاني المحصن ثمّ صلّى عليه، ثمّ ورّثه أهله. وقتل القاتل وورّث ميراثَه أهله. وقطع السّارق وجلد الزّاني غير المحصَن ثمّ قسم عليهما من الفيء، ونكحا المسلمات. فأخذهم رسول‌الله صلى الله عليه وآله بذنوبهم، وأقام حقَّ الله فيهم ولم يمنعهُم سهمهم من الإسلام، ولم يُخْرِج أسماءهم من بين أهله. ثم أنتم شرار الناس ومن رمى به الشيطان مرامیه وضرب به تِيهَه!...»**[٣].

وقال عليه السلام و لما قتل الخوارج قيل له (يا أميرالمؤمنين هلك القوم بأجمعهم!)

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٨٩.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة ٣٦.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة ١٢٧.

فقال: «**كلّا والله، إنّهم نُطَفٌ في أصلاب الرِّجال، وقرارات النّساء، كلّما نَجَم منهم قرنٌ قطع حتّى يكون آخرهُم لصوصاً سلّابين**»(١).

وقال مخاطباً لشيعته لتعيين موقفهم تجاه الخوارج:

«**لا تقتلوا الخوارجَ بعدي، فليس من طلب الحقّ فأخطأه، كمن طلبَ الباطلَ فأدركه**»(٢).

ومقصوده ممّن طلب الحقّ فأخطأه هو الخوارج، ومن طلب الباطل فأدركه معاوية وأضرابه.

والخوارج وإن قضى على قادتهم وكثير من أتباعهم في واقعة النهروان، إلّا أنّ الذين تركوا القتال أو فرّوا بعد نهاية المعركة، استمرّوا في ترويج أفكارهم. وقد خطّط ثلاثة من الذين أفلتوا منهم للقضاء على حكام البلدان الإسلاميّة آنذاك وهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص. وصاحبا الأخيرين وإن لم يفلحا في إنجاز غرضيهما، إلّا أنّ عبد الرحمن بن ملجم المرادي ضرب أمير المؤمنين عليه السلام في صبيحة يوم التّاسع عشر من رمضان في محراب صلاته. وقد قال سلام الله عليه حينما رأى لحيته الكريمة قد اختضبت بدماء هامته: "فزت وربّ الكعبة".

كما أنّ الخوارج قد استمرّوا في خروجهم على الدّولة الأمويّة، بل حتّى زمن العبّاسيين كانوا بين آونة وأخرى يدبّرون عمليّات إرهابيّة، ويشنّون حملات شعواء على عساكر الدّولتين إلى أن انقرضوا من عالم الوجود ولم يبق إلّا المعتدلون منهم كالإباضيّين.

ويرجع السّبب الرئيسيّ لانقراضهم إلى تطرّفهم وشذوذهم عن عامّة المذاهب الإسلاميّة سنّة وشيعة، واعتقادهم بكفر أهل القبلة واستحلال دمائهم،

---

(١) نهج البلاغة، خطبة ٥٩.

(٢) نهج البلاغة، خ ٦٠.

ونظرتهم العنيفة إلى الدّين والمسلمين. ولاشكّ أن الأمّة الإسلاميّة لا يمكنها استساغتهم، ولذلك طردتهم ونبذتهم فلم يبق لوجودهم التّطرّفي ديّار في عالم الوجود. نعم استمرّ فكرهم التّطرّفي تحت ألوان أخرى وأسماء مختلفة قد تكفّر فرقة الخوارج وتتبرّأ منهم، إلّا أنّ عملها في الواقع استمرار لذلك الخط المعوج كما شاهدناه في تصرّفات بعض تيارات السلفيّين في الأعوام الأخيرة مثل جماعة الزّرقاوي في العراق بعد سقوط صدّام.

٣ـ الحركات الباطنيّة:

المقصود من الحركات الباطنيّة هو الحركات الّتي تبنّت المذهب الإسماعيلي ـ وهو المذهب الذي يتّسم غالباً بالعقائد الباطنيّة ـ واتّخذت الإرهاب وسياسة القمع وسيلة للوصول إلى أهدافها، كالقرامطة وجماعة قلعة ألموت بقيادة الحسن ابن الصباح.

وتنبغي الإشارة إلى المذهب الإسماعيلي قبل توضيح أعمال تلك الحركات.

المذهب الإسماعيلي في الواقع هو في نفسه شذوذ وانفصال عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام؛ فإنّهم يعتقدون أنّ الإمامة بعد الإمام جعفر الصادق عليه السلام سادس أئمة أهل البيت عليهم السلام انتقلت إلى نجله إسماعيل. وبعضهم يعتقد بأنّ إسماعيل لم يمت بل غاب وهو القائم المهدي الموصوف على لسان الرسول صلى الله عليه وآله ولا إمام بعده. وهؤلاء هم الإسماعيليّة الخالصة. وبعضهم اعتقد بأنّ إسماعيل مات في زمن أبيه، والإمامة انتقلت منه إلى ولده محمّد (١٣٢ ـ ١٩٣هـ)، ومحمّد هذا، عند بعضهم، هو المهديُّ الذي غاب ولا إمام بعده. كما أنّ بعضهم قال بموته وانتقال الإمامة من بعده إلى الائمّة من نسله وهم على ضربين: المستورون منهم والظاهرون. وأوّل الأئمّة المستورين هو محمّد بن إسماعيل، ثمَّ عبدالله بن محمّد بن إسماعيل (١٧٩ ـ ٢١٢ هـ)، ثمَّ أحمد بن عبدالله (١٩٨ ـ ٢٦٥) ثمَّ الحسين بن أحمد (٢١٩-٢٨٩).

وأمّا الظاهرون فأوّلهم عبدالله المهدي (٢٦٠ ـ ٣٢٢) وهو مؤسّس الدولة الفاطميّة في المغرب. فخرجت تلك البلاد عن ولاية بني العبّاس. وابتدأت هذه الدولة عام ٢٨٩ واستمرّت إلى ٥٦٧ حينما توفّي العاضد لدين الله وهو آخر الخلفاء الفاطميّين بمصر، وكانت مدة حكمهم بالمغرب ومصر ٢٧٨ سنة، منها بالقاهرة ٢٠٨سنين[1].

فرق الإسماعيليّة

افترقت الإسماعيليّة إلى فرق مختلفة وهي:

١ـ القرامطة: القائلة بإمامة محمّد بن إسماعيل وغيبته.

٢ـ الدروز: ساقوا الإمامة إلى الإمام الحادي عشر الحاكم بأمر الله ثمَّ قالوا بغيبته وينتظرون ظهوره.

٣ـ المستعلية: ساقوا الإمامة إلى الإمام الثالث عشر المستنصر بالله وقالوا بإمامة ابنه المستعلي بالله بعده وهم المعروفون بالبهرة، وانقسمت المستعلية إلى فرقتين داوديّة وسليمانية.

٤ـ النزاريّة: ساقوا الإمامة إلى المستنصر بالله ثمَّ قالوا بإمامة ابنه الآخر نزار ابن معد. وانقسمت النزاريّة إلى مؤمنيّة وقاسميّة المعروفة بالآغاخانية. والركب الإمامي منقطع عن السير عند الجميع إلّا القاسميّة، حيث قالوا باستمرار الإمامة إلى العصر الحاضر. وإمامهم الحالي هو كريم بن عليّ بن محمّد آغاخان الرابع ولد سنة ١٩٣٨ في مدينة جنيف بسويسرا.

وعلى كلّ تقدير فهذه الفرقة منشقّة عن الشيعة، معتقدة بإمامة إسماعيل ابن جعفر بعد الإمام الصادق عليه السلام وهي موجودة في كثير من الأقطار منها: الهند وباكستان واليمن وسوريا ولبنان وأفغانستان وإفريقية وإيران ونجران في الجزيرة العربيّة.

---

(١) المقريزي، الخطط ١/ ٣٥٨،٣٥٩، وابن خلكان في وفيات الأعيان ٣/ ١٠٩-١١٢ والذهبي: سير الأعلام النبلاء ١٥/ ٢٠٧-٢١٥، والعلامة السبحاني، الملل والنحل ج ٨/ ٧٠-١٥٠ باختصار.

الخطوط العريضة للمذهب الإسماعيلي

والخطوط العريضة للمذهب الإسماعيلي كما يلي:

١ـ ادّعاء انتماء أئمّتهم إلى بيت الوحي والرساله، وكونهم من ذرّيّة الرسول ﷺ وأبناء بنته الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام.

٢ـ تأويل الظّواهر وإرجاعها إلى خلاف ما يتبادر منها في عرف المتشرّعة، بحيث لو انسلخت الدعوة عن التّأويل واكتفت بالظواهر لم تتميّز من سائر الفرق الشيعيّة إلّا بصرف الإمامة عن الإمام الكاظم عليه السلام. ولم يكن تأويل الظواهر أمراً مبتدعاً لهم، بل سبقهم ثلّة من المندسّين في أصحاب الإمام الصادق عليه السلام الذين طردهم الإمام ولعنهم وحذّر شيعته من الاختلاط بهم مثل أبي الخطّاب والمغيرة ابن سعيد[1]. ويتطرف بعضهم في التأويل فيجعل الصوم والصلاة والحج والزكاة رجالاً، والخمر والزّنا وغيرهما رجالاً. والمقصود من الصّنف الأوّل توليهم والصنف الثاني التّبرّؤ منهم. ويترتب على ذلك القول بإباحة المنكرات وترك الواجبات والتكاليف الظاهريّة كالصوم والصلاة.

٣ـ تطعيم مذهبهم بالمسائل الفلسفيّة وتبنّي أصول لايوجد في الشريعة لها عين ولا إثر كالعقول العشرة وما شاكل ذلك من فلسفة اليونان.

---

(١) وقد رُوي أحاديث كثيرة عن الإمام الصادق عليه السلام يتبرّأ فيها من عقائدهم مثل ما رُوي عن حنان ابن سدير عن أبيه قال: قلت لأبي عبدالله: إنّ قوماً يزعمون أنّكم آلهة يتلون علينا ذلك قرآناً: يا أيّها الرسل كلوا من الطّيبات واعملوا صالحاً إنّي بما تعملون عليم. قال: **يا سدير سمعي وبصري وشعري وبشري ولحمي ودمي عن هؤلاء براء برئ الله منهم ورسوله ما هؤلاء على ديني ودين آبائي.**

رجال الكشي: ص ٢٤٦ ـ ٢٦٠، الوسائل ج ٣ باب ١٨ من أبواب المواقيت وأبو الحسن الأشعري في كتاب مقالات الإسلاميين ١٠ / ١٣ اعترف ببراءة الإمام جعفر الصادق عليه السلام من أبي الخطاب.

٤ـ تنظيم الدعوة والاستفادة من أدقّ الأساليب البشريّة في تنظيم دعاتهم.

٥ـ إضفاء طابع القداسة على أئمّتهم ودعاتهم بحيث تعتبر مخالفتهم مروقاً من الدين، لأنّهم من صلب العقيدة وحدودها.

وللإمامة عندهم درجات مختلفة، وهم يعتقدون بالنطقاء السّتّة وأنّ كلّ ناطق رسول يتلوه أئمّة سبعة. فآدم رسول ناطق تلته أئمّة سبعة بعده، ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد ﷺ كلّ واحد منهم رسول ناطق تلته أئمّة سبعة، والأئمّة السّبعة بعد محمّد ﷺ هم: عليّ بن أبي طالب والحسن بن عليّ والحسين بن عليّ وعليّ بن الحسين ومحمّد بن عليّ الباقر وجعفر بن محمّد الصادق وإسماعيل بن جعفر. وبذلك يتمّ دور الأئمّة السّبعة. ويكون التالي رسولاً ناطقاً سابعاً وناسخاً للشريعة السابقة وهو محمّد بن اسماعيل. وهذا ما يصادم عقائد جمهور المسلمين من أنّ نبي الإسلام ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وشريعته خاتمة الشرائع، وكتابه خاتم الكتب.

٦ـ تربية فدائيّن للدفاع عن المذهب بحيث ينفذون أوامر الإمام من دون أي تردد. سوف نشير إلى فدائييّ قلعة ألموت والقرامطة منهم.

وتفشّت هذه الظاهرة بين أوساطهم. وآل أمر الأتباع إلى طاعة عمياء لدعاتهم في كلّ حكم يصدر عن القيادة العامّة. ويشهد على ذلك ما كتبه المؤرخ الإسماعيلي، إذ يقول عن إمام عصره آغاخان الثالث إنّه قال: (إنّ الحجاب يتعارض والعقائد الإسماعيلية، وإنّي أهيب بكلّ إسماعيليّة أنّ تنزع نقابَها وتنزل إلى معترك الحياة تساهم مساهمة فعّالة في بناء الهيكل الإجتماعي والديني للطائفة الإسماعيليّة خاصّة وللعالم الإسلامي عامّة، وأن تعمل جنباً إلى جنب مع الرّجل في مختلف نواحي الحياة، أسوة بجميع النساء الإسماعيليّات في العالم، وآمل في زيارتي القادمة أن لا أرى أثراً للحجاب بين النساء الإسماعيليّات، وآمرك أن

تبلغ ما سمعت لعموم الإسماعيليّات بدون إبطاء)[١].

٧ـ كتمان الوثائق.

٨ـ تقسيم الأئمّة إلى مستورين وظاهرين.

٩ـ تسميتهم بالاسماعيليّة تارة، والباطنية أخرى، والملاحدة ثالثاً، والسبعيّة رابعاً. أمّا الأوّل فلانتسابهم إلى إسماعيل بن جعفر الصّادق عليه السلام. والثاني لقولهم إن لكلّ ظاهر باطناً ويكون الباطن مصدراً والظاهر مظهراً له. والثالث لعدولهم عن ظواهر الشريعة إلى بواطنها. والرابع لقولهم إنّما الأئمّة تدور على سبعة سبعة، كأيّام الأسبوع والسّماوات السّبع، والكواكب السبعة.

١٠ـ إنَّ المذهب الإسماعيلي لم يظهر بصورة مذهب مدوّن متكامل، وانّما أخذ بالتكامل عبر العصور. وقد ظهر في أول يوم نشوئه بصورة عقيدة بسيطة وهي أنّ الإمام بعد الصادق عليه السلام ابنه اسماعيل، وأنّه لم يمت بل غاب. وهذه هي الإسماعيلية المحضُ التي انقرضت ولم يبق منهم من يوماً إليه. ثمَّ تشعب إلى فرق ومذاهب كثيرة.

١١ـ الذي ظهر من التّتبّع أنّ الفرقة المستعلية في اليمن والهند أقرب إلى الحقّ وعقائد جمهور المسلمين من النزارية، لأنهم متعبدون بالظواهر وتطبيق العمل على الشريعة[٢].

وأمّا الحركات التي اشتهرت باستعمالها منطق العنف والإرهاب من الإسماعيليّة فهي القرامطة وجماعة قلعة آلموت.

أ ـ القرامطة:

القرامطة من الفرق الباطنيّة الّتي ظهرت في النصف الثاني من القرن الثالث، وشغلت السلطات العباسيّة قرناً من الزمن، وأشاعت الاضطراب والقلق

---

(١) مصطفى غالب، تاريخ الدعوة الإسماعيلية / ٢٦٥ والخطاب لمن رفع السؤال إليه وهو الكاتب مصطفى غالب السوري.

(٢) راجع كتاب الملل والنحل للعلامة السبحاني ج ٨ ص ٣ - ١٤.

والإرهاب في الشرق.

وأصل القرامطة، لغةً، من قَرمَط الرجُلُ في خَطوه، إذا قارب ما بين قدميه، وقرمط الكتاب: كتبه دقيقاً وقارب بين سطوره، ويقال: إنّ حمدانَ بن الأشعث مؤسّس هذه الفرقة سُمّيَ قُرْمُط لقصر قامته ورجليه(١).

وبدأت كلمة قُرمط بحمدان بن الأشعث. وهو الذي نزل عنده الدّاعي المؤسّس لهذه الفرقة: الحسين الأهوازي، الذي جاء من ناحية خوزستان، وهذه التسمية ـ أي القرامطة ـ لم تتّخذها هذه الفرقة الباطنيّة نفسها وإنّما أطلقها أعداؤها عليها في العهود المبكّرة لقيامها.

وقال النوبختي: إنّما سمّيت بهذا، لرئيس لهم من أهل السواد من أهل الأنباط كان يلقب (قرمطويه). وكانوا في الأصل على مقالة المباركيّة، ثمَّ خالفوهم فقالوا: لا يكون بعد محمّد النبيّ ﷺ إلّا سبعة أئمّة، عليّ بن أبي طالب وهو إمام ورسول والحسن والحسين وعليّ بن الحسين ومحمّد بن عليّ وجعفر بن محمّد ومحمّد

---

(١) وهناك رأي آخر في وجه تسمية القرامطة وهو ما قاله ابن الجوزي في كتابه تلبيس ابليس ص ١١٠: للمؤرخين في سبب تسميتهم بهذا قولان أحدهما: أنّ رجلاً من ناحية خوزستان قدم سواد الكوفة فأظهر الزهد ودعا إلى إمام من أهل بيت الرسول | ونزل على رجل يقال له (كرميتة) لقّب بهذا لحمرة عينيه، وهو بالنبطيّة حادّ العين. فأخذه أمير تلك الناحيةفحبسه وترك مفتاح البيت تحت رأسه ونام. فرقّت له جارية فأخذت المفتاح ففتحت البيتو أخرجته، وردت المفتاح إلى مكانه. فلمّا طلب فلم يوجد فزاد افتتان الناس به فخرج الى الشام فسُمّي (كرميتة) باسم الّذي كان نازلاً عليه، ثمَّ خفف فقيل قرمط ثمَّ توارث مكانه أهله وأولاده. والثاني: أنَّ القوم قد لقبوا بهذا نسبة إلى رجل يقال له حمدان قُرمُط. كان أحد دعاتهم في الابتداء فاستجاب له جماعة فسموا القرامطة وقرمطية. وكان هذا الرجل من أهل الكوفة وكان يميل إلى الزهد. انتهى.

قيل، إنما عرف حمدان هذا بقرمط من أجل قصر قامته وقصر رجليه وتقارب ظهوره. كان يقال له صاحب الخال والمدّثر والمطوق وكان ابتداء أمره في سنة ٢٦٤. وحيث كان ظهوره بسواد الكوفة اشتهر مذهبه بالعراق. ثمَّ قام بالبحرين منهم أبو الحسن سعيد الحسن بن بهرام الجنّابي من أهل جنّابة وذلك في سنة ٢٨٨. قتله خادمه في الحمام في سنة ٣٠١. وولي الأمر بعده ابنه أبوطاهر سليمان فقوي أمره إلى أنّ مات بالجدري في هجر سنة ٣٣٢.

راجع: تعليقة فرق الشيعة للنوبختي ص٧٢ والمعلّق هو العلّامة السيّد محمّد صادق آل بحر العلوم ط: المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف عام ١٣٥٥.

ابن إسماعيل بن جعفر وهو الإمام القائم المهديُّ وهو رسول.

وزعموا أن محمّد بن إسماعيل حي لم يمت، وأنه في بلاد الروم، ويبعث بالرّسالة وبشريعة جديدة ينسخ بها شريعة محمّد وأنّ محمّد بن إسماعيل من أولي العزم.

كما أنَّهم اعتقدوا بتأويل الأحكام وأنّ لكل ظاهر باطناً وعليه العمل، وأنّ ما ظهر منها ففي استعماله الهلاك والشقاء، وهي جزء من العقاب الأدنى، عذّب الله به قوماً إذ لم يعرفوا الحقّ ولم يقولوا به. وهذا أيضاً مذهب عامّة أصحاب أبي الخطاب.

واستحلّوا استعراض الناس بالسيف وقتلهم على مذهب الخوارج في قتل أهل القبلة، وأخذ أموالهم والشهادة عليهم بالكفر، واعتلوا في ذلك بقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] ورأوا أسر النساء وقتل الأطفال، واعتلّوا في ذلك بقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦].

وزعموا أنّه يجب عليهم أن يبدأوا بقتل من قال بالإمامة ممّن ليس على قولهم وخاصّة من قال بإمامة موسى بن جعفر وولده من بعده، وهم الشيعة الإماميّة، وتأوّلوا في ذلك قول الله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣]. فالواجب أن يبدأ بهؤلاء ثمَّ بسائر الناس، وعددهم كثير، إلّا أنّه لا شوكة لهم ولا قوّة. وهم بسواد الكوفة واليمن أكثر. ولعلّهم أن يكونوا زُهاء مائة ألف.

ومن عقائدهم أنّ الله جعل لمحمد بن إسماعيل جنّة آدم ومعناها عندهم الإباحة للمحارم، وجميع ما خُلق في الدنيا، وهو قول الله: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥]. أي موسى بن جعفر بن محمّد وولده من

بعده من ادّعى منهم الإمامة[1].

فالمعلوم من هذا النّص أنّ القرامطة كانوا إباحيين أوّلاً، وكانوا يستحلّون دماء المسلمين عامّة، وأتباع أهل البيت الإماميّن أي الذين يعتقدون باثني عشر إماماً، خاصّة. وكانوا ينصبون العداء لأئمّة أهل البيت عليهم السلام موسى بن جعفر ومن بعده من الأئمة عليهم السلام.

ولعلّ المنشأ الرئيسيّ لتكوّن القرامطة وأمثالها هو ردّة الفعل الطّبيعيّة على السّياسة العنصريّة الّتي اتّخذها بنو أميّة، خاصّة وبنو العبّاس من بعدهم في أكثر أحوالهم. فالأسباب الّتي أدّت إلى قيام الحركة القرمطية كانت هي في جوهرها حركة قوميّة إقليميّة واقتصاديّة واجتماعيّة. وهؤلاء تستّروا بستار المذهب الإسماعيلي والولاء لأهل البيت عليهم السلام، كما استفاد العباسيّون بمثل ذلك في ثورتهم ضدّ الأمويين.

توزُّع القرامطة إلى ثلاث فرق ومرُورهم في ثلاث مراحل.

الفرقة الأولى: وهي قرامطة السوّاد ـ أي سواد العراق ـ وأبرز دعاتهم (دندان) و(حمدان) و(عبادان) و(آل مهرويه).

الفرقة الثانية: قرامطة البحرين، وأبرز دعاتهم آل الجنّابي.

الفرقة الثالثة: قرامطة القطيف وجنوبي البصرة، وأبرز دعاتهم أبو حاتم البوراني وأبو النواس[2].

القرامطة وانتهاك حرمة الكعبة وقتل الحُجّاج في المسجد الحرام

من أفظع ما ارتكبه القرامطة قطعهم لطرق الحُجاج وقتلهم لهم وسلبهم أموالهم في عدّة سنوات، ممّا سبّب تعطيل الحجّ في بعض السّنين. والأنكى

(١) النوبختي، فرق الشيعة ٧٢ ـ ٧٦ بتلخيص.

(٢) راجع: بحوث في الملل والنحل للشيخ السبحاني ج ٨ / ٣٢٥-٣٣٤ باختصار وكتاب (القرامطة أوّل حركة إشتراكية في الاسلام) لمؤلفه طه الولي.

تجرّؤهم على الكعبة، وقلعهم للحجر الأسود وحليها وكسوتها، وقتل آلاف من الحجيج في المسجد الحرام وشوارع مكّة.

وقد ذكر المؤرّخون تفصيل تلك الحادثة الأليمة في حوادث سنة [1] (٣١٧.

وإليكم ما جاء في كتاب (إتحاف الورى بأخبار أمّ القرى) للنجم عمر بن فهد المتوفى ٨٨٥ هـ. بتلخيص منّا:

(سنة سبع عشرة وثلاثمائة: فيها حجّ النّاسُ من بغداد وأميرهم منصور الديلمي، وسَلِموا في الطريق من القرمطي، ودخلوا مكة سالمين، ودخل صاحب البحرين أبو طاهر سليمان بن أبي ربيعة الحسن القرمطي مكّة، فلم يشعر الناس يوم الإثنين يوم التروية إلّا وقد وافاهم عدو الله أبو طاهر القرمطي في تسعمائة من أصحابه، فدخلوا المسجد الحرام، وأبو طاهر سكران راكب فرساً له، وبيده سيف مسلول، فصفّر لفرسه فبال عند البيت، وأسرف هو وأصحابه في قتل الحُجَّاج وأسرهم ونهبهم، مع هتكه لحرمة البيت، وكانوا يطوفون حول البيت والسّيوف تقرضهم. وكان عليّ بن بابويه يطوف بالبيت والسيوف تأخذه فما قطع طوافه وهو ينشد:

ترى المحبّين صَرعى في ديارهُمُ كفتيةِ الكهفِ لايدرون كم لَبِثوا

وقُتل في المسجد الحرام ألف وسبعمائة، وقيل ثلاثة عشر ألفاً من الرجال والنّساء وهم متعلّقون بالكعبة، وردم بهم زمزم حتّى ملأوها، وفرش بهم المسجد الحرام وما يليه، وقيل دفن البقيّة في المسجد بلا غسل ولا صلاة وجعل الناس يصيحون: تقتل جيران الله في حرم الله ؟! فيقول: ليس بجارٍ من خالف أوامر الله ونواهيه ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ ﴾ الآية، وصعد أبو طاهر بنفسه على باب الكعبة واستقبل الناس بوجهه وهو يقول:

أنـــا بـــالله وبـــالله أنـــا يـخـلـق الخـلـقَ وأُفـنـيـهـم أنـا

(١) انظر الكامل في التاريخ ج ٢ / ١١٧، ١١٨ ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

وضرب بعض أصحابه الحجر الأسود بدبّوس فتكسّر ـ وقيل إنّ الذي ضرب الحجر الأسود بالدبّوس أبو طاهر بنفسه، وصاح: يا حمير، أنتم تقولون: من دخل هذا البيت كان آمنا ـ فأين الأمن وقد فعلتُ ما فعلت ؟ وعطف دابته ليخرج فأخذ بعض الحاضرين بلجام فرسه فقال ـ وقد استسلم للقتل ـ: ليس معنى الآية ماذكرت، وإنّما معناه من دخله فأمِّنوه. فلوى القرمطي فرسه، وخرج ولم يلتفت إليه.

وقُتل في سكك مكّة ـ وظاهرها وشعابها من أهل خراسان والمغاربة وغيرهم ثلاثون ألفاً، وسُبي من النّساء والصبيان مثل ذلك. ولم يقف أحد هذه السنة بعرفة ولا وفي نسكاً إلّا قوم يسير. وأخذ أبوطاهر أموال النّاس وحُليَّ الكعبة وهتك أستارها وقسّم كسوتها بين أصحابه ونهب دور مكّة وقلع باب الكعبة. وأمر بقلع الميزاب ـ وكان من ذهب الإبريز ـ فطلع رجل يقلعه فأصيب من أبي قبيس بسهم في عجزه فسقط فمات.

وأراد أخذ المقام فلم يظفر به، لأنّ سدنة المسجد غيّبوه في بعض شعاب مكة. و قال عند ذلك شعراً يدل على عظيم زندقته حيث يقول:

فلو كان هذا البيت لله ربّنا ... لصبّ علينا النار من فوقنا صبّا
لأنّا حججنا حجّة جاهليّة ... محلّلة لم تبق شرقاً ولا غربا
وأنّا تركنا بين زمزم والصّفا ... جنائز لاتبغي سوى ربّها ربّا

ثمّ انصرف إلى بلده هجر، وحمل معه الحجر الأسود يريد أن يجعل الحج عنده.

وكان القرمطي يخطب بمكّة لعبيدالله المهديّ صاحب المهديّة، فبلغ المهديَّ ذلك، فكتب اليه: (العجب من كتبك إلينا ممتّناً علينا بما ارتكبت واجترمته باسمنا من حرم الله وجيرانه بالأماكن التي لم تزل منذ الجاهليّة تحرم الدماء فيها وإهانة أهلها، ثمَّ تعدّيت ذلك إلى أن قلعت الحجر الذي هو يمين الله في الأرض تصافح بها عباده، وحملته إلى أرضك، ورجوت أن نشكرك على ذلك، فلعَنك الله ثمَّ

لعنك، والسّلام على من يسلم المسلمون من لسانه ويده. وفعل في ما يده ما فيه حساب غده). وانحرفت القرامطة عن طاعة العبيديّن[1].

وذكر النجم عمر بن فهد أنّ الحجر الأسود بقى اثنين وعشرين عاماً عند القرامطة، فأرجعوه سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة. قال في أحداث تلك السنة:

وفيها لم يحجّ أحد من العراق وحجّ بالناس عمر بن يحيى العلوي. فلمّا كان يوم الثلاثاء يوم النحر وافى سَنبُر بن الحسن القرمطي مكّة ومعه الحجر الأسود، فلمّا صار بفناء الكعبة ـ ومعه أمير مكة أظهر الحجر من سفط وعليه ضباب فضة ـ قد عملت من طوله وعرضه، تضبط شقوقاً قد حدثت عليه بعد انقلاعه، وأحضر معه جمعاً يشهدون، فوضع سنبر الحجر بيده ويقال: إن الذي أعاد الحجر في مكانه بيده حسن بن المزوق البنّاء[2] وشدَّه الصانع بالجصّ، وقال سنبر: أخذناه

---

(١) إتحاف الورى بأخبار أمّ القرى ج ٢ / ٣٧٤-٣٧٩.

(٢) وهناك قصّة تروى عن أبي القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه صاحب كتاب (كامل الزيارات) وأستاذ الشيخ المفيد، وفيها أنّ الذي وضع الحجر في موضعه هو الإمام الحجّة المهدي # كماجاء في بحار الانوار للمجلسي ج ٥٢ / ٨٥ عن الخرايج: روى عن أبي القاسم جعفر بن محمدابن قولويه قال: لمّا وصلت بغداد سنة سبع وثلاثين للحجّ وهي السنّة التي ردّ القرامطة فيها الحجر إلى مكانه من البيت، كان أكبر همّي من ينصب الحجر؟ لانّه مضى في أثناء الكتب قصّةأخذه و [أنّه] إنّما ينصبه في مكانه الحجّة في الزمان كما في زمان الحجّاج وضعه زين العابدين عليه السلام في مكانه واستقرّ، فاعتللت علة صعبة خفت منها على نفسي ولم يتهيّأ لي ماقصدته فاستنبت المعروف بابن هشام، وأعطيته رقعة مختومة أسأل فيها عن مدّة عمري وهل يكون الموت فيهذه العلّة أم لا وقلت: همّي إيصال هذه الرقعة إلى واضع الحجر في مكانه وأخذ جوابه وإنّما ندبتك لهذا، قال: فقال المعروف بابن هشام: لمّا حصلت بمكة وعزم على إعادة الحجر بذلت لسَدنة البيت جملة تمكنت معها من الكون بحيث أرى واضعَ الحجر في مكانه. فأقمت معي منهم من يمنع عنّي ازدحام النّاس. فكلّما عمد إنسان لوضعه اضطرب ولم يستقم، فأقبل غلام أسمر اللّون حسن الوجه فتناوله ووضعه في مكانه فاستقام كأنّه لم يزل عنه، وعلت لذلك الأصوات فانصرف خارجاً من الباب، فنهضت من مكاني أتبعه وأدفع الناس عنّي يميناً وشمالاً حتّى ظنّ بي الاختلاط في العقل، والنّاس يفرجون لي وعيني لاتفارقه حتّى انقطع عن النّاس، فكنت أسرع الشدّ خلفه وهو يمشي على تؤدة السير ولا أدركه. فلمّا حصل بحيث لا أحد يراه غيري وقف والتفت إلي فقال: هات ما معك فناولته الرّقعة. فقال من غير أن ينظر إليها: قل له: لا خوف عليك في هذه العلّة ويكون ما لابدّ منه بعد ثلاثين سنة. قال: فوقع عليّ الدمع حتّى لم أطق حراكاً وتركني وانصرف. قال أبو القاسم: فأعلمني بهذه الجملة. فلمّا كان سنة سبع وستّين اعتل أبو القاسم وأخذ ينظر في أمره =

بقَدَر الله تعالى ورددناه بمشيئة الله. ونظر الناس الحجر فتبيّنوه وقبّلوه واستلموه وحمدوا الله تعالى.

وكانت مدة كينونته عند القرمطي وأصحابه اثنتين وعشرين سنة إلّا أربعة أيام، وكان المنصور بن القائم بن المهدي راسل أحمد بن أبي سعيد القرمطي أخا أبي طاهر لأجل الحجر، وبذل له خمسين ألف دينارِ ذهبٍ فلم يفعل[1].

نهاية القرامطة

بعد أن هلك أبو طاهر سليمان بن الحسن الجنّابي انقسم القرامطة إلى فريقين. فريق بقيادة أبنائه وأخيه أحمد، وكانوا خاضعين للعُبيديين، واطلقوا على أنفسهم اسم الفرقة العقدانيَّة أي أصحاب العقيدة. والفريق الثاني بقيادة أخيه سعيد الذي رفض التبعيّة للعُبيديين واتجه لمصانعة العبَّاسيين. وقد سارعوا لمؤازرته بهدف تعميق الانقسام بين القرامطة. وقد أدّى هذا الانقسام إلى حروب دامية بنيهم سبّبت التعجيل في القضاء عليهم.

وغير هذا السّبب الدّاخلي هناك أسباب مهمّة ساهمت في صنع نهايتهم السوداء. أهمّها انتهاكهم لحرمة الكعبة وسفكهم دماء الحجيج الّذي أثار الغضب العارم من قبل كلّ أحد عليهم، حتى أسيادهم العُبيديُّون تبرّأوا منهم ولعنوهم. وهذا ممّا سبّب نشوب الخلاف بينهم وبين العبيديّن (الفاطميّن). ولما ازداد عتوّهم فهاجموا الشّام وسيطروا عليها، دخلت عساكر مصر بقيادة جوهر لحربهم واضطرّ الحاكم الفاطميّ المعزّ لدين الله (المتوفّى ٣٦٥ هـ) بنفسه لحربهم عام ٣٦٣ هـ وهزمهم ثمَّ كرّ عليهم الخليفة العزيز بالله (٣٤٤ ـ ٣٨٦) الكرّة في حربهم عام ٣٦٧ فهزمهم وأوقع فيهم مقتلة عظيمة.

=وتحصيل جهازه إلى قبره، فكتب وصيّته واستعمل الجدّ في ذلك، فقيل له: ما هذا الخوف؟ ونرجو أن يتفضّل الله بالسّلامة فما عليك بمخوفة فقال: هذه السّنة الّتي خوّفت منها. فمات في علّته. وأخرجه في كشف الغمة ٣/ ٤١١.

(١) المصدر نفسه ص ٣٩٤ ـ ٣٩٦.

وهذه الحروب أنهكتهم، كما أنّ ظهور دولة آل بويه الشّيعيّة المناوئة لهم، وقلّة الأموال الّتي كانت بأيديهم، وانقلاب قبائل إقليم البحرين نفسها عليهم، وغيرها من العوامل الأخرى ساهمت في القضاء عليهم، إلى أن طردهم أهالي البحرين من جزيرة أوان عام ٤٥٨. وهذا ممّا سبّب طمع العباسيّين بهم إذ بعثت بغداد بجيوش ألحقت الهزيمة تلو الهزيمة بالقرامطة، فاضطروا للارتداد إلى الإحساء. واستجاب أهالي تلك البلاد لنداء العباسيّين في جهاد المبطلين القرامطة، فقُضي عليهم نهائيّاً عام ٤٧٠. وأُلغيت الحركة التطرفيّة المعبّر عنها بدولة القرامطة من خارطة العالم الإسلامي[١].

ب ـ جماعة قلعة الموت:

هم فرقة من الإسماعيليّة يطلق عليهم اسم النزاريّة. ومؤسّسها هو الحسن ابن صبّاح (٤٢٨ ـ ٥١٨ هـ).

وقد رحل أبوالحسن الصبّاح، وهو عليّ بن محمّد الحميدي من الكوفة فقطن في قُمّ. وولد هناك الحسن وكان كأبيه إماميّاً اثني عشريّاً. إلّا أنّه تأثّر بالدّعاة الإسماعيليّين فاعتنق ذلك المذهب[٢].

وقال ابن الأثير في تاريخه: كان الحسن بن الصبّاح رجلاً شهماً، كافياً، عالماً بالهندسة، والحساب والنجوم والسحر وغير ذلك، وكان رئيس الرّي إنساناً يقال له أبو مُسلم، وهو صهر نظام الملك، فاتّهم الحسن بن الصّباح بدخول جماعة من دعاة المصريّين عليه، فخافه ابن الصبّاح، وكان نظام الملك يكرمه، وقال له يوماً من طريق الفِراسة: عن قريب يُضِلّ هذا الرجل ضعفاء العوامّ. فلما هرب الحسن من أبي مسلم طلبه فلم يدركه.

وكان الحسن من جملة تلامذة ابن عطّاش، الطبيب الذي ملك قلعة

(١) راجع: الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ٥ / ٣٧٤-٤٨٠ والملل والنحل للشيخ السبحاني ج ٨ / ٣٣٤-٣٤٠.

(٢) تاريخ هزار ساله إيران، استاد عبدالعظيم رضائى، ج ٣ / ٨٣.

أصبهان. ومضى ابن الصَّبَّاح فطاف البلاد، ووصل إلى مصر، ودخل على المستنصر صاحبها، فأكرمه، وأعطاه مالا، وأمره أن يدعو الناس إلى إمامته، فقال له الحسن: فَمن الامامُ بعدك ؟ فأشار إلى ابنه نزار، وعاد من مصر إلى الشام والجزيرة وديار بكر، والروم ورجع إلى خُراسان، ودخل كاشغر وما وراء النهر، يطوف على قوم يُضلّهم، فلمّا رأى قلعة ألموت، واختبر أهل تلك النواحي، أقام عندهم، وطمع في إغوائهم، ودعاهم في السّرّ، وأظهر الزهد، ولبس المِسحَ فتبعه أكثرهم، والعلويّ صاحب القلعة حسن الظّن فيه، يجلس إليه يتبرّك به، فلمّا أحكم الحسن أمره، دخل يوماً على العلويّ بالقلعة، فقال له ابن الصّباح: (أخرج من هذه القلعة) فتبسّم العلويّ، وظنّه يمزح، فأمر ابن الصّباح بعض أصحابه بإخراج العلويّ، فأخرجوه إلى دامغان، وأعطاه ماله، ومَلَك القلعة. وقال في شأن القلعة ووجه تسميتها:

ومنها (القلاع) ألموت، وهي من نواحي قزوين، قيل إنّ ملكاً من ملوك الديلم كان كثير التّصيّد، فأرسل يوماً عُقاباً، وتبعه، فرآه قد سقط على موضع هذه القلعة، فوجده موضعاً حصيناً، فأمر ببناء قلعة عليه، فسمّاها ألموت ومعناه بلسان الديلم: تعليم العُقاب، ويقال لذلك الموضع وما يجاوره طالقان.

ولّما بلغ الخبر نظام الملك بعث عسكراً إلى قلعة ألموت فحصروه فيها وأخذوا عليه الطرق، فضاق ذرعه بالحصر فأرسل من قتل نظام الملك، فلمّا قُتل رجع العسكر عنها(١).

وهذا الاغتيال كان أوّل فتك اشتهر به الباطنيّة. وقد اشتهروا بالفتك والإرهاب داخل العالم الإسلامي، بل تجاوزوا الحدود وأشاعوا الفتك بالإفرنج والصليبيّن.

وكانت للحسن بن الصّباح مجموعة فدائيّة مدرّبة ومعتقدة بأوامره أشدّ الاعتقاد وكانوا ينفّذون أيّ أوامر تصدر عنه.

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج ٦ / ٤٠٣،٤٠٤.

وإليك نماذ ج من هذا النّمط كما ذكر في التاريخ:

في سنة ٥٠٠ هـ. فكر فخر الملك بن نظام وزير السلطان سنجر، أن يثأرَ لأبيه وهاجم قلاع الإسماعيليّة، فأوفد إليه الحسن بن الصّباح أحد فدائييّه فقتله بطعنة خنجر، ولقد كانت قلاعه في حصار مستمر من قبل السلجوقيّن. وفي سنة ٥٠١هـ حوصرت قلعة (آلموت) من قبل السلطان السلجوقي واشتد الحصار عليها، فأرسل السلطان رسولاً إلى الحسن بن الصّباح يطلب منه الاستسلام، ويدعوه لطاعته، فنادى الحسن أحد فدائييّه وقال له: ألقِ بنفسك من هذا البرج ففعل، وقال للثاني: اطعن نفسك بهذا الخنجر ففعل، فقال للرسول: اذهب وقل لمولاك إنّه لديّ سبعون ألفاً من الرجال الأمناء المخلصين أمثال هؤلاء الذين يبذلون دماءهم في سبيل عقيدتهم المثلى[١].

والفدائيون وإن لم يكونوا ملمّين بأسرار المذهب الإسماعيلي، إلّا أنّ فيهم من كان ذا ثقافة بارعة وإلمام بالألسنة الأجنبيّة الأوروبيّة، بحيث إن بعضهم تمكّن من النفوذ في تنظيمات الصّليبييّن وارتدى لباس رجال دينهم من أجل اغتيال أمراء الصليبييّن، وقد نجحوا في ذلك.

وكان للحسن بن صباح نفوذ معنوي عميق في أتباعه بحيث كانت أمّهات الفدائييّن تحزن وتنتحب بكاءً إن رجع أبناؤها أحياءً من العمليّات الفدائيّة بدون أنّ ينجحوا في تنفيذ أوامر قائدهم!

وما كان ذلك النفوذ أمراً اعتباطيّاً؛ لأنّ أتباعه كانوا يشاهدون منه تقدّساً ونسكاً وتصلّباً في عقيدته للغاية، بحيث إنّه حينما شاهد ولديه وقد تخلّفا عن وظائفهما الشّرعيّة قتلهما.

وقد ذاع صيته وإرهابه إلى الشام وآسيا الصغرى إلى أن تُوفّي عام ٥١٨ وخلفه ابنه كيا بزرك أمير[٢].

(١) مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية / ٢٦٣.
(٢) استاد عبدالعظيم رضائى، تاريخ ٥ هزار ساله إيران ج ٣/ ٨٤،٨٥.

وحيث إنّ هذه الفرقة اتّخذت الإرهاب كأسلوب لحركتها، ألقت اغتيالاتها الرعب في قلوب الجميع، ومنهم الصّليبيّون بحيث يسمّى القاتل في الألسنة الأروبيّة إلى الآن بـ(أساسين)،(assassin)، والظاهر أنّ أصل الكلمة هي (الحشّاشون)[1].

وأمّا وضع هذه الفرقة بعد وفاة الحسن، فقد منيت بخرافات بشعة ألا وهي التّخلّي عن الإسلام كعقيدة وعمل. وقد استعرض السيّد حسن الأمين ذلك الانحراف بقوله:

تُوفي الحسن بن الصبَّاح سنة ٥١٨ هـ فخلفه من خلفه في قيادة الدعوة النزاريّة دون أن يعلن هو أو غيره ممن خلفه عن عقيدة جديدة، حتّى انتهى الأمر إلى الحسن الثاني بن محمّد بن بزرك أعيد سنة ٥٥٨ هـ، فإذا به يعلن التّخلّي عن الإسلام كعقيدة وعمل والأخذ بمفهوم جديد للدّين يتعارض كلّ التعارض مع مفهوم الإسلام له.

ويصف المؤرخ علاء الدين عطاء الملك الجويني (م ٦٥٨ هـ) هذا الأمر وتفاصيله ويوم حدوثه، ثمَّ يقول:

فأعلن ـ أي الحسن الثاني ـ أنّ رسالة قد جاءته من الإمام المستتر مع دليل جديد.

ثم قال: إنّ إمام وقتنا قد بعث إليكم صلواته ورحمته ودعاكم عباده المختارين، ولقد أعفاكم من أعباء تكاليف الشريعة وآل بكم إلى البعث. ثمَّ يقول الجويني: وأكّد حسن بالتصريح بأنّه كما في عصر الشريعة إذا لم يطع إنسان ولم يعبد بل تبع حكم القيامة بحجة أنّ الطّاعة والعبادة هما أمران روحيّان، كان ينكّل به ويرجم ويقتل، كذلك الآن في عصر القيامة إذا تقيّد إنسان بحرفيّة الشريعة وواظب على العبادة الجسديّة والشّعائر فإنّ ذلك تعصّب يُنكّل به ويُرجم ويُقتل

(١) داريوش آشورى، دانشنامه سياسى ص ٩٨، ٩٩.

من أجله.

وقد أثّر كلامه في الجموع المحتشدة تحت منبره.

وفي ذلك اليوم الذي اقتُرفت فيه هذه القبائح وأُفشيت فيه تلك المساوئ في (مأمون آباد) عُش الكفر، لعب الجميع على الجنك والرّباب وشربوا الخمر بشكل مكشوف على نفس درجات ذلك المنبر وفي مكان جلوس الخطيب.

نعم كان بين المؤمنين بالمذهب من أنكر عليهم ذلك، فترى أنّ يوم الأحد السادس من ربيع الأوّل سنة ٥٦١ هـ قام شقيق زوجة الحسن بطعنه في قلعة (لمسر) فمضى المفتري من هذه الدنيا إلى نار الله الموقدة. ولكن الانحراف لم ينته باغتيال أصله، بل بقي مستمرّاً على عهد خليفته ابنه (علاء محمد) الّذي تولّى بعد أبيه وهو في التّاسعة عشرة من عمره وتُوفّي سنة ٦٠٧ هـ كما كانت المعارضة الشّديدة مستمرة،اذ كان قد تزعمها في عهد حسن شقيق زوجته، فقد تزعمها الآن حفيد حسنٍ وسميُّه (جلال الدين حسن) إذ كان على خلاف أبيه وجدّه في العقيدة متشدّداً في خلافه لهما كلّ التشدّد.

وقام بإصلاحات كبيرة، فقد اتّصل بحكّام الأقطار الإسلاميّة يعلنهم العودة إلى الإسلام ليوثق الصلات بهم وبجمهور المسلمين بعد الذي شاع عن انحراف جدّه وما أعلنه من خروج على الشريعة، فراسل الخليفة في بغداد (الناصر لدين الله) وغيره من الملوك والأمراء لمّا أرسل والدته وزوجته إلى الحجّ وأمر ببناء المساجد وقرّب إليه الفقهاء والقرّاء.

ومن البديهي أن لايكون (جلال الدين حسن) قد استطاع استئصال جذور الإنحراف، وأن يظلّ للانحراف أتباعه الآخذون به شأن جميع الدعوات في كلّ زمان ومكان.

على أنّ أمر دولة هؤلاء النزاريّن لم يطل كثيراً بعد جلال الدين، فقد انتهى ملكهم على يد هؤلاء سنة ٦٥٤ هـ. لكنّ من أخذوا بأقوال الحسن الثاني بن محمّد وانحرافه لم ينتهوا، بل ظلَّ الدّعوة من يحملها من جيل إلى جيل حتى هذا الجيل، وهم اليوم أتباع آغا خان، وظلّوا هم وحدهم منفردين باسم الإسماعيليّن بعد أن

تبرّأ من هذا الاسم أصحابه الحقيقيون وسمّوا باسم البُهرة[١].

٤ـ الحركات السلفيّة:

وهي الحركات التي اتّخذت الرؤى السلفيّة مذهباً لها، وأباحت عدّة من تلك الحركات لنفسها استعمال العنف والتصفية الجسديّة لمخالفيها، وإن كانوا مسلمين من أهل القِبلة. والرؤى السلفيّة هي المستفحلة على الحركات الإسلاميّة في عالم التّسنّن على الأغلب في هذا الزّمان، وإن كانت مختلفة من حيث الشدَّة والضعف في الالتزام بمبانيها.

وقبل توضيح الحركات السلفيّة الإرهابيّة يلزم إلقاء الضوء على معنى السّلفيّة لغةً واصطلاحاً.

السلفيّة في اللُّغة:

أمّا لغةً، فالسلفيُّ هو المنسُوب إلى السّلَف. والسّلَفُ عند ابن فارس: أصلٌ يدلّ على تقدّم وسبْق. من ذلك السَّلَفُ الذين مضَوْا. والسُلاف؛ السائل من عصير العنب قبل أن يُعصر. والسُّلْفَةُ؛ المعجّل من الطّعام قبل الغذاء. والسلوف؛ النّاقة تكون في أوائل الإبل إذا وردت. ومن الباب السَّلف في البيع وهو مال يقدم لما يشتري نَساءً[٢]. وقال الراغب: السَّلَفُ، المتقدّم (فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين) أي معتبراً متقدّماً[٣].

وقال ابن الأثير في النّهاية: سُمِّيَ الصدرُ الأوّلُ من التّابعين، السلف الصالح[٤].

فالمقصود من السلف لغةً مأخوذ فيه التقدّم والسَّبْقُ والمُضِيّ الزمنيّ.

السّلفيّة في الاصطلاح:

وأمّا من حيث الاصطلاح فحينما يطلق يراد منه معنيان:

(١) حسن الأمين، دائرة المعارف الإسلاميّة الشيعيّة ٤ / ٧٣-٧٥.
(٢) معجم مقاييس اللغة مادة سلف.
(٣) مفردات القرآن مادة سلف.
(٤) النهاية في غريب الحديث ٢ / ١٩٠.

الأوّل: ما يقصد به في الكتب المؤلّفة حول النهضة الفكريّة وإحياء الفكر الإسلامي في القرن الأخير، فحينما يطلق، يراد به النهضة الفكريّة الّتي طرحها أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمّد عبده في مصر، ومحمّد إقبال والمودودي في الهند وباكستان وأمثالهم. وهي تدعو المجتمع الإسلامي للأخذ بقيم الرسالة الإسلاميّة في جميع مناحي الحياة الاجتماعية والمدنية في مواجهة الاستعمار، وبنفس الوقت تحبّذ الانفتاح على الحضارة الغربيّة للاستفادة من إيجابيّاتها. وهذه هي السّلفية التّنويريّة على حسب إطلاق بعض المؤلفين[1]. وهذا المعنى ليس هو المقصود في هذا البحث.

الثاني: ما يقصد به الرجوع إلى دين السلف من المسلمين وهم الصّحابة والتابعون وتابعو التابعين لمدّة ثلاثة قرون أو خمسة.

قال أحمد بن حجر: (ما كان عليه الصّحابة رضوان الله عليهم وما كان عليه أعيان التابعين لهم بإحسان، وما كان عليه أتباعهم وأئمّةالدين ممّن شهد له بالإمامة، وعرف عظيم شأنه في الدين وتلقى الناس لكلامهم خلفاً عن سلف، كالأئمّة الأربعة والسفيانييّن والليث بن سعد وابن المبارك النخعي، والبخاري ومسلم وسائر أصحاب السنن دون من رُمي ببدعة أو شُهِر بلقب غير مرضي مثل الخوارج والرّوافض والمرجئة والجبريّة، والجهميّة والمعتزلة وسائر الفرق الضّالّة)[2].

والمبنى الفكري لهذا التعريف هو الحديث المروي في صحيحي مسلم والبخاري عن عبدالله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير الناس قرني، ثمّ الذين يلونهم ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ يجيء أقوام تسبق شهادةُ أحدهم يمينَه ويـمينُه شهادتَه**».

---

(١) راجع كتاب السلفيّة بين أهل السنَّة والإماميّة للسيد محمّد الكثيري، ط الغدير للطباعةوالنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٨ ق. ص ٤٢-٤٤.
(٢) المصدر نفسه ص ٢٢ نقلاً عن العقائد السلفيَّة لأحمد بن حجر.

والدعوة إلى السلفيَّة بهذا المعنى قد طرحت في ثلاث مراحل زمنيّة.

الأولى في القرن الرابع الهجري، ورائدُها المتكلِّم والفقيه الحنبليّ محمّد بن الحسن بن عليّ البربهاري (٩٤١م). والثانية في القرن السّابع الهجريّ ورائدُها ابن تيميّة. والثالثة في القرن الثاني عشر وما بعده بريادة محمّد بن عبدالوهّاب.

يقول محمّد أبو زهرة: المقصود بالسلفيّة هم أولئك الذين ظهروا في القرن الرابع الهجري وكانوا من الحنابلة وزعموا أنّ جملة آرائهم تنتهي إلى الإمام أحمد ابن حنبل الذي أحيى عقيدة السّلف، وحارب دونها، ثمَّ تجدّد ظهورهم في القرن السابع الهجري، أحياه شيخ الإسلام (ابن تيميّة) وشدّد في الدعوة إليه، وأضاف إليه أموراً أخرى قد بعثت إلى التفكير فيها أحوال عصره، ثمّ ظهرت تلك الآراء في الجزيرة العربيّة. ومازال الوهابيّون ينادون بها[1].

وفي زماننا الحاضر هناك حركات وفئات متأثّرة بالفكر الوهّابي كالإخوان المسلمين، وحركة الجهاد والتكفير، والقطبيّين وجيش الصّحابة في باكستان وحركة الطالبان وتنظيم القاعدة وأمثالها ممّن يعرفون بالمذهب أو الاتّجاه السّلفي أيضاً.

والظاهر من الدعوة السلفيّة في أدوارها الثلاثة أنّها إنّما تسير في فلك أفكار وآراء مذهب الحشويّة في العقائد، وأحمد بن حنبل في الفقه، وتدعو النّاس إلى فهم الإسلام من ذلك المنظار، لأنّه هو الحقّ في رؤيتها، وتحكم على غيره بالبطلان والمروق من الدّين وتستحلّ بذلك سفك دماء المخالفين ونهب أموالهم وسبي نسائهم وذراريهم وإن كانوا مسلمين!

مناقشة الفكر السَّلَفي:

لامجال هنا لمناقشة الأفكار السَّلفيّة تفصيلاً ويُكتفَى بالإشارة الإجماليّة إلى ذلك:

---

(١) محمّد أبو زهرة، المذاهب الإسلاميّة ص ٣١١.

إنَّ السلفيّة بهذا المنظار تفقد الدّليل العقلي أو النقلي المعتبر والصّريح، فهي تواجه أزمة المشروعيّة أوّلاً.

وثانياً: إنّها ثوب فضفاض أوسع وأعم من المدّعى.

وثالثاً: إن ذلك الثوب متهتّك ومتشقّق بعدّة تناقضات.

ولتوضيح النقاط السّالفة ينبغي الإلماح إلى عدّة ملاحظات.

الأولى: أنّ الحديث المنقول لدعم الفكر السلفي (خير النّاس قرني...) على فرض صحّته، معارض بأحاديث صحيحة مضمونها خيريّة الأجيال اللاحقة للجيل المعاصر للرسول ﷺ أو تساويها معه أو عدم معرفة ذلك[1].

الثانية: ليس في الحديث دلالة صريحة أو ظاهرة على المدّعى، لأنّ الحديث ظاهر في خيريّة الجيل المعاصر له على الجيل التالي وهذا على الثالث، وهكذا. وليس فيه دلالة على المرجعيّة الدينيّة للأجيال اللّاحقة.

الثالثة: لاشكّ أنّ السّلف مختلفون من حيث الفكر والمنهاج والعقيدة والعمل، فإن قلنا بأنّ الحديث يدلّ على خيريّة السلف بكلّ فرد منهم، يبطل قول السّلفيين الذين يقسّمون المسلمين إلى قسمين سلَفيّ وغير سلفي. لأنّ كلّ فريق من المسلمين يقبلون أو ينتهجون ثلّة من السّلف فهم جميعاً سلفيّون!

الرابعة: إذا قلنا بأن الحديث يدلّ على خيريّة المجموع من حيث المجموع ولا عناية له بكلّ فرد كما هو الظاهر، والذي اعترف به بعض أعلام أهل السّنَّة مثل ابن عبد البر[2]، وهو ما يصدّقه تاريخ السّلف، فإنّ بعض الصّحابة والتابعين المحترمين عند السّلفيّن سوّدوا وجه التاريخ بجرائمهم الفظيعة ! فلم يدلّ الحديث على خيريّة كلّ فرد من السّلف. وعليه فبأيّ دليل يتّبع بعض السّلف مثل ابن حنبل ومن لفّ لفّه من أهل الحديث ويُرجّح على البعض الآخر كأبي حنيفة القائل بالرّأي

(١) راجع: صحيح البخاري، باب خلق أفعال العباد، سنن الترمذي الحديث ٢٨٦٩، ومسندأحمد بن حنبل ٣/ ١٣٠، فتح الباري ٧/ ٦٠.
(٢) انظر فتح الباري ٧/ ٤.

والقياس مثلاً ؟

الخامسة: أنّ السّلف المعتبر عند السّلفيين مثل عموم الصّحابة وجلّ التّابعين كانوا منتهجين مناهج متناقضة وقد كفّر بعضهم البعض، واستباح دماءَهم فضلاً عن لعن بعضهم البعض. فكيف يمكن لإنسان سلفيّ الجمع بين مناهج ذلك السّلف المتناقض؟ وهل يتيسّرُ له بأن يكون تابعاً لعليّ عليه‌السلام ومع ذلك مقتدياً بمعاوية ؟!

السّادسة: ما هو المقصود من الانتهاج بمنهاج السّلف؟ هل هو النّظر إليهم كقدوة عمليّة في سلوك الإيمان وتطبيق الشّريعة؟ أم تقليدهم بفهم الدين وجعل فهمهم معياراً لفهمنا ؟ إن كان هو الأوّل، ففيه أنّ السّلف ليس كلّهم بتلك المنزلة الرفيعة لكي يُتأسّى بهم، فاللّازم الفحص عن أولئك الواجدين لتلك المنزلة فيُتأسّى بهم. وإن كان هو الثاني فيرد عليه بأنّ الدين بعض مسائله ضروريّة وبديهيّة يفهمها كلّ إنسان في أيّ زمان وأيّ مكان، ولا حاجة للمتأخّر في تقليده للمتقدّم فيها، بل هو غير معقول، وبعض مسائله نظريّة بحاجة إلى دقّة ونظر ولا رجحان لفهم السّلف على فهم الخلف في هذه المسائل ما دام الخلف يمكنه الاجتهاد في ذلك، خاصّة وأنَّ السّلف المجتهدين متباينون في الآراء والمناهج.

نعم إذا قلنا بأنّ السّلف معصوم عن الخطأ فعند ذلك يكون فهمه على الخلف حجّة مطلقاً. ولكنْ أنّى لهم بإثبات العصمة وهم غاية ما توصّلوا إليه إثبات العدالة لخصوص الصّحابة فقط؟

السّابعة: أنّ أصول الدين وفروعه قيم ثابتة لاتتغيّر على الرغم من تغيّر مظاهر الحياة والمدنيّة. فإنّ حلال محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة. لأنّها مبنيةٌ على الفطرة الإنسانية ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠].

وهناك رسوم وتقاليد ينتهجها البشر على أيّ شريعة كانوا. وهذه التّقاليد تتغيّر حسب المقتضيات الزمنيّة والمدنيّة إذ لا ثبات لها. وهي بمعزلٍ عن الدّين،

ولكنَّ المجتمعات نوعاً ما تلتزم بها كالالتزام الدّيني. ولاشكّ أن السّلف كانت له تلك الرّسوم والتّقاليد، وهي مختلطة بالمفاهيم الدينيّة اختلاطاً يصعب معه التمييز في ما بينها. وهذا الواقع يصنع فخّاً ومنزلقاً للسّلفييّن، بحيث يقعون فيه على الأغلب من حيث لا يشعرون، فتراهم يعيشون في عصر الذّرة والمعلومات بعقليّة سلفيّة متحجّرة جامدة. والحال أنّ الدين الإسلامي يحتوي على مرونة بديعة، للإنسان أن يتكيّف حسب مقتضيات الزّمان على الرّغم من تمسّكه بأصول الدين وفروعه. ولعلّ هذا من مصاديق الحديث النبوي المشهور «**إنّما بُعثت بالشريعة السَّمْحة السهلة**».

الثامنة: نظراً إلى المؤاخذات السالفة، إنّ اتخاذ السّلف مذهباً يتعبّد به، يعدّ من البدعة، أي إدخال ما ليس من الدين في الدّين بلا أيّ مسوغ شرعي وبرهان عقلي. ولا شكّ أنّ كلّ بدعة ضلالة وكل ضلالة في النّار كما جاء في الحديث المشهور. وغاية ما يمكن أن ينظر إلى السّلف وخاصّة الصّحابة من حيث المجموع لا كلّ فردٍ فرد منهم بأنّهم: (الطّليعة المؤمنة والمستنيرة وأفضل بذرة لنشوء أمّة رساليّة، حتّى ان تاريخ الإنسان لم يشهد جيلاً عقائديّاً أروع وأنبل وأطهر من الجيل الّذي أنشأه الرّسول القائد ﷺ) كما عبّر بذلك عنهم الشهيد الإمام السيّد محمّد باقر الصّدر[1].

وإنَّ الدكتور محمّد سعيد رمضان البوطي قد ارتأى عدم كون السّلفيّة مذهباً إسلاميّاً، حيث ألّف كتاباً أسماه: (السلفيّة مرحلة زمنيّة مباركة لا مذهب إسلامي).

(١) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر، المجموعة الكاملة ١ / ٤٨ (بحث حول الولاية).

نماذج من الحركات السلفيّة الإرهابيّة

بعد أن تعرّفنا على الفكر السلفي، حان الأوان لأن نعرض الحركات السلفيّة الّتي اتّخذت الإرهاب والعنف أسلوباً لها. ومنطلقها في ذلك، أنّ الدين والحقّ منحصران فيها وحكر عليها، وغيرها محكوم بالكفر والزندقة، وأنّ دماء غير السّلفيّين مباحة، كما أنّ نهب أموالهم وسبي نسائهم وأطفالهم مستساغ، حيثما يعامل الكفّار الحربيّون والمشركون!

وإليك نماذج من تلك الحركات:

أ ـ الحركة البربهاريّة:

وهي الحركة التي قادها أبو محمّد الحسن بن عليّ بن خلف البربهاري (م٣٢٩ هـ). وكان متكلّماً وفقيهاً ويتعصّب للمذهب الحنبلي، وقد قام بعدّة أعمال شغب دينيّة في بغداد. وكان هدفه منها كسب السلطة للحنابلة، وكان ملتزماً بمذهب أهل الحديث ويخالف إدخال العقل في الأمور الدينيّة، ويرى السؤال عن علّة الأشياء وفلسفتها بدعة، وكان يقول بأنّ علم الكلام باطل واصطلاحاته بدع وليس فيه إلّا الزندقة والشكّ والكفر.

وكتب كتاباً سمّاه شرح السّنّة. وكان يعتقد بنظريّة الحشويّة في التشبيه والتجسّيم. وكان يتشدّد في الأفعال والأقوال التي يراها بدعة. لذلك أصدر فتوى إعدام النائحة على أبي عبدالله الحسين عليه السلام،لأنّ إقامة العزاء على سبط رسول الله صلى الله عليه وآله بدعة في نظره.

ومن الفتن الدمويّة التي ثارت بتحريكه، النقاش حول آية ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩] بين الحنابلة الذين كانوا يفسّرونها بأنّ الرسول صلى الله عليه وآله ليكون جليساً لله سبحانه، ومخالفيهم الذين يفسّرونها بالشّفاعة. كما قام بتحريض

المقتدر العبّاسي بتدمير مسجد بُراثا الذي كان الشّيعة يعظّمونه. وأثار أعمال الفوضى حينما سمع لعن معاوية على المنبر. وكانت عنده عصابة تقوم بمزاحمة الناس والتدخل في شؤونهم بذريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكانوا يهاجمون الناس في بيوتهم. وقد اشتعلت نيران الفتن إثر ذلك في بغداد حتّى اضطرت الحكومة إلى حبسه وتفريق جماعته. وكان يكفّر أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام وينكر على المسلمين زيارتهم لقبور الأولياء. وقد قام هو وأصحابه بإحراق محلّات البيع ونهب أموال النّاس إثر اعتقال بعض أصحابه، إلى أن فرّ ومات مختفياً. وكان مع ذلك يظهر التّورّع بحيث إنّه ترك ميراث أبيه تورّعاً وكان سبعين ألفاً[1].

ب ـ الوهابيّة:

الوهابيّة هي أشهر وأوسع وأقدر حركة سلفيّة في القرون الثلاثة الأخيره، بل في كلّ أدوارها. وتنسب إلى محمّد بن عبدالوهّاب بن سليمان التميمي النجدي (١١١٥ ـ ١٢٠٦هـ).

ولد محمّد بن عبدالوهّاب في العيينة من بلاد نجد وتتلمذ على أبيه عالم الحنابلة هناك. وسافر إلى عدّة مدن واطّلع على كتب ابن تيميّة أحمد بن عبد الحليم الحرّاني وتأثّر بأفكاره وآرائه.

ابن تيميّة المنظّر الرئيسيّ للأفكار الوهابيّة:

كان ابن تيميّة (٦٦١ـ٧٢٨) حنبليّاً حشويّاً قائلاً بالتجسيم والتشبيه. ونشر أفكاراً تتنافى مع مشهور العلماء من أهل السّنَّة فضلاً عن الشيعة كحرمة شدّ الرحال إلى زيارة النبيّ صلى الله عليه وآله، وحرمة التوسّل به وبسائر الأولياء، وطلب الاستشفاع وما شاكل ذلك، ممّا أدّى إلى تفسيقه والحكم بانحرافه. وقد أفتى جماعة كثيرة من فقهاء المذاهب الإسلاميّة كالأحناف والمالكيّة والشوافع، وحتى بعض الحنابلة

---

(١) راجع: دائرة المعارف بزرك اسلامى ج ١١ / ٦٦٩-٦٧١. وسير أعلام النبلاء ج ١٥ / ٩٠-٩٣.

بإنحرافه مثل الشيخ صفيّ الدين الهندي الأرموي (م٧١٥ هـ)، والشيخ شهاب الدين بن جهبل الكلابي الحلبي (م ٧٣٣ هـ)، وقاضي القضاة كمال الدين الزملكاني، والحافظ شمس الدين محمّد بن أحمد الذهبي (م٧٤٨)، والحافظ عليّ بن عبد الكافي السّبكي (م ٧٥٦ هـ)، وشيخ الإسلام شهاب الدين أحمد ابن حجر العسقلاني (٨٥٢)، وغيرهم. وقد كتب بعضهم كتباً ورسائل ردّاً على أفكاره البدعيّة، منها: كتاب (شفاء السقام في زيارة خير الأنام) للشيخ تقي الدين السبكي الشافعي. ومن جملة آثار ابن تيميّة كما قال محمّد بن شاكر الكتبي (م ٧٦٤) في كتابه (فوات الوفيات) في ترجمته: (إنّه ألّف رسالة في فضل معاوية، وفي أنّ ابنه يزيد لا يُسَبّ).

وهذا ممّا يدلّ على أنّ ابن تيميّة كانت له نزعة أمويّة شديدة يُبَرّئ يزيد من جرائمه الّتي ارتكبها مثل قتل سبط رسول الله ﷺ، ووضع السيف في أهل المدينة في مجزرة الحرّة، وقتل المئات من الصّحابة والآلاف من أبنائهم، وكذلك انتهاك حرمة الكعبة ورميها بالمنجنيق. وعلى أيّ حال فنتيجة لمواقف علماء الإسلام ضدّه أودعته الحكومة في السجن، وبقي في قلعة دمشق حتّى مات فيها، وماتت أفكاره بعد موته وموت تلميذه القيّم بن الجوزيّة، إلى أن أحياها محمّد بن عبد الوهّاب من جديد في القرن الثاني عشر.

دور بريطانيا في تأسيس الوهابيّة:

إنّ تأثر محمّد بن عبد الوهاب بأفكار وآثار ابن تيميّة أثار غضب أبيه وأخيه الشيخ سليمان عليه وسبّب طرده من البيت، فاضطرّ إلى السّفر إلى البصرة قاصداً الشّام، والتقى هناك بالمستر همفر الجاسوس البريطاني حسب ما نقل في مذكّرات ذلك الجاسوس فرجع إلى نجد بتحريض منه.

وإنّ تدخّل بريطانيا في إسناد الوهابيّة، إذا كان في أوّل الأمر على مستوى الجواسيس، فقد كُشِفَ عنه النقاب بإسناد الحكومة السعوديّة قبيل الحرب العالميّة

وبعدها. وكانت للبريطانيين إمدادات وإعانات علنيّة في جميع المستويات السّياسيّة والعسكريّة والاقتصاديّة للحكومة الوهابيّة.

دور آل سعود في انتشار الوهابية:

وبعد موت الشيخ عبدالوهّاب عام ١١٤٣ أعلن الشيخ محمّد بمعتقداته، وقد تعاهد هو وأمير العيينة (عثمان بن معمّر) على أن يشدّ كلّ منهما أزر الآخر، فيترك الأمير للشيخ الحرّيّة في إظهار الدعوة والعمل على نشرها، إزاء أن يقوم محمّد ابن عبد الوهاب بدوره بشتى الوسائل لسيطرة الأمير على نجد بكاملها. وزوّج الأمير أخته جوهرة من الشيخ. وأوّل شيء قام به تهديم قبّة زيد بن الخطّاب عند الجبيلة. ولم يطل عمر التحالف بينهما، لأنّ سليمان الحميدي صاحب الإحساء نهى عثمان عن مؤازرته. ثمَّ خرج ابن عبدالوهّاب إلى الدّرعيّة عام ١١٦٠ وهي بلاد مسيلمة الكذاب، خاصّة وأنه كان مولعاً بمطالعة الكتب المؤلفة في شأنه وغيره من مدّعي النّبوة مثل سجاح والأسود العَنْسى وطليحة الأسدي وأضرابهم. وكان أمير الدّرعية آنذاك محمّد بن سعود جد السعوديّن. وتمّ الاتّفاق بين الأمير والشيخ على غرار ما كان قد تمّ بينه وبين ابن معمر. فقد وهب الشيخ نجداً وعربانها لابن سعود ووعده بأن تكثر الغنائم عليه والأسلاب الحربيّة والضرائب. على أن يدع الأمير للشيخ ما يشاء من وضع الخطط لتنفيذ دعوته.

وقد بايع الأمير ابن عبدالوهّاب على القتال في سبيل الله. ومعلوم أنهما لم يفتحا بلداً غير مسلم، وإنّما كانا يغزوان ويحاربان المسلمين الذين لم يدخلوا في طاعة ابن سعود .وذلك لأن الوهّابيَّ طرح أفكاره بعنوان التوحيد، وكان يقول بأنّ الذي لايقبل هذه العقائد فهو مشرك وخارج عن التّوحيد، ودمه هدر وإن صام وصلّى. وكان شعارهم: (أدخل في الوهابية وإلّا فالقتل لك، والتّرمّل لنسائك واليتم لأطفالك).

وابتدأت الغزوات الوهّابيّة على القرى والبلدان المجاورة. فكانوا إلى أيّ

بلد يذهبون يعرضون عقائد الوهابيّة، فإن أسلموا لهم يتركوهم وإلّا فيجرّدوا فيهم السيف وينهبوا أموالهم ويسبوا نساءهم، وكانت الغنائم توزّع على المجاهدين الوهابيين بعد أن يخرج خمسُها لابن سعود[1].

الاعتداءات والمجازر الوهّابيّة:

والغزوات التي قام بها ابن سعود مع ابن عبد الوهاب، واستمرّ بها أولادهما وأحفادهما الّتي راح ضحيّتها عشرات الآلاف، إن لم يكن مئات الألوف من المسلمين وأهل القبلة، إلى أن استتبّت لآل سعود السيطرة على الجزيرة العربيّة وصاروا ملوكاً بلا منازعين، كثيرة جدّاً. وقد حفلت بها الكتب التي ألّفها المؤرخون الموالون لهم وغيرهم. نذكر منها هنا نماذج على سبيل المثال:

١ـ مجزرة العيينة:

إنّ من أوّل ما قام به ابن سعود وابن عبدالوهّاب الفتك بشيخ العيينة عثمان ابن معمّر إزاء موقفه من الشيخ، فاغتالاه أثناء إرادته لصلاة الجمعة! واحتلّا العيينة وأضافاها إلى الدرعية بعد أن قتلا رجالها ودمّرا بيوتها وأحرقا أشجارها واعتديا على اعراضهم وبقرا بطون الحوامل من النّساء عام ١١٦٣ [2].

٢ـ مجازر نجد والإحساء:

جاء في كتاب تاريخ نجد لمحمود شكري الآلوسي وهو من الموالين لابن عبد الوهاب: (وخرج إلى الدرعيّة سنة ١١٦٠ وصاحبها يومئذ محمّد بن سعود، فتوسّل بامرأة الحاكم إليه، وأطمعه في ملك بلاد نجد، فتبعه وبايعه على قتال المسلمين. فكتب إلى أهل نجد ورؤسائهم وقضاتهم يطلب الطاعة، فأطاعه بعضهم وبعضهم لم يحفل به. فأمر أهل الدرعية بالقتال، فأجابوه وقاتلوا معه أهل نجد والإحساء مراراً كثيرة حتى دخل بعضهم في طاعته طوعاً أو كرهاً، وصارت إمارة

---

(١) تاريخ نجد / ٩٧. ناصر السعيد، تاريخ آل سعود ص ٢١ ـ ٢٣.

(٢) راجع: بحوث في الملل والنحل للعلامة السبحاني ج ٤ ـ بتلخيص منّا ص ٣١ ـ ٦٢ وص ٣٣٠ ـ ٣٤٤.

نجد جميعها لآل سعود بالقهر والغلبة. ومات ابن عبدالوهّاب سنة ١٢٠٦ ثمَّ مات محمد بن سعود فخلفه ولده عبدالعزيز. وقام بنصرة هذا المذهب وقاتل عليه وبلغت سراياه وعماله أقصى بلاد نجد. ثمَّ مات عبد العزيز فخلفه ولده سعود. وكان أشدَّ من أبيه في التوهُّب، فمنع المسلمين من الحج وخرج على السلطان وغالى في تكفير من خالفهم ثمَّ مات سعود وخلفه ابنه عبدالله انتهى)[1].

ومن المعلوم أنّ الضحايا في مجازر العيينة ونجد ما كانوا من الشيعة، بل كانوا من سائر المسلمين أي أهل السّنّة، وذلك لأن المسلمين المحكوم عليهم بهدر الدَّم وإباحة سفكه ليسوا خصوص الشيعة، بل عامّة من لم يرضخ للعقائد الوهّابيّة وإن كانوا من أهل السّنّة.

٣ـ مجازر النجف وكربلاء:

إنّ هجماتهم على النجف وكربلاء وسفكهم لدماء الآلاف من الأبرياء وزوار الإمام الحسين عليه السلام وانتهاكهم لحرمة سبط الرسول صلى الله عليه وآله فظيعة جداً. وقد استمرت تلك الهجمات من عام ١٢١٦ إلى ١٢٢٥ عدَّة مرَّات.

يقول السيّد محسن الأمين: (وفي سنة ١٢١٦ جهّز سعود بن عبد العزيز ابن محمد بن سعود الوهابي جيشاً عظيماً من أعراب نجد وغزا به العراق وحاصر كربلاء ثمَّ دخلها عنوة وأعمل في أهلها السيف، ولم ينج منهم إلّا من فرّ هارباً أو اختفى في مخبأ أو تحت حطب ونحوه، ولم يعثروا عليه، وهم جيران قبر ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله السبط الشهيد، ونهبها وهدم قبر الحسين عليه السلام واقتلع الشبَّاك الموضوع على القبر الشريف ونهب جميع ما في المشهد من الذّخائر. ولم يرعَ لرسول الله صلى الله عليه وآله ولا لذريته حرمة. وأعاد بأعماله ذكرى فاجعة كربلا ويوم الحرّة وأعمال بني أمية والمتوكل العباسي. ويقول أهل العراق ـ وهم أعلم بما جرى في بلادهم ـ: إنّه ربط خيله في الصحن الشريف وطبخ القهوة ودقّها في الحضرة الشريفة)[2].

(١) كشف الارتياب للسيد محسن الأمين ص ١٤ نقلاً عن تاريخ نجد.
(٢) السيّد محسن الأمين، كشف الارتياب ص ٢٠.

وتناول كوران سيز وصف تلك الواقعة بقوله:

وقد جرت العادة أن يحتفل الشيعة كلّ عام بعيد الغدير في يوم الغدير في النّجف الأشرف، فخرج أهالي كربلاء من بلدتهم، فانتهز الوهَّابيُّون فرصة غيابهم عن البلدة واقتحموها، وهم حوالي اثني عشر ألف جندي، ولم يكن في البلد الّاعدد قليل من الرجال المستضعفين، قتلهم الوهابيّون ولم يبقوا أحداً منهم حيّاً. ويقدّر عدد الضحايا خلال يوم واحد بثلاثة آلاف. وأمّا السلب فكان فوق الوصف، ويقال إنّ مائتي بعير حملت فوق طاقاتها بالمنهوبات الثمينة، فقد استولى الوهَّابيُّون على الكنوز والأموال، وجرّدوا القبة من صفائح النحاس المطلية بالذهب[1].

وقال الفقيه الكبير السيّد محمّد جواد العاملي صاحب مفتاح الكرامة في نهاية المجلَّد الخامس من موسوعته الفقهيّة الكبيرة:

(فقد وفق الله سبحانه لإتمام هذا المجلد في أوَّل شهر ربيع الأوَّل سنة ١٢٢١من الهجرة مع تشتّت الأحوال واشتغال البال بما نابنا من الخارجي الملعون في أرض نجد، فإنّه اخترع ما اخترع في الدين وأباح دماء المسلمين، وتخريب قبور الأئمة المعصومين عليهم السلام. فأغار سنة ١٢١٦ على مشهد الحسين عليه السلام وقتل الرجال والأطفال وأخذ الأموال وعاث في الحضرة المقدّسة فخرَّب بنيانها وهدم أركانها. ثم بعد ذلك استولى على مكة المشرّفة والمدينة المنورة وفعل بالبقيع ما فعل، لكنَّه لم يهدم قبّة النبيّ صلى الله عليه وآله، وفي السنة الحادية والعشرين في الليلة التاسعة من شهر صفر قبل الصبح بساعة هجم علينا في النجف الأشرف، ونحن في غفلة حتّى إنّ بعض أصحابه صعدوا السور وكادوا يأخذون البلد فظهرت لأمير المؤمنين عليه السلام المعجزات الظاهرة والكرامات الباهرة، فقتل من جيشه كثير ورجع خائباً، وله الحمد على كلِّ حال)[2].

---

(١) الدكتور منير العجلاني، تاريخ البلاد العربيّة ص ١٢٦، ١٢٧.

(٢) مفتاح الكرامة ج ٥/ ٥١٢.

وقال في نهاية المجلد السّابع من مفتاح الكرامة:

(...وقد منّ الله سبحانه لإتمام هذا الجزء بعد انتصاف الليل من الليلة التاسعة من شهر رمضان سنة ألف ومئتين وخمس وعشرين... وكان مع تشويش البال واختلال الحال. وقد أحاطت الأعراب من عنيزة القائلين بمقالة الوهّابي الخارجي بالنجف الأشرف ومشهد الحسين عليه السلام .وقد قطعوا الطريق ونهبوا زوار الحسين عليه السلام بعد منصرفهم من زيارة نصف شعبان. وقتلوا منهم جمّاً غفيراً. وأكثر القتلى من العجم، وربما قيل إنهم مائة وخمسون وقيل أقل. وبقي جملة من زوار العرب في الحلة ما قدروا أن يأتوا إلى النجف الأشرف، فبعضهم صام في الحلّة وبعضهم مضى إلى الحسكة. ونحن الآن كأنّا في حصار والاعراب إلى الآن ما انصرفوا وهم من الكوفة إلى مشهد الحسين عليه السلام بفرسخين أو أكثر على ما قيل...)(١).

وقدّر الضحايا في هجمات الوهّابيّن على النجف وكربلاء بين خمسة آلاف وعشرين ألف شهيد.

٤ـ الاعتداء على المقدّسات في مكّة والمدينة:

إنّ من جرائم الوهّابيّن النكراء استيلاءهم على مكة والمدينة وهدمهم القبور والقبب فيهما.

قال بعض المؤرخين: (... وفي ثامن المحرم من عام ١٢١٨ وصل سعود محرماً فطاف وسعى... وفي الصباح بادر الوهَّابيُّون ومعهم كثير من الناس بالمساحي فهدموا أوّلاً ما في المعلى من القبب وهي كثيرة. ثمَّ هدموا قبّة مولد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ومولد أبي بكر وعليّ وقبة السيدة خديجة، وهدموا أيضاً قبّة زمزم والقباب التي حول الكعبة، وهم عند الهدم يرتجزون ويضربون الطبل ويغنّون ويبالغون في شتم القبور ويقولون: إن هي إلّا أسماء سميتموها...)(٢).

(١) مفتاح الكرامة، ج ٧ / ٦٥٣.

(٢) كشف الارتياب ص ٢٦ و٢٧ نقلاً عن تاريخ الجبرتي.

وفي عام ١٢٢١ أخذ الوهابي كلَّ ما في الحجرة النبوية من الأموال والجواهر...

قال الجبرتي: (لمّا استولى الوهّابيون على المدينة المنوّرة هدّموا القباب التي فيها وفي ينبع ومنها قبّة أئمّةالبقيع بالمدينة، لكنهم لم يهدموا قبّة النبيّ ﷺ. وحملوا الناس على ماحملوهم عليه بمكة وأخذوا جميع ذخائر الحجرة النبوية وجواهرها...)[1].

٥- مجزرة حُجَّاج اليمن:

من المجازر التي قام بها الوهَّابيُّون قتل حُجَّاج اليمن سنة ١٣٤١.

(في هذه السنَّة التقى الوهَّابيُّون بالحاجّ اليماني وهو أعزل من السلاح وجميع آلات الدفاع فسايروهم في الطريق وأعطوهم الأمان ثمَّ غدروا بهم. فلما وصلوا إلى سفح جبل، مشى الوهَّابيُّون في سفح الجبل، واليمانيُّون تحتهم فقطعوا على اليمانيين وأطلقوا عليهم الرصاص حتّى قتلوهم عن بكرة أبيهم، وكانوا ألف إنسان، ولم يسلم منهم غير رجلين هربا وأخبرا بالحال)[2].

٦- الهدم الأخير للقباب وعلى رأسها البقيع:

بعد أن قام الوهَّابيُّون بهدم القباب للمراقد والمزارات الشريفة في الحجاز عام ١٢١٨ هـ و١٢٢١ هـ لأوّل مرّة في تاريخ الإسلام، أعيد بناؤها بعد أن تحرّرت الحجاز من براثن الوهَّابييّن. ولمّا تم احتلالهم للحجاز للمرّة الثانية عام ١٣٤٣ هـ، قاموا بهدمها ولازالت مهدومة منذ ذلك التاريخ إلى الآن.

قال المؤرّخون:

(لمّا دخل الوهَّابيُّون إلى الطائف هدّموا قبّة ابن عباس، كما فعلوا في المرَّة الأولى. ولمّا دخلوا مكة المكرمة هدموا قباب عبدالمطلب جدالنبي ﷺ وأبي طالب

(١) كشف الارتياب، ص ٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٠.

عمه وخديجة أم المؤمنين، وخربوا مولد النبيّ ﷺ ومولد فاطمة الزهراء عليها السلام. ولّما دخلوا جدّة هدموا قبّة حواء وخربوا قبرها كما خربوا قبور من ذكر أيضاً، وهدموا جميع ما بمكة ونواحيها والطائف ونواحيها وجدة ونواحيها من القباب والمزارات والأمكنة التي يتبرّك بها. ولما حاصروا المدينة المنورة هدّموا مسجد حمزة ومزاره لأنهما خارج المدينة وشاع أنهم ضربوا بالرصاص قبّة النبيﷺ ولكنهم أنكروا ذلك. ولما استولوا على المدينة المنورة خرج قاضي قضاتهم الشيخعبدالله بن بليهد من مكة إلى المدينة في شهر رمضان سنة ١٣٤٤، ووجّه إلى علماء المدينة سؤالاً يسألهم فيه عن هدم القباب والمزارات، فسكت كثير منهم خوفاً وأجابه بعضهم بلزوم الهدم. وإنما أراد بهذا السؤال تسكين النفوس لا الاستفتاء الحقيقي، فإنّ الوهّابييّن لايتوقفون في وجوب هدم جميع القباب والأضرحة حتّى قبة النبيّﷺ، بل هو قاعدة مذهبهم وأساسه. وبعد صدور هذا السؤال والجواب هدموا جميع ما بالمدينة ونواحيها من القباب والأضرحة والمزارات. فهدموا قبّة أئمّة أهل البيت بالبقيع ومعهم العبّاس عم النبيّ ﷺ وجدرانها وأزالوا الصندوق والقفص الموضوعين على قبورهم ولم يتركوا غير أحجار موضوعة على تلك القبور كالعلامة. وهدّموا قباب عبدالله وآمنة أبوي النبي ﷺ وأزواجه وعثمان بن عفان وإسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام ومالك إمام دارالهجرة وغير ذلك)[1].

وقد تعرّض الوردي لأحداث هدم قبور البقيع بكتابه أكثر تفصيلاً، إليكم شطراً ممّا كتبه في ذلك:

(كان البقيع مقبرة المدينة في عهد النبيّ وما بعده، ولهذا دُفن فيه العبّاس عم النبيّ والخليفة عثمان، وزوجات النبيّ، والكثير من الصّحابة والتابعين، كما دفن فيه أربعة من أئمّة أهل البيت هم: الحسن بن عليّ، وعليّ بن الحسين، ومحمّد ابن عليّ، وجعفر بن محمّد، وقد صنع الشيعة لقبور هؤلاء الأربعة ضريحاً باهراً

(١) كشف الارتياب ص ٥٥.

يشبه الأضرحة المعروفة في العراق وإيران، لكن على نطاق أصغر. واعتاد الشيعة أن يزوروا هذا الضريح فيقبّلونه ويتبرّكون به ويصلّون عنده على نحو ما يفعلون في أضرحة العراق وإيران).

ظلّت هذه القبور سليمة في العهد السعودي أكثر من أربعة أشهر دون أن يمسّها أحد بسوء، وقد بدأ التّذمّر ينتشر بين الإخوان من جرّاء ذلك، وصاروا ينتقدون ابن سعود ويتهمونه بالتّساهل في تنفيذ أوامر الله. فاضطر ابن سعود في أواسط نيسان ١٩٢٦ إلى إرسال كبير علماء نجد الشيخ عبدالله بن بلهيد إلى المدينة للعمل على هدم القبور. وعندما وصل ابن بلهيد إلى المدينة اجتمع بعلمائها ووجّه إليهم الاستفتاء التالي: (ما قول علماء المدينة زادهم الله فهماً وعلماً في البناء على القبور واتخاذها مساجد، هل هو جائز أم لا ؟ وإذا كان غير جائز بل ممنوع منهي عنه نهياً شديداً، فهل يجب هدمها ومنع الصلاة عندها أم لا ؟ وإذا كان البنّاء في مسبلة كالبقيع وهو مانع من الانتفاع بالمقدار المبنى عليه، فهل هو غصب يجب رفعه لما فيه من ظلم المستحقّين ومنعهم استحقاقهم أم لا)؟

وافق سبعة عشر رجلاً من الحاضرين على وجوب هدم القبور وكتبوا في ذلك فتواهم ووقّعوا عليها...

وعلى إثر صدور هذه الفتوى شُرع بهدم قبور البقيع. فأحدث هدمها ضجّة في أقطار العالم الإسلامي. وكانت الضّجّة في الأقطار الشيعيّة أشد ممّا في غيرها طبعاً. وصلت إلى أحد علماء الشيعة في العراق رسالة من رجل شيعي كان في المدينة عند هدم القبور، وهي مؤرخة في ٨ شوال ١٣٤٤ هـ الموافق ليوم ٢١ نيسان ١٩٢٦ كان هذا نصّها:

(أعرض لكم أنّ جميع البلاد الحجازية مقهورة تحت سيطرة ابن سعود وحكمه المطلق فيها،... ومنذ أيام ورد المدينة قاضي قضاة الوهّابييّن يقصد الشيخ عبدالله بن بلهيد ـ وبينما كان مجلسه غاصّاً بعلمائها، صرّح أمامهم بتحريم زيارة القبور، وأنّها بدعة في الدين وشرك بالله، وأنّه يلزم تحصيل الاتفاق من

جميع علماء المذاهب الأربعة على تخريبها تماماً ومحو آخر أثر من آثارها على وجه الأرض. ونظراً لذلك فقد منعت زيارة جميع المراقد المطهّرة وأغلقت أبوابها. ومنذ عشرين يوماً لم نجرؤ على قصد هذه المشاهد المشرّفة وزيارتها، إذ إنّ جنود الوهّابيّن (الأخوان) قد رصدوا الحرم المطهر النبوي ومنعوا أي زائر من التشرّف بزيارة سيدة نساء العالمين عليها السلام ومن التقرّب إلى ضريح رسول الله صلى الله عليه وآله. ثمَّ إنّ قاضي قضاة الوهّابيّن لم يتمكّن من تحصيل الاتفاق المطلوب من علماء المدينة إلّا بعد أيام إذ استعمل معهم الوسائل الأخرى المخوفة من القوة، والبعض الآخر وافق ابتداءً فحكموا جميعاً طبق رغبته بتحريم زيارة القبور مطلقاً والتمسح بها الى الله والاستشفاع بها إليه وتلاوة الزيارة فيها. ثمَّ صدر الأمر بهدم وتخريب المراقد الشريفة، فنزع الجند أوّلاً بنهب جميع ماتحتويه تلك البنايات المقدّسة في البقيع من الفرش والسّتائر والمعلّقات والسّرج وغير ذلك. ثمَّ بدأوا يخربون تلك المشاهد المقدّسة وفرضوا على جميع بنائي المدينة الاشتراك في التخريب والتهديم. والغرض الآن أن يقف على خبر هذه الفاجعة جميع المؤمنين الذين يأملون بواسطة هؤلاء الأئمّة الطّاهرين الشّفاعة والزلفى من الله تعالى، ويشتركوا جميعاً سواء العربي والفارسي والهندي والتركي، فيضجّ كلّ منهم إلى حكومته للتدخل في رفع هذه الغائلة العظمى وتدارك ما وقع. واليوم وهو ثامن شوال وقع التخريب والهدم في القبة المقدّسة في البقيع، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم. يلزم عليكم أن تبادروا إلى إخبار علماء العراق جميعاً بهذه الحادثة الفجيعة).

قرّر علماء الشيعة على إثر تلقيهم هذه الأخبار إعلان الحزن وإظهار الحداد وترك التدريس وإقامة صلاة الجماعة. وعُقد في صحن الكاظميّة اجتماع حضره جمهور كبير من الناس، وتليت فيه البرقيات والرسائل الواردة في هذا الشأن، كما نُظّمت البرقيّات التي تقرر إرسالها إلى ملوك وعلماء العالم الإسلامي في أقطارهم المختلفة. وجرى مثل ذلك في كربلاء والنجف. وفي ٤ حزيران ١٩٢٦

نشرت جريدة العراق، حديثاً جرى بين أحد محرريها والسيّد محمود الكيلاني نقيب أشراف بغداد، أعلن فيه السيّد محمود انتقاده لما قام به الوهَّابيُّون من هدم قبور البقيع ... ونشرت العراق بعدئذٍ ثلاثة أبيات طالبة من الشعراء تشطيرها وتخميسها، وهي:

لَعَمْري إنَّ فاجعةَ البقيع
يَشيبُ لَهوْلِها فَوْدُ الرضيعِ
وسوف تكون فاتحة الرزايا
إذا لم نَصْحُ من هذا الهجوع
فهل من مسلم للهِ يرعى
حقوقَ نبيّه الهادي الشفيع ؟![1]

وهذه الأبيات كما هو المعروف نظمها أحد علماء الشيعة وهو السيّد صدر الدين الصدر & الذي أصبح من مراجعها[2].

٧ـ مجزرة الحرم:

من المجازر البشعة الّتي صنعها النظام الوهّابيّ السعوديّ في تاريخه المليء بالإرهاب مجزرة الحرم الشريف المكّي في مساء يوم الجمعة السّادس من ذي الحجّة عام ١٤٠٧هـ، والّتي راح ضحيّتها حوالي أربعمئة شهيد وشهيدة من حجاج بيت الله الحرام بجوار المسجد الحرام في الشهر الحرام على أيدي الشرطة ورجال الأمن السعودي ! في دولة خادم الحرمين ! الملك فهد.

وأساس مجزرة مكّة الدمويّة، هو أنّ الحجّاج الإيرانيّين وغيرهم من حُجّاج سائر البلدان الإسلاميّة قاموا بمسيرات جماهيريّة في مواسم الحج في مكّة تحت عنوان مسيرة البراءة من المشركين، وفي المدينة تحت عنوان مسيرة الوحدة

(١) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الدكتور عليّ الوردي، ملحق الجزء السادس ص ٣٠٥ ـ ٣٠٩.
(٢) الوهّابيّة في الميزان، العلّامة السبحاني، ص ٣٠، ط: مؤسسة الفكر الإسلامي، ١٤١٧هـ. طهران.

الإسلاميّة منذ عام ١٤٠١هـ. وكانت تلك المسيرات تضمّ أكثر من مئة وخمسين ألفاً من الحُجّاج في كلّ عامّ. وتنطلق الجماهير بهتافات إسلاميّة من قبيل: (الله أكبر، لا إله إلّا الله، محمّد رسول‌الله، يا أيّها المسلمون اتّحدوا اتّحدوا، الموت لأميركا، الموت لإسرائيل). وكان القيام بتلك المسيرات متأثّراً بالتعاليم الإسلاميّة التي وجّهها مفجر الثورة الإسلاميّة الإمام الخميني & إلى مسلمي العالم في مجال إحياء الحجّ الإبراهيمي على أساس ما يستفاد من سورة البراءة التي تنصّ على البراءة من المشركين، لقوله تعالى: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ﴾ [التوبة: ٣].

ولا شكّ أنّ الاستكبار العالمي بقيادة أميركا والنظام الصهيوني الجاثم على القبلة الأولى للمسلمين، والمعتدي على مقدّساتهم في أرض فلسطين، من أبرز مصاديق الشّرك والمشركين في هذا الزمان. وكان الإيرانيون يتجنّبون إلقاء الشعار ضدّ عدوهم البعثي المعتدي على أراضيهم آنذاك حفظاً للوحدة الإسلاميّة وابتعاداً عن تهمة (فرسنة) القضيّة. وكان لتلك المسيرات آثار ثقافيّة واجتماعيّة كبيرة في إيجاد روح الحماس والعزّة والوحدة بين المسلمين، وتوجيه أنظارهم إلى أعدائهم الحقيقيّين والمساهمة في اليقظة والصحوة الإسلاميّة في شتّى البلدان المسلمة، والرجوع إلى الأسرار الإلهيّة والمغزى السّياسيّ الديني الكامن في فريضة الحجّ، والذي كان منسيّاً ومغفولاً عنه خلال القرون المتطاولة، حيث ابتعدت الأمّة الإسلاميّة شيئاً فشيئاً عن روح التشريع الإسلامي.

وكانت بعثة الإمام الخميني & في موسم الحجّ مركزاً لهداية تلك المسيرات والإشراف عليها. والمشاركون فيها، وإن كان معظمهم من حجاج إيران، إلّا أنّ غيرهم من البلدان الإسلاميّة غير قليلين، على الرغم من الأجواء البوليسيّة الحاكمة ضدّهم.

وأمّا مواجهة الحكومة السّعوديّة لتلك المسيرات قبل عام ١٤٠٧ فقد كانت منحصرة بالتعتيم الإعلامي ضدّها، وإلقاء القبض على بعض النّاشطين في بعض

الأحيان. ولم يسبق لهم ضرب تلك الحركات بالقمع والقوّة. وان كان حضور قوّات الطّوارىء في المسيرات محسوساً، إلّا أنّها جميعاً كانت تتم بدون أيّ مواجهة من الطّرفين. وهذه السّوابق جعلت القيمين بالمسيرة في عام المجزرة لا يدخلون احتمال المواجهة القمعيّة في حساباتهم، على الرغم من مشاهدة بعض المؤشّرات قُبيل المسيرة.

وأحداث المسيرة حسب ما شاهدناها، حيث كان لنا شرف المشاركة فيها وفي ما سبقها من مسيرات في الأعوام الماضية، وحسب ما نقل عن الشهود الثقات، كما يلي:

في يوم ٥ ذي الحجة جاء وكيل وزارة الحج السعوديّة السيّد حسام خاشقجي إلى مقر مندوب الإمام الخميني + واجتمع بالمسئولين وتم الاتّفاق على أن تكون نهاية المسيرة كالعام الماضي على مقربة من شارع عبدالله بن الزبير حيث تنفضّ المسيرة وتنقطع الهتافات وتجمع اللافتات ويتجه المشاركون بشكل اعتيادي نحو الالتحاق بصفوف المصلّين في المسجد الحرام.

في يوم ٦ ذي الحجة بدأت الجموع المشاركة تتقاطر بعد صلاة العصر إلى مكان انطلاق المسيرة في منطقة المعابدة أمام مقر مندوب الإمام. بعد استقرار الجموع المشاركةِ بدأ برنامج المسيرة بتلاوة من آي الذكر الحكيم في الساعة الرابعة والنصف، ثمَّ رفعت الجموع شعار: (الله أكبر، الموت لأمريكا، الموت لروسيا، الموت لإسرائيل، يا أيها المسلمون اتحدوا اتحدوا، تبّت يد المشركين من بلد المسلمين).

ثمَّ تليت فقرات من ترجمة نداء الامام[1] الموجّه إلى حجاج بيت الله الحرام.

(١) من غرائب الأمور أنّ نداء الإمام الخميني + كان مفتتحاً بهذه الآية الكريمة ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠]. وكأنّ الإمام قد ألهم بوقوع مجزرة في تلك المسيرة ويدرك الموت بعض حجاج بيت الله المهاجرين الى الله ورسوله!

وبعدها ألقى الشيخ مهدي الكروبي مندوب الإمام كلمة تحدّث فيها عن مشاكل العالم الإسلامي وعن حاجة المسلمين إلى الوحدة وإلى البراءة من المشركين. وبعد الترجمة انطلقت المسيرة في الساعة ٦:١٠ متجهة إلى شارع المسجد الحرام.

في مقدّمة المسيرة كانت تتحرّك ثلاثة صفوف من الأخوة المسئولين عن انتظام المسيرة وأيديهم متشابكة. وبعدهم جمع من الرجال، ثمَّ على الجانب الأيمن كان يسير موكب المعوقين الجالسين على عجلاتهم الخاصّة وخلفهم النساء. وعلى الجانب الأيسر كان يسير الرجال.

وواصلت المسيرة طريقها بكلّ نظام وانضباط وهي تردّد الشعارات المرفوعة من مكبّرة الصوت المركزية. وفي الساعة ٦:٤٠ وصلت المسيرة إلى مقربة من النهاية المقرّرة، فانقطعت مكبّرة الصوت عن ترديد الهتافات وبدأ المشاركون بجمع اللّافتات.

كان طابور الشرطة السّعوديّة يقف عند النهاية المقرّرة. وفي هذه اللحظات تقدّم الطابور عدة أمتار واصطفّ أمام المسيرة وبدأ بدفع الناس في الجانب الأيسر من المسيرة واستخدم في ذلك الهراوات، فضرب البعض واستفز بعضاً آخر. وكان خلف طابور الشرطة جمع غفير من قوى الأمن وهي تلبس الملابس المدنيّة وتتسلّح بألوان العصي الفتّاكة المزوّدة بقطع الحديد والمسامير. وعند بدء الشرطة بضرب الناس في مقدمة المسيرة علت من قوّات الأمن الكائنة خلف الشرطة ضجة تشجيع على ضرب الناس وأصوات صفير ومكاء وتصدية. ثمَّ شنّ البوليس مع قوات الأمن هجوماً بالهراوات والعصيّ الفتاكة على الجانب الأيسر من المسيرة، وكانوا ينهالون بالضرب الشديد والشتم القاذع على الحجّاج فجرح من جرح واستشهد من استشهد.

كانت قوى الأمن السعودي قد تجهّزت لضرب المسيرة أيضاً من موقف متعدّد الطوابق للسيارات في الجانب الأيسر من المسيرة، فألقت في هذه اللحظات ركاماً

عظيماً من الحجارة والكتل الأسمنتيّة والزجاجات الفارغة، والسطول المملوءة بالرمل، وقناني اطفاء الحريق، والمكيّفات المعطوبة، وقطع الزجاج والمرايا على رؤوس الناس. وبسبب كثافة المجتمعين، أدّى هذا الركام إلى جرح عدد من المشاركين والى استشهاد عدد آخر؛ على سبيل المثال سقطت كتلة إسمنتيّة كبيرة على رأس أحد الحجاج، فطحنته وفاضت روحه إلى بارئها في نفس اللحظة. على إثر هذا الهجوم البدوي الوحشي الجبان تراجع الحجّاج إلى الخلف إلى الجانب الأيمن من المسيرة، فأدّى اشتداد الضغط والزحام إلى سقوط عدد من الحجّاج وخاصّة النساء والمعوقين والشيوخ الضعفاء على الأرض وتحت الأرجل.

في هذا الزّحام الخانق المضغوط شنّ عدد من قوّات الأمن هجوماً من الجانب الأيمن (من خلف مسجد الجنّ) وهم يحملون العصى الفتاكة، وكان هجومهم مركّزاً على النّساء. فأدّى إلى تدافعهن فسقط عدد منهنّ بين جرحى وشهيدات على إثر الضرب وعلى إثر شدة ضغط الزحام. وسقط أيضاً في هذا الهجوم عدد من المعوّقين.

عادت الشرطة السعوديّة لشنّ هجومها من الجانب الأيمن والأيسر. وبدأ حينئذٍ إطلاق الرصاص على الحجّاج. كانت الإطلاقات الأولى من بنادق مكافحة الشغب، ولكن أعقبها إطلاق الرصاص من الرشاشات.

أدّى إطلاق الرصاص إلى هجوم جموع الحجّاج نحو الجبال المطلّة على الجانبين و نحو جسر الحجون ونحو الخلف، فالذين تسلّقوا الجبال وجدوا أنَّ قوى الأمن في انتظارهم لتنهال عليهم ضرباً وشتماً. والذين اتّجهوا إلى جسر الحجون إلى الخلف وجدوها مسدودة تماماً بطوابير مكثفة من الشرطة المجهّزة بكلّ وسائل الصد والقتل. وبذلك وجد الحجّاج أنفسهم في محاصرة كاملة وتطويق تامّ لا مخرج لهم ولا مفرّ.

كان الحجّاج المحاصرون يواجهون هجوم الشرطة وقوات الأمن مِن كلّ حدب وصوب، والرصاص يمطر عليهم من كلّ جانب.

وفي ساحة المجزرة هذه حدث كلّ عجيب ممّا لم يشهد له تاريخ الغزو الوحشي نظيراً في فظاظته وقسوته وبعده عن أدنى القيم الإنسانيّة التي كان يتمسّك بها حتّى الجاهليون قبل الإسلام.

هجموا على النساء الجالسات اللائذات بجانب من الشارع فضربوهن بالهراوات على رؤوسهن. فسقطن مضمخات بدمائهنّ،و هجموا على أجساد النّساء المستشهدات والجرحى فانتزعوا منهنَّ الأساور الذهبيّة والأقراط (يا لهول المنظر وبشاعته)!.

هجموا على المعوقين وانهالوا عليهم ضرباً وقتلوا عدداً منهم.

ألقوا الغازات الخانقة على محلّ احتشاد الحجّاج، وكان لهذه الغازات الخانقة الحارقة أكبر الأثر في سقوط عدد كبير من النساء والشيوخ في وسط الزحام واستشهادهم.

هذه الغازات الخانقة كانت تلقى من كلّ جوانب ساحة المجزرة وامتد أثرها إلى كلّ الجبال المحيطة بالمنطقة.

وشدّ (البوليس) السعوديّ الحصار وضيّق الساحة بتقدمه من شارع عبدالله ابن الزبير إلى مقابل شعب أبي طالب. وفي هذه الدائرة المحصورة كانت قوى الأمن تبطش بوحشيّة مستخدمة كلّ أدوات القتل، ولم يتورع بعضهم عن شدّ مسدّسه فوق ثوبه. في هذه الفترة أطلق الرصاص من تحت جسر الحجون والأبنية المجاورة فسقط عدد آخر من القتلى والجرحى. حاول بعض الحجّاج إنقاذ النساء الجرحى فانهالوا عليهم ضرباً ومنعوهم من ذلك[1].

خواطري تجاه مجزرة الحرم:

وأمّا ما شاهدته بنفسي في تلك المسيرة، فقد كنت أنا وعديلي الحاجّ مجيد غريب رضا في وسط الجموع نشارك بإطلاق الهتافات حوالي مسجد الجن،

(١) نظرة على مذبحة الحرم، الناشر مركز الحج للدراسات والنشر ص ١٦ ـ ٢٢.

وسمعنا بمواجهة الشرطة للحجاج في الصفوف الأماميّة، ورأينا جريحاً مضمخاً بدمه وقدوضع يديه المصبوغتين بالدم على زجاج سيارةالإسعاف فتقهقرت الجموع إلى الوراء، إلى أن وصلنا إلى المبنى الكبير الذي كان الفلسطينيون والأردنيون يسكنونه. وحصل زحام كبير في تلك الحومة، إذ صارت الجموع يضغط عليها من الأمام ومن الخلف. وكنا هناك إذ وقعت خشبة من أعلى ذلك المبنى وكادت تقع على رأسي لولا أن دفعها الله، حيث إنَّ رجلاً طويل القامة تلقّاها بيده فلم تقع على أحد. وهناك رأيت بعض النساء مذعورات من هول المجزرة حيث كان يسمع إطلاق الرصاص وتلقى الغازات الخانقة. ورأيت سيّدة مذعورة قد هتك حجابها وهي تصرخ: أنا لا أخاف من الموت، لكنّ مشكلتي أنْ ليس لي ما استتر به ! فألقيتُ عليها عباءتي وكانت حاجّة من حجّاج أصفهان. وفي ذلك المبنى رأينا تعاطف الفلسطينيين والأردنيين مع الحجّاج الإيرانيين، حيث كانوا يؤونهم إلى غرفهم ويقدّمون لهم الماء. ورأيت شابّاً فلسطينيّاً حينما كان يشاهد هجوم الشّرطة الغادرة على النّساء، رأيته يصرخ ويتوسل بالإمام المهدي عليه السلام ويقول: **يا مهدي أدركنا**. وبعد صلاة المغرب حينما تفرّق الحجّاج وأسفرت المجزرة عن حوالي أربعمائة شهيد وشهيدة، رأيت بنفسي جثمان خمسين شهيداً كانوا قد جمعوا من تلك الأطراف فصفّت جثثهم فيمقابل باب مبنى بعثة الإمام الخميني&. وقد شاركنا في نقل الجنائز والجرحى إلى المستشفيات وإرشاد التّائهين إلى قوافلهم. وقد رأيت بعد ذلك أستاذنا آية الله الشيخ جعفر السبحاني الذي كان في مقدّمة المسيرة وقد أصيب بعدّة جراحات في بدنه، كما رأيت الضّربة القاسية الّتي وقعت على ظهر ممثل الإمام سماحة حجَّة الإسلاموالمسلمين الشيخ مهدي الكروبي.

وكان ذلك الموسم في عام ١٤٠٧ هـ مليئاً بالحوادث المرّة لحجّاج بيت الله الحرام، وكانوا يشاهدون أبشع الإهانات من عملاء النظام السّعودي. ومنع الحجاج الإيرانيون بعد ذلك العام لمدة ثلاث سنوات من زيارة بيت الله الحرام وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة الطّاهرين المدفونين بالبقيع.

السّر في استحلال الوهّابييّن دماء المسلمين هو تكفيرهم لهم:

تبيّن ممّا سبق ان الوهّابييّن بنوا حركتهم على الإرهاب والعنف من أوّل يوم وإلى زماننا هذا. ولم يكن المقتولون على أيديهم من اليهود ولا النصارى الحربيين ولا الذميّن ولا غيرهم من الكفّار والمشركين، بل كانوا جميعاً مسلمين يشهدون الشهادتين ويصلّون إلى الكعبة ويصومون ويزكّون ويحجّون إلى البيت الحرام، ولم يكونوا من الشيعة فقط، بل من عامّة أتباع المذاهب الإسلاميّة حتى الحنابلة فضلاً عن الأحناف والشوافع والمالكيّة. ويشهد لذلك غاراتهم على مكّة والطائف والمدينة وعلى أهالي البصرة والزبير والشام والأردن بل وحتى على أهالي نجد من الحنابلة غير الموالين للوهابييّن.

ولاشكّ أن قتل المؤمن يعد من الكبائر التي توعّد الله مرتكبها بالعذاب الأليم مثل قوله: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣].

ومن جانب آخر فإنّ الوهّابييّن يرفعون شعار التوحيد والالتزام الصّارم بتطبيق الشريعة، فكيف يا ترى الجمع بين هذين الواقعين ؟

والجواب هو أنّهم كانوا يستحلّون دماء المسلمين فضلاً عن جواز نهب أموالهم وسبي نسائهم.

ولكن ما هو سرّ استحلال الوهّابييّن لدماء المسلمين ؟

والجواب أنّهم كانوا يرون عامة المسلمين الذين لايعتقدون بمعتقدهم الوهابي خارجين عن الإسلام، فهم كفرة مشركون لأنّهم لا يعتقدون بالتوحيد الذي يرفعون شعاره، فعندهم من يزور النبيّ ﷺ أو يتبرك بضريحه أو يتوسّل به إلى الله في غفران ذنوبه، كافر مشرك.

وهذا الأمر، وإن حاول النظام الوهّابي الحاكم التجنّب عن التصريح به في وسائل الإعلام في القرن الأخير، نظراً إلى ضرورة العلاقات السّياسيّة اللازمة

لهم مع البلدان الإسلاميّة، إلّا أنّ ذلك من الأمور المسلّمة عندهم ويدلّ عليه عدّة أدلّة منها:

أ ـ أنَّ محمّد بن عبدالوهّاب صرّح في الرسالة الّتي سمّاها (رسالة أربع قواعد) بما هذا ملخّصه:

الأولى: أن الكفّار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرّون بأنّ الله هو الخالق الرازق المدبر، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام.

الثانية: أنّهم يقولون: ما دعونا الأصنام وما توجَّهنا إليهم إلّا لطلب القرب والشفاعة.

الثالثة: أنّه ظهر ﷺ على قوم متفرّقين في عبادتهم، فبعضهم يعبد الملائكة وبعضهم يعبد الأنبياء والصالحين، وبعضهم الأشجار والأحجار، وبعضهم الشمس والقمر، فقاتلهم ولم يفرّق بينهم.

الرابعة: أنّ مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأوَّلين، لأنّ أولئك يشركون في الرخاء، ويخلصون في الشدة، وهؤلاء شركهم في الحالتين[1].

ولايريد بقوله (مشركي زماننا) إلّا المسلمين. ولم يطلق عليهم الشّرك إلّا لأجل توسّلهم بالنبيّ ﷺ في شدّتهم ورخائهم، ولذلك صاروا عنده أغلظ من مشركي عهد الرسالة.

والمؤاخذة المهمّة على كلامه أنّه خلط بين المسلمين وعبدة الأوثان، فإنّ المسلمين يعبدون الله وحده ولايتوجّهون إلى النبيّ ﷺ إلّا لأجل أن يدعو لهم ويشفع لهم عند الله. لكنّ عبدة الأصنام يتوجّهون إلى الأصنام للعبادة ولا يعبدون الله، ويعتقدون بنوع استقلال للأصنام، وأنّها تضرهم وتنفعهم من دون الله. وهذا ما لا يعتقد به المتوسّلون بالنبيّ ﷺ والأولياء عليهم السلام.

(١) بحوث في الملل والنحل، العلّامة الشيخ السبحاني ج ٤ / ٣٤٦، نقلاً عن محمّد بن عبدالوهاب، رسالة أربع قواعد ص ١ ـ ٤ ط مصر المنار.

ب ـ إنّ أوّل من حاز قصب السبق في تفنيد الآراء الشّاذّة لمحمد بن عبدالوهاب هو شقيقه الشيخ سليمان بن عبدالوهّاب، فقد كتَب كتابين في هذا المضمار، أحدهما باسم (فصل الخطاب في الرد على محمّد بن عبدالوهاب)، والآخر هو (الصّواعق الإلهيّة في الرّد على الوهابيّة). وهذا الأخير يتضمّن مناقشة مزعمة الوهّابييّن في تكفير عامّة المسلمين من جوانب متعدّدة. فمن جملة ما ذكره في هذا الصّدد، بعد أنّ بيّن في مقدّمة كتابه معنى المجتهد وشرائط الاجتهاد، وأنَّ من لا علم له يجب عليه الرجوع إلى أهل العلم، قال تعريضاً بعدم اجتهاد أخيه وشذوذه:

(فإنّ اليوم ابتُلِيَ الناس بمن ينتسب إلى الكتاب والسّنّة ويستنبط من علومهما ولا يبالي من خالفه وإذا طلبت منه أن يعرض كلامه على أهل العلم لم يفعل، بل يوجب على الناس الأخذ بقوله وبمفهومه ومن خالفه فهو عنده كافر، هذا وهو لم يكن فيه خصلة واحدة من خصال أهل الاجتهاد، ولا ـ والله ـ عشر واحدة، ومع هذا فراج كلامه على كثير من الجهال. فإنّا لله وإنّا إليه راجعون. الأمّة كلها تصيح بلسان واحد، ومع هذا لايردّ لهم في كلمة، بل كلّهم كفّار أو جهّال. أللّهم اهدِ هذا الضّالّ وردّه إلى الحق)[1].

وقال مخاطباً الوهابيين: (إذا فهمتم ما تقدّم، فإنّكم الآن تكفّرون من شهد أن لا إله إلّا الله وحده، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج البيت، مؤمناً بالله وملائكته وكتبه ورسله، ملتزماً بجميع شعائر الإسلام، وتجعلونهم كفّاراً وبلادهم بلاد حرب !! فنحن نسألكم، مَنْ إمامكم في ذلك ؟ وعمّن أخذتم هذا المذهب؟)[2].

وقال في موضع آخر: (ولكنّ المطلوب منكم هو الرجوع إلى كلام أهل العلم والوقوف عند الحدود الّتي حدّوا، فإنّ أهل العلم ذكروا في كلّ مذهب من

(١) الصواعق الإلهيّة، ص ١٥، الناشر: الهداية، الطبعة الأولى عام ١٤٢٠.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢١.

مذاهب الأقوال والأفعال الّتي يكون بها المسلم مرتدّاً، ولم يقولوا من ذبح لغير الله فهو مرتدّ، ولم يقولوا من طلب من غير الله فهو مرتدّ، ولم يقولوا من تمسّح بالقبور وأخذ من ترابها فهو مرتد ! كما قلتم أنتم، فإن كان عندكم شيء فبيّنوه فإنّه لا يجوز كتم العلم، ولكنكم أخذتم هذا بمفاهيمكم وفارقتم الإجماع وكفّرتم أمّة محمّد ﷺ كلهم، حيث قلتم: من فعل هذه الأفاعيل فهو كافر، ومن لم يكفّره فهو كافر، ومعلوم عند الخاص والعام أنّ هذه الأمور، ملأت بلاد المسلمين، وعند أهل العلم منهم أنّها ملأت بلاد المسلمين من أكثر من سبعمائة عام، وأنّ من لم يفعل هذه الأفاعيل من أهل العلم لم يكفّروا أهل هذه الأفاعيل، ولم يجروا عليهم أحكام المرتدين، بل أجرَوْا عليهم أحكام المسلمين، بخلاف قولكم حيث أجريتم الكفر والرّدّة على أمصار المسلمين وغيرها من بلاد المسلمين، وجعلتم بلادهم بلاد حرب حتى الحرمين الشريفين اللَّذْين أخبر النبيّ ﷺ في الأحاديث الصحيحة الصريحة أنهما لايزالان بلاد الإسلام...)[1].

ج ـ قال زيني دحلان: (كان محمّد بن عبد الوهّاب يخطب الجمعة في مسجد الدرعيّة ويقول في كلّ خطبة: ومن توسّل بالنبيّ فقد كفر، وكان أخوه الشيخ سليمان ينكر عليه إنكاراً شديداً، فقال لأخيه يوماً: كم أركان الإسلام يا محمّد ؟ فقال: خمسة. فقال: أنت جعلتها ستة: السادس: من لم يتبعك فليس بمسلم، هذا عندك ركن سادس للإسلام.

وقال رجل آخر: كم يعتق الله كلّ ليلة في رمضان ؟ فقال له: يعتق في كل ليلة مائة ألف، وفي آخر ليلة يعتق مثل ما أعتق في الشهر كله، فقال له: لم يبلغ من اتّبعك عشر ما ذكرت، فمن هؤلاء المسلمون الذين يعتقهم الله تعالى، وقد حصرت المسلمين فيك وفي من اتّبعك ؟ فبهت الذي كفر.

ولمّا طال النّزاع بينه وبين أخيه خاف على نفسه، فارتحل إلى المدينة المنورة، وألّف رسالة في الردّ على محمّد بن عبدالوهّاب وأرسلها إليه، فلم ينته، وألّف

(١) الصواعق الإلهيّة، ص ٢٤.

كثير من علماء الحنابلة وغيرهم رسائل في الرّدّ عليه وأرسلوها إليه، فلم ينته)[١].

د ـ يقول جميل صدقي الزهاوي: (كان محمّد بن عبدالوهّاب يسمّي جماعة من أهل بلده، الأنصار، وكان يسمّى متابعيه من الخارج، المهاجرين، وكان يأمر من حجّ حجَّة الإسلام قبل اتّباعه أن يحج ثانياً قائلاً إنّ حجتك الأولى غير مقبولة لأنك حججتها وأنت مشرك، ويقول لمن أراد أن يدخل في دينه: اشهد على نفسك أنك كنت كافراً، واشهد على والديك أنّهما ماتا كافرين، واشهد على فلان وفلان (سمَّى جماعة من أكابر العلماء الماضين) أنّهم كانوا كفّاراً. فإن شهد بذلك قبله، وكان يصرّح بتكفير الأمّة منذ ستمائة سنة، ويكفّر كلّ من لا يتبعه وإن كان من أتقى المسلمين، ويسمّيهم مشركين، ويستحل دماءهم وأموالهم، ويثبت الإيمان لمن اتّبعه.

وكان يكره الصلاة على النبيّ بعد الأذان، وينهى عن ذكرها ليلة الجمعة وعن الجهر بها على المنابر، ويعاقب من يفعل ذلك عقاباً شديداً، حتّى إنّه قتل رجلاً أعمى مؤذّناً لم ينته عن الصلاة على النّبي بعد الأذان، ويلبس على أتباعه أنّ ذلك كلّه محافظة على التّوحيد.

كان قد أحرق كثيراً من كتب الصّلاة على النبيّ، كدلائل الخيرات وغيرها، وكذلك أحرق كثيراً من كتب الفقه والتفسير والحديث ممّا هو مخالف لأباطيله)[٢].

هـ ـ إن الآلوسي الذي يعدّ من الموالين لمحمّد بن عبدالوهّاب اعترف بشذوذه في تكفير المسلمين، في كتابه الذي أسماه (تاريخ نجد). فانه بعد التّطرّق لذكر سعود ابن عبد العزيز قال: (إنّه قاد الجيوش وأذعنت له صناديد العرب ورؤساؤهم، بيد أنّه منع الناس عن الحج، وخرج على السّلطان وغالى في تكفير

(١) بحوث في الملل والنحل، العلّامة السبحاني ج ٤ / ٣٥٠ - ٣٥١ نقلاً عن السيّد أحمد بن زيني دحلان، الدرر السنيّة في الرّد على الوهّابيّة ص ٣٩ ـ ٤٠.

(٢) بحوث في الملل والنحل ج ٤ ص ٣٥١ نقلاً عن صدقي الزهاوي: الفجر الصادق ص ١٧، ١٨.

من خالفهم وشذّ في بعض الأحكام، وحمل أكثر الأمور على ظواهرها، كما غالى النّاس في قدحه، والإنصاف، الطّريق الوسطى، لا التّشديد الذي ذهب إليه علماء نجد من تسمية غاراتهم على المسلمين بالجهاد في سبيل الله ومنهم الحج، ولا التّساهل الذي عليه عامّة أهل العراق والشامات وغيرهما)[1].

نعم إنّ تكفير أهل القبلة هو من أبشع الأمور الّتي قامت عليها الوهّابيّة منذ تأسيسها إلى هذا اليوم، وعلى هذا الأساس جرى بعض التّيارات الإسلاميّة المعاصرة كحركة التكفير والهجرة وبعض فلول القاعدة والحركة الإسلاميّة في الجزائر. ولذلك تراهم يقومون بإراقة دماء المسلمين بلا أيّ تردّد لأنّهم يرون حلّيّة إراقتها!

و- تصريح بعض مشايخ الوهّابيّة بتكفير الشيعة واستحلال قتلهم، وهم طائفة كبيرة من المسلمين يعتمدون اتّباع أهل بيت رسول‌الله ﷺ ولهم تراثهم وفقهاؤهم. ولعبوا الدّور البارز في نشر التراث الإسلامي من تفسيره وفقهه وحديثه وسائرعلومه النقليّة والعقليّة، وهم اليوم يرفعون علم تطبيق الشريعة الإسلاميّة، وبثوراتهم العملاقة كان لهم الدور في إحياء الصّحوة الدينيّة بين المسلمين، ولاشكّ أنّهم يشهدون الشهادتين ويصلون ويحجّون بيت الله الحرام ويقومون بجميع أركان الإسلام ولايرون قرآناً آخر غير هذا القرآن المتعارف عليه بين المسلمين، ويعتقدون بالأئمّة الاثني عشر حسب النصوص الصحيحة الواردة عن الرسول ﷺ ويتمسّكون بالكتاب وسنّة النبيّ ﷺ وعترته حسب حديث الثقلين، ويكنّون الولاء والمودّة لأهل البيت عليهم السلام تطبيقاً لتعاليم القرآن الكريم. إلّا أنّ الحكومات والتيارات الحاكمة كالأمويين وغيرهم مثل الوهّابيين في هذا الزمان ينصبون لهم العداء ويشوّهون صورتهم على غير حقيقتها فيتهمونهم بالشّرك وما إلى ذلك من الافتراءات التي هم منها أبرياء.

---

(١) السيّد محسن الأمين، كشف الارتياب ص ٩ نقلاً عن تاريخ نجد.

وإليكم نصّاً من تصريحات رمز من رموز أعلام الوهّابيين في هذا الزمان وهو الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين عضو هيئة كبار العلماء في السعوديّة يجيب عن استفتاء يتعلّق بشيعة أهل البيت عليهم السلام.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد يوجد في بلدتنا شخص رافضيّ يعمل قصّاباً ويحضره أهل السّنّة كي يذبح ذبائحهم، وكذلك هناك بعض المطاعم تتعامل مع هذا الشخص الرافضيّ وغيره من الرافضة الذين يعملون في نفس المهنة... فما حكم التعامل مع هذا الرافضيّ وأمثاله؟و ما حكم ذبحه وهل ذبيحته حلال أم حرام؟ افتونا مأجورين والله وليّ التوفيق.

وهذا نص جواب الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

وبعد فلا يحلّ ذبح الرافضي ولا أكل ذبيحته فإنّ الرافضة غالباً مشركون حيث يدعون عليّ بن أبي طالب دائماً في الشدّة والرخاء حتى في عرفات والطواف والسعي ويدعون أبناءه وأئمتهم كما سمعناهم مراراً وهذا شرك أكبر وردّة عن الإسلام يستحقّون القتل عليها كما هم يغلون في وصف عليّ رضي الله عنه ويصفونه بأوصاف لاتصلح إلّا لله كما سمعناهم في عرفات. وهم بذلك مرتدّون حيث جعلوه ربّاً وخالقاً ومتصرّفاً في الكون ويعلم الغيب ويملك الضُّرَّ والنفع ونحو ذلك، كما أنّهم يطعنون في القرآن الكريم ويزعمون أنّ الصّحابة حرّفوه وحذفوا منه أشياءكثيرة تتعلّق بأهل البيت وأعدائهم فلا يقتدون به ولايرونه دليلاً. كما أنّهم أيضاً يطعنون في أكابر الصّحابة كالخلفاء الثّلاثة وبقيّة العشرة وأمّهات المؤمنين ومشاهير الصّحابة كأنس وجابر وأبي هريرة ونحوهم

فلا يقبلون أحاديثهم لأنّهم كفار في زعمهم، ولا يعملون بأحاديث الصحيحين إلّا ما كان عن أهل البيت ويتعلّقون بأحاديث مكذوبة أو لا دليل فيها على ما يقولون ولكنّهم مع ذلك ينافقون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ويخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك ويقولون من لا تقيّة له فلا دين له فلا تقبل دعواهم في الآخرة ومحبّة الشرع الخ. فالنفاق عقيدة عندهم كفى الله شرَّهم وصلّى الله على محمّد وآله وصحبه وسلّم.

٢٢ / ٣ / ١٤١٢هـ

عضو هيئة كبار العلماء عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين(١)

ز ـ كان السّيّد محمّد بن علوي المالكي الحسيني الذي من علماء مكّة، وكان يكن احتراماً خاصّاً لمحمّد بن عبد الوهّاب. إلّا أنّه قام بحركة علميّة ناجحة في نقد الفكر الوهّابي ومناقشة الوهّابيّين في تكفير المتوسّلين بالصّالحين وإثبات شرعيته وغيره من القضايا الّتي اختلفوا فيها عن عامّة المسلمين. وألّف كتاباً في هذا المجال تحت عنوان (مفاهيم يجب أنّ تُصحَّح). وقد لاقى إقبالاً واسعاً من قبل العلماء والمثقّفين من الوهّابيّين وغيرهم، فقد قام بتقريظ كتابه العشرات من العلماء منهم: الشيخ حسنين محمّد مخلوف مفتي الديار المصريّة، والمؤرخ الفقيه الشيخ محمّد أحمد بن حسن الخزرجي وزير الشؤون الإسلاميّة والأوقاف في دولة الإمارات العربيّة المتّحدة، ومفتي السودان الشيخ سيد أحمد العوض، وأمير جمعيّة علماء الإسلام في باكستان، والشيخ يوسف بن أحمد الصديقي عضو الرابطة الإسلاميّة بمكة المكرّمة وغيرهم ممّا يدلّ على حفاوة علماء الإسلام بذلك النقد العلمي للوهّابيّة.

عقد السيّد محمّد بن علوي أوّل باب من أبواب كتابه حول التحذير من المجازفة بالتكفير، وانتقد الوهّابيّن من هواة محمّد بن عبدالوهّاب الذين يكيلون

(١) صالح الورداني، فقهاء النّفط ص١٨٣، ط: القاهرة، الهدف للإعلام والنشر عام ٢٠٠٢م.

الحكم بالتكفير جزافاً لكل من خالف طريقته، وإن كان في نفس الوقت حاول أن ينزّه ابن عبدالوهّاب عن تكفير المسلمين. قال تحت عنوان (موقف الشيخ محمّد ابن عبد الوهاب):

(وقد وقف الشيخ محمّد بن عبدالوهّاب رحمه الله في هذا الميدان موقفاً عظيماً، قد يستنكره كثير ممّن يدعي أنّه منسوب إليه ومحسوب عليه، ثمّ يكيل الحكم بالتكفير جزافاً لكلّ من خالف طريقته ونبذ فكرته، وها هو الشيخ محمّد بن عبد الوهاب ينكر كلّ ما ينسب إليه من هذه التّفاهات والسفاهات والافتراءات....)[1].

ح ـ إنّ الشيخ حسن بن فرحان المالكي القاطن حاليّاً في الرياض من العلماء الوهّابييّن المتفتّحين الذين قاموا بنقد الفكر الوهّابي وكشف أخطائه على الرّغم ممّا يكنونه من احترام لشيخهم محمّد بن عبد الوهاب... وقد كتب هذا كتاباً تحت عنوان (داعية وليس نبيّاً !) (قراءة نقديّة لمذهب الشيخ محمّد بن عبدالوهّاب في التكفير) وقد استند في نقده إلى الإنتاج العلمي الذي بقي من كتب الشيخ محمّد بن عبد الوهاب ممّا طبعه الأتباع ونسبوه إليه ووثقوه عنه، ككتاب التوحيد أو كتاب كشف الشبهات أو مسائل أهل الجاهليّة أو غير ذلك من كتب الشيخ ورسائله.

ومن جملة ما قاله الشيخ حسن بن فرحان المالكي:

(من الإنصاف أن نقول، إنّ تشدّده رحمه الله في التكفير جلب علينا أضراراً وعلى كثير من المسلمين في العالم، ودلائل غلو الشيخ في التكفير ظاهرة لمن أنجاه الله من التّعصّب بغير الحقّ كما ستأتي الأمثلة صريحة في هذا الكتاب ـ لكن بما أنّه بشر غير معصوم فهذه الأخطاء لا تُلغي فضائله ودعوته واجتهاده، وهذه الخصال الفاضلة أيضاً ظاهرة في سيرته وكتبه).

---

(١) مفاهيم يجب أن تصحّح، السيّد محمّد بن علوي المالكي، ص ٧٤، الطبعة العاشرة، ١٤١٥هـ.طبع دائرة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، دبي.

(ونرى بعض المتعصّبين للشيخ يقبل بكلّ سهولة تخطئة كبار الصّحابة كعمر وعليّ وأبي ذرّ رضي الله عنهم وأمثالهم ولا يقبل مجرّد تخطئة الشيخ، وهذا من الغلوّ في الصالحين الذي ننكره بحقّ قولاً وفعلاً، وإن وجدنا في هذا الإنكار الأذى عن هؤلاء الذين يقولون إنّهم يحاربون الغلوَّ في الصالحين)[1]!

حركة الأخوان: (التيار الوهّابي المضادّ لآل سعود)

حركة الإخوان تيّار وهّابي متطرّف نصب العداء لآل سعود، وظهر على الساحة في العشرينيَّات من القرن العشرين ضدَّ رائد السلطة الوهّابيّة في فترتها الثالثة[2]. وعلى الرغم من القضاء عليه في عام ١٩٢٩م في معركة السبلة، إلّا أنّه بقي تحت الرّماد يتحيّن الفرص للانتفاض بوجه الدولة السعوديّة. وظهر عدّة مرات خلال ما يقارب الثمانين سنة الماضية بعدّة أشكال، فمرّةً بتمرّد خالد بن مساعد عام١٩٦٥م، وأخرى بثورة عبدالكريم بن جهيمان العتيبي في احتلال المسجد الحرام عام ١٩٧٩م، وثالثة بحركة النّخب الوهّابيّة الجامعيّة عام ١٩٩١،

---

(١) داعية وليس نبيّاً، حسن بن فرحان المالكي ص١٠، طبع دار الرّازي للطباعة والنشروالتوزيع - عمان - الأردنّ الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

(٢) تنبغي الإشارة هنا إلى ان السلطة السعوديّة الّتي سيطرت على نجد والحجاز خلال ما يقارب ثلاثة قرون تحت راية الوهّابيّة مرّت عليها فترات ثلاث:

الفترة الأولى: وقد تصدّى للحكم فيهامن عام ١١٣٧ الى١٢٣٣: ١ - محمّد بن سعود،٢- عبدالعزيز ابن محمّد بن سعود، ٣ - سعود بن عبدالعزيز، ٤ - عبدالله بن سعود. وهذا الأخير قد قضى عليه محمّد علي الباشا حاكم مصر وانتهت بذلك الفترة الأولى من الدولة السعوديّه.

الفترة الثانية: وقد تصدى فيها من عام ١٢٤٠ إلى ١٣٠٩: ٥ -تركي بن أخي عبدالعزيز،٦- مشاري ابن عبدالرحمن، ٧- فيصل بن تركي، ٨- خالد بن سعود، ٩ - عبدالله بن ثنيان، ١٠-فيصل بن تركي، ١١ - عبدالله بن فيصل التركي، ١٢ - سعود بن فيصل التركي،١٣- عبدالرّحمن بن فيصل. وقد انتهت هذه الفترة لمّا سيطر محمّد بن الرشيد الحليف للخليفةالعثماني والتابع للمذهب الحنفي على نجد، فاضطرّ الحاكم السعودي إلى الرحيل عن نجد بأهله متنقلاً في الأمصار إلى أن قطن الكويت عدّة سنوات.

الفترة الثالثة: وقد تصدى للحكم منذ عام ١٣١٩: ١٤ - عبدالعزيز بن عبدالرحمن (رائدالسلطة السعوديّة في هذه الفترة)، ١٥ - سعود بن عبدالعزيز، ١٦ - فيصل بن عبدالعزيز، ١٧ - خالد بن عبدالعزيز، ١٨ - فهد بن عبدالعزيز (مات الملك فهد في جمادى الثانية سنة ١٤٢٦ فخلفه أخوه)،١٩ - الملك عبدالله.

ورابعة بقاعدة أسامة بن لادن. وإذا ألقينا الضّوء على حركة الأخوان سوف تتّضح لنا جذور تلك الحركات والتيّارات.

منشأ حركة الإخوان:

كلمة الإخوان اصطلاح اتّخذه لأنفسهم البدو في أرض نجد الذين هاجروا من عيشتهم البدويّة وسكنوا بيوت الطّين في القرى والمدن التي أطلقوا عليها (الهجر) أو (دار المهجر) تشبّهاً بالمسلمين المهاجرين إلى مدينة الرسولﷺ.

وحيث تركوا جاهليّة البدو وحسبوا أنفسهم بعد ذلك مؤمنين أطلقوا على أنفسهم الإخوان استلهاماً من قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾. وكان أوّل وأكبر دار مهجرهم باحة (الأرطاويّة) الواقعة في منتصف الطريق بين الكويت والقصيم.

واختلف في من وجّههم إلى الهجرة في الأرطاويّة،

فقيل إنّه شيخ مغربي يسمّى عبدالكريم المغربي عالم ديني ذو أفكار إصلاحيّة، كان يعتقدأنّ من الممكن الاستفادة من الروابط القوية التي تشدّ أبناء القبائل العربيّة إلى بعضهم بعضاً من أجل إقامة مجتمع حركي متماسك، واعتباره طليعة للمجتمع الإسلامي الواحد. وحاول ذلك الشيخ تطبيق فكرته على قبائل المنتفق في جنوب العراق فلم يواجه إقبالاً منها. ثمَّ رحل إلى بلاد نجد واختار باحة الأرطاويّة واستجاب له بعض القبائل فسكنت هناك وبدأ بالحركة لرفع مستواهم الثقافي ثمَّ انضمّت إليهم مجموعات من قبائل مطير، لإيجاد الترابط بينهم أسماهم جميعاً (الإخوان). كما فرض على كلّ فرد منهم التدرّب على القتال وفنونه، وعمّق في نفوسهم عقيدة الوحدة الأرضيّة والشعبيّة ومقاومة الأجانب. ولمّا مرّ ١٤ عاماً على استيلاء الملك عبد العزيز آل سعود عام ١٩١٦م على الرياض، وكان الأخير في صدد السيطرة على أجزاء أخرى من الجزيرة العربيّة، وكان الإخوان الذين تبلور كيانهم أكثر من ذي قبل يشكلون قوة أخرى منافسة تحمل نفس الطموح من منطلق ديني بحت، حاول عبدالعزيز احتواء تلك الحركة وتسييرها في سبيل

أهدافه. وقد مشت في ركبه وسيطر بقوّتها على الحجاز ففتح مكّة والمدينة بعد أن غزا بهم حائل وسيطر عليها، وطرد آل الرشيد منها كما غزا الجهراء في الكويت وما شاكل ذلك[1].

وقد مال بعض المعاصرين إلى أنّ المبتكر لفكرة الإخوان هو عبد العزيز نفسه. وذلك لأن جيش ابن سعود في أوّل أمره كان مؤلّفاً من البدو في الغالب، وكان يعلم أنّ البدو ليس لهم قيمة حربيّة كبيرة، لأنّهم يحبّون الغزو والنهب، ولذلك ينضّمون إلى أيّة حركة جديدة حين يتوقعون الغنيمة فيها، وسرعان ما يتركونها عندما يلمحون فيها بوادر الانكسار. بل كانوا هم البادئين بالنهب والسلب ويحتجّون بأنّهم أولى من الأعداء المحاربين[2].

فكّر ابن سعود بإيجاد حل لهذه المشكلة حيث إنّه يريد جنوداً يطيعونه في السّرّاء والضّرّاء لكي يبنى بهم دولته العتيدة. ووصل إلى طرح فكرة الهجرة وجلب البدو الرّحّل للاستيطان في القرى والمدن.

شجّع ابن سعود قيام قرى ثابتة في نجد لكي يهاجر إليها البدو ويستقرّوا فيها. وقد أطلق على تلك القرى اسم (الهجر)، وكانت أول هجرة ظهرت للوجود في عام ١٩١١ في موضع يدعى (الأرطاويّه) وتلا ذلك ظهور هجر أخرى تدريجيّاً، حتّى بلغ عددها بعد ثمانية عشر عاماً، ١٢٢ هجرة. وبلغ عدد رجالها ٧٦٥٠٠ رجل.

أرسل ابن سعود إلى الهجر (المطوّعين) ـ أي الوعّاظ ـ كما جهّزها بما تحتاج إليه من مواد وأموال لتكون قرى زراعية ناجحة فباعوا إبلهم واحترفوا الزراعة والتجارة ولبسوا العمامة البيضاء بدلاً من العقال. وأطلقوا على أنفسهم اسم (الإخوان) بإعتبار أنّ المؤمنين إخوة، وانصرفوا إلى الصلاة والعبادة وتدارس

---

(١) راجع: انتفاضة الحرم ١٤٠٠هـ ـ ١٩٧٩م، منظّمة الثورة الإسلاميّة في الجزيرة العربيّة ص ١٠ ـ ١٤ ملخّصاً.

(٢) ولعلّ هذا البيت كان لهم حيث يقول شاعرهم: إذا كنت منهوباً فكن أَوَّلَ ناهب...

السيرة النبوية. وكانت كلّ هجرة تضمُّ مسجداً في وسطها وكان المسجد يغصّ بالمصلّين والدّارسين في معظم الأوقات.

أراد الإخوان أن يتشبّهوا بالمسلمين الأوّلين في كلّ شيء، وهذا أمر لا بدّ أن يؤدّي إلى التطرّف لعدم وجود قائد حكيم بينهم من طراز محمّد ﷺ يردهم الى جادة الاعتدال. لقد تشرّب هؤلاء كثيراً من المبادئ والتعاليم النّاقصة حتى اعتقدوا أنّها هي الدين وما سواها ضلالة... وكان كثير منهم يعتقد أن لا إسلام لمن لم يسكن الهجرة، فلا يبدأون غيرهم من هؤلاء بسلام ولايردون عليهم السّلام، ولايأكلون ذبائحهم. وذنب هؤلاء عندهم هو عدم سكنى الهجرة. وكانوا يعتقدون أنّ الحضر ضالّون وغزو المجاورين واجب. وأنه أُلقيَ عليهم هذا الواجب من قبل الله، فلا يسمعون كلام أحد في منع الغزو إلى غير ذلك من ضروب الجهالة وأصبحوا يُحرِّمون كلّ ما لا يتفق وهواهم.

صار الإخوان يعتبرون حياة البادية هي حياة الجاهليّة بعينها. واعتقدوا أن الإسلام الحقيقيّ هو في التخلص من كلّ ما يُشم منه رائحة الجاهليَّة والتمسّك بسنّة النبيّ وأصحابه. فالعقال مثلاً أصبح في نظرهم من البدع المنكرة، وغالى بعضهم فجعله من لباس الكفّار، وأوجب مقاطعة لابسه. وكانوا يخاطبون الرجل الذي ظلّ على بداوته (أنت يا بدويّ مشرك. أنت يا أبو العقال من الكفار، أنا أخو من طاع الله وأنت أخو من طاع الشيطان). واعتبروا الشارب الطويل والثوب الطويل مخالفين للسّنّة، وكان بعضهم يحملون المقصّ معهم فإذا وجدوا رجلاً طويل الشارب أو طويل الثوب عمدوا إلى قصّهما بالمقصّ.

وهذا التّطرّف، على الرغم من جوانبه السلبيّة، له جانب إيجابي هو أنّه خلق من الإخوان جنوداً فدائييّن يرمون بأنفسهم إلى الموت وهم واثقون أنّهم ذاهبون إلى الجنّة. وأصبحت الأم حينما تودّع ابنها تودّعه بهذه الكلمات: جمعنا الله وإياك في الجنّة. وأصبحت كلمة التّشجيع على الحرب: (هبّ هبوبُ الجنّة وين انت يا باغيها؟!). والإخوان على العموم لا تعرف قلوبهم الرحمة على الأعداء.

يروي حافظ وهبة قصّة رجل من الإخوان جاء إلى أحد شيوخ الدين يسأله عن النّفاق وعن الخوف في الحرب، وأخذ يشكو إليه من أنّ في قلبه نفاقاً حيث قال له: (إنني حينما كنت أهجم وجدت في نفسي شيئاً من التّردّد بسبب أزيز الرّصاص، ولابد أن يكون النفاق في جنبي. أخرج النفاق بعصاك أيّها الأخ. فقال له الشيخ: إنّ هذا ليس من النّفاق أو الفرار من الزحف، وأفهمه أنه: إذا لم يعط العدوّ ظهره فلا يسمّى ذلك نفاقاً أو فراراً. فقال الرّجل: لا، إن شاء الله لا أعطي العدوّ ظهري، إنّ هذا كفر يا شيخ).

إنَّ هذه الروح الفدائيّة الّتي سيطرت على الإخوان جعلت منهم قوّة حربيّة كبرى في يد ابن سعود، أخذ يهدّد بها الأقطار المجاورة. وقد صار الإخوان ابتداءً من عام ١٩١٩ م يشنّون الغارات على الكويت والعراق والأردنّ والحجاز، فأثاروا الرّعب في تلك الأقطار[١].

أزمة الإخوان:

بعد استتباب الأمور لعبدالعزيز بتأييد من بريطانيا واستيلائه على الحجاز بما فيها مكّة والمدينة، وطرد الملك حسين وولده الأمير عليّ من الحجاز، واجه الملك السعودي مأزقاً جديداً صنعه الإخوان، وهم الذين كانوا السواعد القويّة له في الوصول إلى أهدافه، حيث إنهم كانوا جنوداً مستميتين مادخلوا قرية أو مدينة من مدن المسلمين إلّا أشاعوا فيها القتل والدّمار كأنّهم كفّار حربيّون!

والأزمة نشأت من ظروف عبد العزيز كملك يريد إدارة مملكته حسب مقتضياته السياسيّة كالاستفادة من الوسائل الحديثة وإيجاد العلاقات مع الأجانب وخاصّة الإلانجليز، والتّسامح شيئاً ما مع مخالفي الوهّابيّة من المسلمين وخاصّة الحجّاج، وعدم غزو الدول المجاورة وماشابه ذلك، إلّا أنّ الإخوان متشدّدون للغاية ولايفهمون تلك المقتضيات ويرون غزو البلاد المجاورة وقمع المسلمين

(١) راجع: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الدكتور عليّ الوردي ملحق الجزء السادس ص ٢١٦ ـ ٢٢١ ملخّصاً.

المخالفين للوهابيّة واجباً شرعيّاً من منطلق الجهاد ضدَّ الكفّار، وكذلك حرمة العلاقة بالكفّار وحرمة الاستفادة من الوسائل الحديثة كاللّاسلكي والتلغراف لأنه بدعة في الدّين ! وبعبارة أخرى إنّهم يريدون تطبيق تعاليم المسلك الوهّابي بكلّ حذافيرها ويرونه الإسلام الخالص!

(فكانوا متشدّدين تجاه من يخالف السّنّة في نظرهم كالتّدخين وزيارة القبور والأماكن المقدّسة. ففي شهر شباط ١٩٢٦ ذهب أربعة أفغانيّون لزيارة غار حراء. وبينما كانوا يصلّون عنده لمحهم بعض الإخوان ورموهم بالرصاص، فأصيب اثنان منهم بجروح بسيطة. وفي شهر شباط نفسه حدث حادث آخر كان مثيراً خلاصته: أن سائقاً مصريّاً كان جالساً في مقهى بالقرب من الكعبة وهو يدخّن، فاقترب منه رجل من الإخوان واختطف السيكارة من فمه وضربه بالعصا. فغضب السائق ونهض واقفاً وانهال على الرجل بلكمات أصابت إحدى عينيه. وتبيّن بعدئذ أن هذا الرجل من آل الشيخ أي من سلالة مؤسّس المذهب الوهابي، فسيق السائق إلى القاضي فأمر القاضي بجلده وقد مات تحت الجلد)[1].

ولاشكّ أن إثارة هذه القلاقل تربك الأمور على أيّ حاكم. ولذلك بدأ عبد العزيز يحمل السخط عليهم وإن حاول اتخاذ سياسة التسامح معهم نظراً إلى مواقفهم في تشييد ملكه.

(والواقع أنّ الإخوان لم يقفوا عند حد التدخل في شؤون الناس، بل صاروا يتدخّلون في شؤون ابن سعود نفسه. ففي شهر تشرين الأوّل ١٩٢٥ عندما كان السرجلبرت كلايون يفاوض ابن سعود في بحرة بالقرب من جدّة، خرج مساعدوه يتمشّون خارج المخيّم، وكان هناك جماعة من الإخوان يصلّون، فانبرى لهم رئيسهم وأخذ يهدّدهم، وقال لهم إنّهم قد نجّسوا الأرض المقدّسة التي كانوا يصلّون عليها. ولمّا بلغ ابن سعود ذلك استدعى إليه رئيس الجماعة وأخذ يعنّفه قائلاً: (بأيّ حقّ تكلّم ضيوفي بهذه الطريقة وبأيّ حقّ تحتكر الأرض المقدّسة

(١) عليّ الوردي، لمحات، ملحق الجزء السادس ص٣٠٣.

لك ولأصحابك أيّها الكلب؟! إنّ الأرض كلّها لله وكلّها للصلاة). ثمَّ أمر بجلد الرجل ليكون عبرةً لغيره.

وعندما بدأ ابن سعود يستعمل بعض المخترعات الحديثة في مكّة، كالتّلفون والدّرّاجة الهوائيّة، استنكر الإخوان منه ذلك. فالدّرّاجة في نظرهم تسير بقوّة السحر وعمل الشيطان، بدليل أن الراكب إذا نزل عنها لا تقف، وهم يسمّونها بـ(عربة الشيطان) أو (عربة إبليس). وحدث مرّة أن خادماً لابن سعود كان راكباً درّاجة في حاجة له فاعترضه أحد الإخوان وضربه. وحين أمر ابن سعود بمدٍّ أسلاك التلفون بين مكة ومعسكره خارجها، أخذ الإخوان يقطعون الأسلاك بحجة أنّها منكر يجب إزالته)[1].

وكان بعض مشايخ الوهّابيّة موافقين لبعض مواقف الإخوان خاصّة بما يرتبط بإدخال البريطانيّن إلى البلاد، لأنهم يفسدون الرجال والنّساء ويدخلون الخمر والفتوغراف وما شاكل ذلك من الأمور الحديثة.

(ومن الطرائف التي تروى في هذا الصدد أنّ جماعة من البريطانيّن زاروا ابن سعود في قصره في الرياض، وبينما هم في القصر حلّ وقت الصلاة، فقام ابن سعود وحاشيته يصلّون خلف إمام لهم، فقرأ الإمام في الرّكعة الأولى قوله: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ وأعاد قراءة الآية في الركعة الثانية، ولما انتهت الصلاة زحف ابن سعود من مكانه نحو الإمام وأشبعه وخزاً وركلاً، وهو يؤنّبه قائلاً: (وما لك بالسياسة يا خبيث، وما الذي تقصده من ترديد هذه الآية في كلّ ركعة؟ أفلا توجد آيات غيرها)[2].

زعماء الإخوان واعتراضاتهم على آل سعود:

وكان زعماء الإخوان المتطرفون ثلاثة وهم: فيصل الدّويش زعيم قبيلة مطير. وسلطان بن بجّاد زعيم قبيلة العتيبة (جدّ عبدالكريم بن جهيمان العتيبي قائد

(١) عليّ الوردي، لمحات، ملحق الجزء السادس، ص ٣٢٢، ٣٢٣.
(٢) المملكة العربية السعوديّة كما عرفتها، أمين المميز ص ١٢٦ ـ ١٢٩.

انتفاضة الحرم)، ونايف بن حثيلين رئيس قبيلة العجمان. وكان فيصل الدويش من بينهم أكثر تطرّفاً وهو الذي كان قد نيط به أمر حصار المدينة. فهاجم قرى (العوالي) (الشيعيَّة) القريبة من المدينة، وأخذ يقتل سكانها وينهبهم على عادته في كلّ بلدة يفتحها. ويقال إنّه كان عازماً على هدم قبّة النبيّ في المدينة حيث وجّه إليها مدافعه، فقد كان يعتقد بأنّ هذه القبّة لاتختلف عن غيرها من القباب المقدّسة ويجب هدمها. وهو كاد يفعل ذلك لو لم يتدارك أمره ابن سعود، فأوعز إليه بترك المدينة والعودة إلى قريته (الأرطاوية). ثمَّ ناط أمر حصار المدينة بابنه محمد. عاد فيصل إلى الأرطاوية وهو حانق على ابن سعود، وصار يبثّ الإشاعات في قرى الاخوان متّهماً ابن سعود بأنّه باع نفسه إلى الإنكليز الكفّار.

وأخذ يلتفّ حوله الكثير من الإخوان المتذمّرين مثله. وفي خريف ١٩٢٦عقد الإخوان المتذمّرون في الأرطاوية مؤتمراً لهم تعهدوا فيه بنصرة دين الله والجهاد في سبيله، وأعلنوا استنكارهم للأعمال التي قام بها ابن سعود والتي هي في نظرهم مناقضة لدين الله، وكانت سبعة، وهي:

١ـ إرسال ولده سعود إلى مصر.

٢ـ إرسال ولده الثاني فيصل إلى لندن بلد الشّرك.

٣ـ استخدام السيارات والتلغراف والتليفونات.

٤ـ فرض الضّرائب في نجد والحجاز.

٥ـ إذنه لعشائر العراق وشرقيّ الأردنّ بالرّعي في أراضي المسلمين.

٦ـ منع المتاجرة مع الكويت، فإذا كان أهل الكويت كفّاراً حوربوا. وإذا كانوا مسلمين فلماذا مقاطعتهم؟.

٧ـ التّساهل مع روافض الإحساء والقطيف وعدم إجبارهم على الدخول في دين أهل السُّنَّة والجماعة.

موقف عبدالعزيز وعلماء الوهّابيّة تجاه الإخوان:

كان ابن سعود في مكّة حين وصلت إليه أخبار مؤتمر الأرطاويّة، فأسرع عائداً إلى الرياض، واستدعى إليه رؤساء الإخوان لعقد مؤتمر يجتمعون فيه بعلماء الدين. وقد انعقد المؤتمر في ٧ كانون الثاني ١٩٢٧ وحضره فيصل الدويش وجميع المتذمّرين ما عدا واحداً منهم هو سلطان بن بجّاد رئيس قبيلة عتيبة. وتكلم ابن سعود فقال عن نفسه، إنّه مازال خادماً للشريعة يحافظ عليها كلّ المحافظة، وإنّه لم يتغيّر عمّا كان عليه من قبل كما يتوهَّم بعض الناس. وانتهى المؤتمر بفتوى أصدرها العلماء يجيبون فيها عن المسائل التي أثارها الإخوان منها:

أمّا مسألة البرقي ـ يقصدون التلغراف ـ فهو أمر حادث في آخر الزمان، ولا نعلم حقيقته، ولا رأينا فيه كلاماً لأحد من أهل العلم، فتوقّفنا في مسألته، ولا نقول على الله ورسوله بغير علم، والجزم بالإباحة والتحريم يحتاج إلى الوقوف على حقيقته. وأمّا مسجد حمزة وأبي رشيد فأفتينا الإمام، وفّقه الله، بهدمهما على الفور. وأمّا القوانين فإن كان موجوداً منها شيء في الحجاز فيزال فوراً ولا يحكم إلّا بالشرع المطهر... وأمّا الرافضة فأفتينا الإمام أن يُلزمهم البيعة على الإسلام ويمنعهم من إظهار شعائر دينهم الباطل، وعلى الإمام أيضاً أن يلزم نائبه على الإحساء أن يحضرهم عند الشيخ ابن بشر ويبايعوه على دين الله ورسوله وترك دعاء الصالحين من أهل البيت وغيرهم، وعلى ترك سائر البدع من اجتماعهم على مآتمهم وغيرها مّما يقيمون به مذهبهم الباطل، ويمنعون من زيارة المشاهد، وكذلك يلزمون بالاجتماع على الصلوات الخمس هم وغيرهم في المساجد، ويُرتّب فيه أئمّة ومؤذنون من أهل السّنّة، ويلزمون بتعليم ثلاث الأصول، وكذلك إن كان لهم محال مبنيّة لإقامة البدع تهدم، ويمنعون من إقامة البدع في المساجد وغيرها. ومن أبى قبول ما ذكر ينفى من بلاد المسلمين... وأمّا رافضة العراق الذين انتشروا وخالطوا بادية المسلمين فأفتينا الإمام بكفّهم عن الدخول في مراعي المسلمين وأرضهم. وأمّا المكوس فأفتينا أنّها من المحرمات

الظاهرة فإن تركها فهو الواجب عليه إن امتنع فلا يجوز شقّ عصا طاعة المسلمين والخروج عن طاعته من أجلها. وأمّا الجهاد فهو محوّل إلى نظر الإمام وعليه أن يراعي ما هو الأصلح للإسلام والمسلمين على حسب ما تقتضيه الشريعة الغرّاء. ونسأل الله لنا وله ولهم ولكافّة المسلمين التوفيق والهداية، وصلّى الله على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم. حرّر في ٨ شعبان سنة ١٣٤٥.

حاول ابن سعود تنفيذ هذه الفتوى ترضية للإخوان، وكان من جملة ما فعله من أجل ذلك أنّه أمر بهدم مسجد حمزة الواقع عند جبل أحد بالقرب من المدينة وهو مشيّد على قبر حمزة عمّ النبيّ. وكذلك أمر بالتضييق على شيعة الإحساء والقطيف، فهم كانوا قبلئذ يقيمون شعائرهم الحسينيّة في داخل دورهم وحسينيّاتهم، فمنعوا من ذلك منعاً باتّاً وأغلقت حسينيّاتهم. وقد شمل هذا المنع أيضاً الشيعة الذين يسكنون في حارة النّخاولة في المدينة.

الإخوان وغزو العراق:

في عام ١٩٢٧م. قرّرت الحكومة العراقيّة بالتّفاهم مع الحكومة البريطانية إقامة مخافر للشرطة مجهّزة باللّاسلكي والسّيارات المصفّحة بالقرب من الحدود النجديّه للإشراف على تنقّلاب البدو ومنع الغزو. وفي تشرين الأوّل بدأ يبنى أوّل مخفر في موضع يدعى البصّيّة يقع على بعد ١٢٥ كيلومتراً من حدود نجد. وحين بلغ ابن سعود ذلك تخوّف منه وظّن أنّ الملك فيصل إنّما يبني تلك المخافر بالتفاهم مع الإنكليز ليجعلها حصوناً أمامية في الصحراء تمهيداً لغزو بلاده في المستقبل.

وفي مساء ٥ تشرين الثاني هاجمت جماعة من الإخوان مخفر البصّيّة فقتلوا عشرين من العمال والشرطة الذين كانوا فيه.

ضجّ الرأي العامّ العراقيّ لهذا الاعتداء واضطربت الحكومة العراقية وأرسل المندوب السامي السر هنري دوبس احتجاجاً إلى ابن سعود.

صار الإخوان يشنّون غاراتهم على العشائر العراقيّة ويعيثون فيها نهباً وتقتيلاً. فغضب السر هنري وبعد إنذار الإخوان بوساطة المنشورات التي كانت تلقيها الطّائرات الإنكليزية عليهم، وبعد عدم إعارة الإخوان أيَّ اهتمام لها أو لعلّهم لم يفهموها، بدأت الطائرات عام ١٩٢٨ بقصف تجمّعات الإخوان وقراهم.

إنّ قصف الطائرات وضع ابن سعود بين نارين: نار الإنكليز ونار الإخوان. أولئك يطلبون منه ردع الإخوان ومنعهم من الغزو، وهؤلاء يطلبون منه إعلان الجهاد على الكفّار. وقد وجد ابن سعود أخيراً أن من الأفضل له أنّ يتفاوض مع الإنكليز بدلاً من محاربتهم.

وارتأى ابن سعود أن يجتمع برؤساء الإخوان قبل التفاوض مع بريطانيا ولذلك عقد مؤتمراً في الرّياض في ٢٥ تشرين الأوّل ١٩٢٨ وحضره نحو ثمانمئة شخص، ولكن ثلاثة من رؤساء الإخوان لم يحضروه هم فيصل الدويش وسلطان ابن بجاد وضيدان بن حثيلين، غير أنّهم أرسلوا بعض أبنائهم وأقربائهم ليحضروه بالنيابة عنهم. وجعل الإخوان يطرحون إشكالاتهم ويردّ عليها ابن سعود إلى أن اقنع الكثير منهم.

ثورة الإخوان:

إنّ النتيجة التي انتهى إليها مؤتمر الرياض لم يرض عنها رؤساء الإخوان الثلاثة، فصاروا ينشرون الإشاعات السّيئة في قرى الإخوان ضدّ ابن سعود متّهمين إياه بهدم الدين وموالاة الكفّار وطلب الملك، وأخذوا يقطعون الطرق على القوافل ويفرضون الإتاوة على القرى ويهاجمون عشائر العراق ونجد.

كان عدد الإخوان الثّائرين نحو خمسة آلاف رجل، فأعدّ ابن سعود جيشاً كبيراً لقتالهم بلغ عدد رجاله خمسة عشر ألفاً. وتقابل الفريقان في موضع يدعى (السّبلة) يقع قريباً من الزُّلفى إلى الشرق من بريدة. ووقعت المعركة بين الفريقين في صباح يوم ٣٠ آذار ١٩٢٩م. واستمرَّت بضع ساعات، وانتهت بهزيمة الإخوان.

ويبدو أنّ من عوامل هزيمتهم وجود علماء الدين إلى جانب ابن سعود، فهذا لا بدّ أن يؤدّي إلى الوهن في عزيمة الإخوان ويقلّل من فدائيتهم وحماسهم الديني.

كان فيصل الدويش قد أصيب بجروح شديدة في المعركة، فجيء به إلى ابن سعود فعفا عنه بشفاعة زوجته وبناته. وبعد ثلاثة أيّام استسلم سلطان بن بجاد إلى ابن سعود الذي أمر بتقديمه إلى محكمة مولّفة من قضاة الشرع، فحكمت عليه بالسجن المؤبّد في قلعة الرياض. أمّا ضيدان بن حثيلين فقد تمكّن من الفرار إلى الكويت.

ولمّا شُفِيَ فيصل الدويش من جراحه أعلن الثورة من جديد. فعاد ابن سعود مسرعاً إلى الرياض وإعداد قواته وتوجّه بها نحو فيصل الدويش.

ومن الجدير بالذكر في هذا الصّدد أنّ فيصل الدويش كتب في ١٥ كانون الأوّل ١٩٢٩ إلى الملك فيصل في بغداد يخاطبه بلقب (سلطان المسلمين) ويدعوه للتعاون معه في محاربة ابن سعود. وكذلك كتب إلى الكابتن كلوب مفتّش البادية الجنوبية في العراق مبدياً رغبته في أن يكون من رعايا الحكومة العراقية وتحت تصرّفها.

في أوائل كانون الثاني ١٩٣٠ وقعَت المعركة الفاصلة بين ابن سعود وفيصل الدويش في موقع قريب من الحدود الكويتيّة العراقيّة. وحلّت الهزيمة بفيصل ففر مع بعض أصحابه إلى داخل حدود العراق، واستسلموا للإنكليز.

وبعد مفاوضات جرت بين ابن سعود والإنكليز قرّر هؤلاء تسليم فيصل الدويش وأصحابه إلى ابن سعود. وبعد أن سُلّم إليه قُدِّمَ إلى محكمة شرعيّة كصاحبه سلطان بن بجّاد فحكمت عليه بالسجن المؤبّد في قلعة الرياض. وبعد بضعة أشهر مات فيصل في سجنه كما مات صاحبه ابن بجاد[1].

وبموت هذين الأخيرين انتهت حركة الإخوان ظاهراً، إلّا أنها بقيَت تحت

(١) راجع: الوردي، لمحات، ملحق الجزء السادس من ص ٣٢٤ ـ ٣٣٥ ملخّصا.

الرماد، كانت تبرز إلى الوجود بين آونة وأخرى حينما تهبّ عاصفة لإزاحة الرماد. وقد نقل أنّ حاكم الإحساء عبدالله بن جلوى في أوائل القرن العشرين كان قد حذّر أسياده بذلك حيث قال: (إنّ حركة الإخوان كالنّار الّتي تحرق كلّ شيء)(١).

حركة الأمير خالد بن مساعد بن عبد العزيز:

ظهر هذا الأمير في عهد الملك سعود بن عبد العزيز عام ١٩٦٠م. وحاول أن يلمّ شعث الإخوان المتشتّت. وقد استطاع أن يجمع حوله مجموعة غير قليلة من الإخوان منهم قاموا على أثرها بعدّة أعمال ازعجت السلطة وأقلقتها، كان آخرها محاولة الاستيلاء على تلفزيون الرياض عام ١٩٦٥ م، ممّا دعا الملك فيصل الذي كان حاكماً آنذاك إلى إصدار أمر مباشر يقضي بإعدام خالد بن مساعد. وتمّ ذلك في ٨/ ٩/ ١٩٦٥م بإشراف الأمير فهد (وزير الداخليّة آنذاك) وبيد محمّد بن هلال قائد سلاح الحدود حالياً.

ثمّ طارد فيصل بقيّة الإخوان وزجّ ببعضهم في السجون.

وبمقتل الأمير خالد عادت حركة الإخوان لتعمل تحت الأرض، وبعد خمسة عشر عاماً تفجّر البركان الذي ظلت موادّه تتفاعل تحت الأرض طيلة تلك السنوات وقذف حُممه على آل سعود في عمليّة الحرم..(٢)

ويروي أحد المحقّقين في مجال الحركات الإسلاميّة المعاصرة، أنّ دافع حركة الأمير خالد ضدَّ عمّه الملك فيصل هو اتخاذ سياسة التجديد التي كان الملك يتخذها في تطوير البلاد ومنها استيراد التلفزة، وهذه السّياسة تتنافى مع أفكار الإخوان. وبعد أن قضى على الأمير خالد وسعد بن هليل وسائر أتباعه عام ١٩٦٥م انتقم فيصل بن مساعد لأخيه خالد من عمه الملك فيصل فقتله عام ١٩٧٥م(٣).

(١) أبوذرّ، الإخوان ص ٢٤٦.

(٢) انتفاضة الحرم، منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية ص ٢٣.

(٣) هرايرد كمجيان، اسلام در انقلاب جنبشهاى اسلامى معاصر در جهان عرب، المترجم الى الفارسية:

انتفاضة الحرم عام ١٤٠٠هـ:

انتفاضة الحرم هي الحركة التي قادها جهيمان بن سيف العتيبي ومحمّد ابن عبدالله القحطاني الذي ادّعى أنه المهديّ! في أول محرم ١٤٠٠ هـ (نوفمبر ١٩٧٩م) حيث احتلّا المسجد الحرام مع زهاء ألف أو ألفين من أتباعهما إلى أن قُضي عليها من قبل السلطة السعوديّة بعد مرور ثلاثة أسابيع. كما يمكن أن تعتبر من المجازر البشعة الّتي راح ضحيتها مئات من السلفييّن (الإخوان) على أيدي السلفييّن (الحكّام) وقد انتهكت بذلك حرمة المسجد الحرام.

وهذه الحركة تعتبر استمراراً لحركة الإخوان الّتي بقيت تحت الرّماد بعد انتكاسة السّبلة عام ١٩٢٩م واندلعت شرارتها بين آونة وأخرى حينما هبّت رياح لإزاحة ذلك الرماد. والعاصفة التي أزاحت الرّماد هذه المرّة هي الموجة العارمة والأجواء الساخنة الّتي خلقتها الثورة الإسلاميّة في إيران، خاصّة بعد أن احتلّت وكر الجاسوسيّة الأميركيّة، حيث ألهبت روح الحماس الإسلامي المتدفّق ضدَّ الاستكبار العالمي وعلى رأسه أميركا في نفوس الجميع، خاصّة الشباب المسلم المتحمّس. وقبل الإشارة إلى ملخّص الانتفاضة ومآلها ينبغي إلقاء الضّوء على زعيمها العتيبي.

السّيرة الذاتية لجهيمان:

نشأ جهيمان نشأة دينيّة بدويّة في الأعراف القبليّة. أمّا جدّه فقد قتل في معركة السّبلة عام (١٩٢٩م). وجهيمان هذا من أهل (العرجا) وهي واحدة من الهجر التي تقع على مقربة من الطّريق الموصل بين الرياض ومكّة. وهو متزوّج من ابنة أمير ساجر من آل المحيا، ثمَّ تزوّج أيضاً من أخت محمّد بن عبدالله القحطاني. وقد عمل جهيمان فترة طويلة في الحرس الوطني تقدَّر بثمانية عشر عاماً. وكان قد انتسب قبل ذلك إلى الجامعة الإسلاميّة في المدينة المنورة وتتلمذ على يد عبد العزيز بن باز، ثمّ استقال من الحرس قبل انتفاضته بستّ سنوات

دكتر حميد أحمدي ص ٢٤٩، ط الثالثة، مؤسسة كيهان عام ١٣٧٧ ش.

وتفرّغ لدعوة الإخوان. وله مجموعة رسائل، وهو أيضاً شاعر شعبي ويُقدر أنه بلغ الثالثة والأربعين من عمره وعليه يكون من مواليد ١٣٥٧ هـ. ويتمتع بنفوذ في قبيلته.

وممّا يذكر له من الكتب والرسائل ما يلي:

١ـ رسالة الفطرة السليمة.

٢ـ رسالة رفع الالتباس عن ملّة من جعله الله إماماً للناس.

٣ـ رسالة الميزان لحياة الإنسان، وسبب الخروج عن الصراط المستقيم والموقف الصحيح في بيان الحقّ الصريح.

٤ـ دعوة الإخوان كيف بدأت وإلى أين تسير؟

٥ـ رسالة (مختصر الحسنة والسّيئة) لابن تيميّة.

٦ـ رسالة مختصر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيميّة.

٧ـ رسالة الفتن وأخبار المهدي والدجّال ونزول عيسى عليه السلام وأشراط السّاعة.

٨ـ رسالة الإمارة والبيعة والطّاعة وكشف تلبيس الحكّام على طلبة العلم والعوامّ.

٩ـ رسالة نصيحة الإخوان إلى المسلمين والحكّام.

١٠ـ رسالة النصيحة والتحذير من الوقوع في الخطر الكبير.

١١ـ المفاسد والتلبيسات في المدارس والمعاهد والجامعات.

وكانت مواقفه ضدَّ السلطة السّعوديّة وضدّ فقهاء السلاطين.

الحركة الإخوانية لجهيمان:

والذي يدلّ على أنّ هذه الحركة استمرار لحركة الإخوان مضافاً إلى كون جهيمان حفيداً لأحد قتلى معركتهم ضدَّ عبدالعزيز، اتجاه كتبه ودفاعه الصريح عن حركة الإخوان في عدّة مجالات، وأن القبائل التي اشتركت في حركة

الدّويش اشتركت في حركة جهيمان مثل عتيبة ومطير ويام التي هي فرع من قبيلة العجمان.

إذاً فالنّزعات العائليّة والعشائريّة لها الدور الكبير مضافاً إلى العقائد والأفكار في تفجير تلك الانتفاضة.

والواقع أنّ حركة جهيمان بدأت نشاطها التنظيمي كامتداد لحركة الإخوان منذ عشرين سنة قبل انتفاضة الحرم، أي عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م)، في الوقت الذي افتتحت فيه السلطة الجامعة الإسلاميّة في المدينة المنوّرة. وضمّت هذه الحركة طلاباً من المعاهد والمدارس الشرعيّة في مكة والرياض والطائف، وانتشرت بين صفوف الطلبة الثانويّين. واستطاعت أن تجد لها أنصاراً في الحرس الوطني وبين رجال القبائل، كما استقطبت عدداً من طلّاب العلوم الإسلاميّة من خارج الجزيرة مثل الكويت والإمارات واليمن والباكستان والمغرب ومصر. وفي عام ١٩٦٨م وزّعت هذه المنظمة بياناً يدعو إلى العودة إلى الإسلام الصحيح ويتّهم السلطة السعوديّة بمخالفة الإسلام. فشنّت السلطة حملة اعتقالات في صفوفهم ممّا سبّب اختفاء بعض القياديّين منهم مثل جهيمان.

كل ذلك جرى في عهد الملك فيصل وقد أدّى إلى إضعاف فعّاليّة الحركة. ولكن بعد اغتياله سنة ١٩٧٥م عادت الحركة إلى نشاطها من جديد واتّسعت وتغلغلت في أوساط الجماهير، إلّا أنها بلغت الذروة عام ١٣٩٩ أي بعد انتصار الثورة الإسلاميّة المباركة في إيران.

عمليّة احتلال البيت الحرام من البداية إلى النّهاية:

إنّ عمليّة احتلال المسجد الحرام في حركة جهيمان إنّما هي جزء من مسلسل عمليّات وفق تخطيط كبير كان من المفترض أن تشارك فيه ثلاث قوى رئيسيّة:

١ـ جماعة الإخوان.

٢ـ مجموعة قبائل تشتمل على عتيبة وقحطان ويام ومطير.

٣ـ مجموعة عناصر في الجيش والحرس الوطني مرتبطة بجماعة الإخوان.

وكانت تخطّط لعدّة أعمال منها:

أ ـ اختطاف الملك خالد.

ب ـ عمليَّات ثورية في المدينةالمنوّرة واحتلال المسجد النبويّ ومدن أخرى.

ج ـ تحرّك القوّات العسكريّة من قواعدها.

وسبب اختيارهم للحرم ناشئ من أسباب:

الأوّل: أن يحرجوا السلطة التي تدّعي الإسلام إذا ما قتلتهم في الحرم وهم لاجِئون معتصمون.

الثاني: إعطاء القضيّة بعداً إعلاميّاً لعدم استطاعة السّلطة التّستُّر عليه.

الثالث: احتمالهم لوجود ملك النّظام في الحرم عند صلاة الصبح.

وقد قاموا بعدّة أعمال قبل العمليّة منها:

١ـ الحصول على خريطة هندسيّة مفصّلة للمسجد الحرام:

والظاهر أنّ ذلك تمَّ بمساعدة أحد أبناء بن لادن وهو محروس، لأنّ شركة ابن لادن هي المسئولة عن توسعة الحرم وخدماته. ولذلك أُلقي القبض عليه في تلك الانتفاضة. وهذا ممّا يدل على ارتباط بعض أفراد عائلة بن لادن بحركة الإخوان[1].

٢ـ استقرار عدّة من أفرادهم لإعداد مستودعات للأغذية الّتي تمَّ تهريبها بوسائل، منها التوابيت.

٣ـ توفير الأقنعة الحديثة لمواجهة قنابل الغاز.

---

(١) بن لادن حقيقت ممنوع. الترجمة الفارسيّة لكتاب:
Benladen: La Verite interdite _ by Jean Charles Brisard et Guillaum Dasauie.
ص ١١٥، ١١٦ والمترجم: عبدالحسين نيك گوهر.

٤ـ تهيئة الأسلحة من الرّشّاشات والبنادق والمسدّسات.

وقد تمت عمليّة الاحتلال كالآتي:

قبيل انبلاج الضوء الأوّل من صباح يوم الثلثاء، اليوم الأوّل من المحرّم عام١٤٠٠هـ. اتّجه حوالي ١٠٠٠ مسلح إلى داخل الحرم الذي كانت تقام فيه صلاة الفجر بإمامة الشيخ محمّد بن سبيل. وبينما كانت تتعالى هتافات الثوّار الذين سيطروا على ساحة المسجد بنداء الله أكبر، كانت مجموعات أخرى تقوم بإغلاق أبواب الحرم واعتقال رجال الأمن الذين يحرسونها. بينما اتّجهت مجموعة ثالثة إلى الطوابق العليا من المسجد الحرام.

وفي الخارج كانت هناك مجموعات من الثوّار تتَّخذ مواقعها في جبل أبي قبيس المطل على مكّة لتأمين الحماية الخلفيّة. وهناك بعض الثّوار كانوا موجودين في عدد من البيوت المحيطة بالحرم. وحاولت الشرطة السّرّيّة في الحرم التّصدّي للثوّار بأسلحتها الخفيفة، إلّا أنّ نيران الثوّار كانت من القوّة بحيث اضطرّت الشرطة إلى الفرار، كما قتل أحدهم وجرح آخران.

أمام باب الكعبة الشريفة كان أحد الثوّار يلقي من خلال مكبّر صوت المسجد مطالب الثوّار التي كانت كما يلي:

١ـ تصفية مظاهر الثقافة والتقاليد والقيم المستوردة من الغرب، ونشر الثّقافة والقيم الإسلاميّة العادلة، وقطع العلاقات بدول الغرب الاستعماريّة.

٢ـ إسقاط الحكم الملكي الوراثي وإقامة حكومة إسلاميّة ومحاكمة أسرة آل سعود الخائنة ومصادرة أموالهم المسروقة من قوت الشعب.

٣ـ إعلان كفر الملك خالد وأسرته الذين حكموا بغير ما أنزل الله وجعلوا البلاد مرتعاً للاستعماريّن والشّركات الأجنبيّة.

٤ـ وقف تصدير البترول إلى الولايات المتّحدة لمواقفها المعادية للإسلام والمسلمين وتخفيض الإنتاج بحيث يتناسب مع حاجة البلد وللحيلولة دون

إهدار الثروة الوطنيّة.

٥ـ إخراج كافّة الخبراء والمستشارين العسكريّن الأجانب الذين يسيطرون على الجزيرة العربيّة، وتصفية القواعد العسكريّة الأجنبيّة.

وهناك موادّ أخرى نقلت عنهم، وقد صرّحوا بها في بداية إعلان مطالبهم منها:

أ ـ يشترط في شرعيّة الحكومة الالتزام بالإسلام وفقاً للقرآن لا بالكبت والقمع .كما يشترط الانتماء إلى قريش واختيار الحاكم على أيدي المؤمنين.

ب ـ يشترط في الإيمان الاعتماد على القرآن والسّنّة لا التقليد العمياوي للعلماء وتعاليمهم الخاطئة في المدارس والجامعات.

ج ـ ظهور المهدي من سلالة النبيّ ﷺ والحسين بن عليّ لإزالة الجور وإسداء العدل والسلم للمؤمنين.

د ـ المخالفة للعبادة المقرونة بالشّرك ورفض عبادة محمّد وعليّ وفاطمة ورفض الخوارج والموسيقى والتكنولوجيا.

هـ ـ إقامة مجتمع إسلامي خالص لحفظ الإسلام إزاء الكفّار وعدم إظهار المحبّة للأجانب(١).

جنسيّة الثوّار:

ركّز إعلام النظام السّعودي على أنّهم غير سعوديّن، كما أنّ الحكومة الأمريكيّة حاولت تشويه سمعة الثورة الإسلاميّة في إيران، بالإشارة إلى أنّ الثوّار إيرانيون، وإنَّ أنور السادات الرئيس المصري قال: إنّ الثوّار من الشيعة الإيرانيّن. وبعد مرور يومين زال الغموض حول جنسيّة الثوّار وظهر أن ثلاثة أرباعهم كانوا من الجزيرة العربيّة وينتمون إلى قبائل مثل عتيبة ويام ومطير وشمّر وعنيزة، كما

---

(١) أحداث الحرم بين الحقّ والباطل، صوت التوحيد (١٩٨٠م) ص٢٢ ـ ٢٩ وصوت الطليعة(ص ١٤٤-١٤٨.

كان فيهم مصريّون ويمنيّون وكويتيّون وعرب آخرون.

موقف السلطة من الانتفاضة:

حاولت السلطة السعوديّة التّعمية على مطالب الثوّار السّياسيّة. ووصفهم البيان الأوّل للحكومة بأنّهم زمرة من الخارجين عن الدّين الإسلامي، كما حاول الإعلام السعودي أن يجعل من قضيّة المهدي المنتظر عليه السلام القضيّة الرئيسيّة لثورة الحرم. فقد كان يوجّه الأذهان إلى أنّ مبايعة المهدي كانت الهدف الوحيد للثوّار، كما أنّ مناقشة فكرة المهدوية أصبحت الميدان الوحيد للتحليل والبحث في وسائل الإعلام السعودي. وكان الخطباء والعلماء المرتبطون بالسلطة يركّزون على هذا الموضوع في خطبهم وأحاديثهم. واجتمع الملك خالد بعدد من العلماء في الرياض بعد الحادث فاستفتاهم، فأصدروا فتواهم ضدَّ المستأمنين بحرم الله، بأن الواجب دعوتهم إلى الإستسلام ووضع السلاح، فإن فعلوا قُبل منهم وسُجنوا حتى ينظر في أمرهم شرعاً، وإن امتنعوا وجب اتخاذ كافّة الوسائل للقبض عليهم ولو أدّى ذلك إلى قتالهم وقتل من لم يحصل القبض عليه منهم.

وارتبكت الحكومة السعوديّة في تلك الأيام ارتباكاً عجيباً وقطعت البرق والهاتف، وجعل الحكّام يدلون بتصريحات متناقضة. وعاد فهد الذي كان وليّاً للعهد آنذاك من قمة تونس، كما عاد الأمير عبدالله رئيس الحرس الوطني بصورة عاجلة. واتّخذوا الإجراءات الأمنيّة العديدة لحماية العرش الملكي. وبعد أن يئسوا من السيطرة على الثّوار، حيث استمرّ الاحتلال ٢٢ يوماً، استنجدوا بالقوات الأجنبيّة كالأمريكيّة والفرنسيّة والأردنيّة، فنزل ثلاثة آلاف من الكوماندوس الأمريكي وجعلت الدبّابات والمدافع تدكّ المسجد الحرام، والطائرات المروحيّة الأمريكيّة تقذف القنابل المسمومة والمحرقة، كما أشعلت النيران في أحد أقسام المسجد الحرام. وقاومَ الثوّار بمقدار ماكانوا يستطيعون، وكبّدوا القوّات المهاجمة خسائر. يُذكر أن ٣٠٠٠ نفر سقطوا منهم بين قتيل وجريح، كما أنّ ٤٠٠ شخص من الثوّار قد قتلوا. وبقيت الجثث ملقاة في المطاف والمسعى وفي جميع أروقة

المسجد. ويقال إنّ المدّعي للمهدويّة وهو محمّد بن عبدالله القحطاني كان من جملة القتلى!

وأُلقي القبض على جهيمان وبقيّة أتباعه.

وبعد محاكمة سرّيّة وسريعة أُعدم ١٨٠ ثائراً سرّاً وبدون إعلان، تلاها بعد عدة أيّام إعدام ٦٣ نفراً منهم في ثمان مدن بتاريخ ٨ / ١ / ١٩٨٠م(١). والظاهر أنّ المعتقلين أعدموا جميعاً على دفعات مختلفة وبقي بعضهم إلى أوائل محرم ١٤٠٣ كما شاهَدْتُهم في سجن جدة(٢).

أخطاء لاتغتفر في انتفاضة الحرم وموقف الإمام الخميني & منها:

إنّ انتفاضة الحرم، على الرُّغم ممّا فيها من ايجابيّات ومكاسب مثل زعزعة العرش السّعودي وتسجير نار الغضب على الأمريكان والصهاينة في العالم وما شاكل ذلك، إلّا أنّها تحتوي على أخطاء لايمكن التغاضي عنها، وأهمّها ادّعاء المهدويّة ودخولهم المسلّح إلى المسجد الحرام، وإشعال نار القتال في الحرم الآمن الإلهي. ولعل سبب التجائهم إلى بيت الله الحرام لما جاء في الروايات بأن المهدي حين يظهر في الحرم يأتي لقتاله جيش عرمرم يخسف الله به الأرض. فهذه الفكرة هي التي دفعت بالجماعة إلى الحرم.

وهذا خطأ غير مغفور وهو أنّ ما ورد فإنّما هو في المهدي المنتظر لا في من أسمى نفسه مهديّاً(٣).

---

(١) راجع: انتفاضة الحرم ١٤٠٠هـ-١٩٧٩م، منظَّمة الثورة الإسلاميّة في الجزيرة العربيّة ص٢٨-٧٣.

(٢) أُلقي القبض عليّ في المدينة المنورة في أواخر ذي الحجة عام ١٤٠٢ بعد أداء مناسك الحج إثرالإجراءات القاسية الّتي قامت بها الدولة السعوديّة بالنسبة إلى بعثة الإمام الخميني + . وسجنت مع بعض المعتقلين الإيرانيين في سجن المدينة. ثمَّ أبعدت إلى سجن جدّة إلى أن أفرج عني في الليلة الأولى من محرم عام ١٤٠٣. وقد التقيت بمجموعة من السّجناء المصريّن وغيرهم، ذكروا انّهم كانوا قد اعتقلوا في انتفاضة الحرم وكانوا يبدون تعاطفهم بالنسبة الىالثورة الإسلاميّة في إيران ويبدون التّلهُف في التّطلع إلى أخبار الحرب المفروضة الّتي فرضتها أمريكا على يد صدّام حسين ضدّ الجمهوريّة الإسلاميّة. وشرحت لهم بعض القضايا والأحداث بمقدار ما تيسّر لي في ظروف السّجن.

(٣) بحوث في الملل والنحل، العلّامة جعفر السبحاني ج ٤ / ٤١٣.

يضاف إلى ذلك أنّ رعاية حرمةالحرم والابتعاد عمّا يوجب هتكها من قبيل إراقة الدّماء من أكبر الواجبات. كما ثبت أنّ الإمام الحسين عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله خرج من مكّة إلى العراق لمّا بلغه أن يزيد بن معاوية أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص في عسكر وأمره على الحاج وولّاه أمر الموسم وأوصاه بالفتك بالحسين أينما وجد، فعزم عليه السلام على الخروج من مكّة قبل إتمام الحجّ واقتصر على العمرة كراهية أن تستباح به حرمة البيت.

وقد صرّح بذلك حينما كلّمه عبدالله بن الزبير في ذلك فقال عليه السلام: (إنّ أبي حدّثني أنّ بها كبشاً يستحلّ حرمتها، فما أحبّ أن أكون ذلك الكبش... والله لأن أُقتل خارجاً منها بشبر أحبّ اليّ من أن أقتل داخلاً منها بشبر، وأيمُ الله لو كنت في جُحر هامّةٍ من هذه الهوامّ لاستخرجوني حتّى يقضوا فيّ حاجتهم، والله ليعتدُنّ عليّ كما اعتدت اليهود في السبت)[1].

وإنّ قائد الثورة الإسلاميّة الإمام الخميني + قد أعلن استنكاره في أوّل يوم من انتشار نبأ حدوث ذلك الحادث لدخول تلك الجماعة المسلّحة في المسجد الحرام. وصرّح بأنّ الحركة غير منطبقة على الموازين الشرعيّة.

وهذا نصّ بيان مكتب سماحة الإمام + :

بسم الله الرّحمن الرّحيم

وّفْقّ الأخبار الواصلة، إن مجموعة مسلّحة هجمت على المسجد الحرام وأصيب إمام المسجد برصاصة. إنّ هذا العمل يخالف الموازين الإسلاميّة، فإنه مضافاً إلى أنّ المسجد الحرام مأمن لجميع المسلمين، كذلك مكّة المشرّفة فإنّها مأمن. وواضح أن هناك أيادي مجرمة تبغي تفريق المسلمين وتشويه صورة الثورات الإسلاميّة. ولا يبعد أن يكون ذلك العمل صادراً عن الامبرياليّة الأمريكيّة

---

(١) راجع: تاريخ الطبري ج ٥ ص ٣٨٤ ـ ٣٨٥ ط: روائع التراث العربي، بيروت ـ ومقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد عبدالرزاق المقرم ص ١٩٣، ١٩٤.

الخائنة حتّى يتغلغلوا بين صفوف المسلمين المتراصّة بتلك الخدع. فعلى المسلمين أن لايفقدوا يقظتهم وأن يتوقّعوا حدوث هذه الإجراءات من قبل الإمبريالية الأمريكيّة والصهيونيّة الدّوليّة، كما لا يبعد أن يريد الصهاينة ـ على ما أشرنا مراراً ـ الزعزعة في بيت الله وأعمال الشغب فيه. ولذلك فيقظة المسلمين واجبة وفي محلّها في هذه الظروف الحسّاسة. والسلام على عباد الله الصالحين.

قمّ ـ مكتب الإمام الخميني

أوّل محرّم ١٤٠٠ هـ. ق ـ ٣٠ آبان[1] ١٣٥٨

معارضة النُّخب الوهابيّة:

استمراراً لحركة الإخوان الكامنة، والّتي لازالت بين آونة وأخرى تندلع شرارة منها، تفجّرت حركة من طراز جديد ضدَّ السّلطة السعوديّة تضمّ مجموعة كبيرة من النّخب الوهابيّة، منهم رجال دين وبعضهم أساتذة في الجامعات السعوديّة عام ١٩٩١م، استنكاراً على الحكّام السعوديّين بإدخالهم للقوّات المسلّحة الأميركيّة إلى أرض الحرمين الشريفين. وذلك بعد أن احتلّ صدّام حسين بلد الكويت، وبذلك قدّم الذريعة المناسبة للأمريكان في أن يحتلوا الخليج الفارسي بأساطيلهم الحربيّة ويخيّموا على ربوع المنطقة بما فيها الكويت والحجاز.

وإنّ الحكّام السعوديّن لعبوا الدور الرّئيسي في ذلك المخطّط، فقد فتحوا أبوابهم للأمريكان وقدّموا قواعدهم العسكريّة لقوّات الائتلاف، فدخل ٥٠٠ ألف عسكري غير مسلم أرض الحرمين وقدّموا خمسة وخمسين مليار دولار بهذا الصّدد للأمريكان.

وهذا ممّا أثار حفائظ المسلمين عامّة ومنهم الّذين يكنّون العداء التاريخي للسّلطة السعوديّة من أحفاد حركة الإخوان، فإنّهم رأوا أنَّ هذا التدخل العسكري ممّا يتنافى وعقائدهم. وعلى الرغم من قيام الشيخ عبد العزيز بن باز مفتي الديار

---

(١) جريدة كيهان ١ / ٩ / ١٣٥٨-٢ محرم ١٤٠٠ ـ الرقم ١٠٨٦٣ ص ٩.

السعوديّة في ذلك الحين بمحاولة فاشلة في تسويغ نقض الأميريكان والحكام السعوديّين لقواعد الشريعة الإسلاميّة، على الرّغم من ذلك انبرى سبعمئة من الوعاظ الوهّابييّن، بمن فيهم أساتذة جامعات، بإصدار بيان يطالبون فيه الرجوع إلى مباني مذهبهم الوهّابي وينتقدون فيه موقف النظام الحاكم. وقد ألقي القبض على بعضهم مثل الدكتور سفر عبد الرحمن الحوّالي[1] رئيس قسم العقيدة في جامعة أمّ القرى. ومن جرّاء تلك المعارضة هرب أسامة بن لادن إلى السودان عام ١٩٩١. وسيأتي البحث عن أسامة وقاعدته في محله إن شاءَ الله حيث يمكن أن نعتبرها امتداداً لحركة الإخوان الوهّابيّة.

ج ـ جمعيّة الإخوان المسلمين:

جمعيّة الإخوان المسلمين ـ وهي تختلف عن حركة الإخوان في نجد ـ تأسّست في مصر عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٩م) على يد الأستاذ حسن البنّاء وزملائه. وهي جمعيّة إسلاميّة سلفيّة استهدفت الدّعوة إلى الإسلام مقيّداً بفهم السّلف الصّالح من أجل بناء جامعة إسلاميّة وتربية الأفراد على هذا المنهج، فأهدافها ثقافيّة، سياسيّة، اجتماعيّة واقتصاديّة. وقد واجهت منذ تأسيسها إلى هذا الآن

(١) في ذلك العام ١٩٩١ ـ التقيتُ بشاب سعودي في مكّة وكان من جملة ماقال حول القضاياالراهنة آنذاك: أن صدّام حسين كافر وهو عميل أميركا وغزا الكويت بأمر من أسياده حتّىيتسنّى لهم التدخل العسكري في المنطقة. فقلت: إنّي لم أعهد شابّاً مثلك في هذا البلد يتكلّم بهذا الأسلوب. من أين عرفت هذه المطالب ؟ فقال: أنا اشتركت في جلسة وتحدّث إلينا أحدعلماء الدين بذلك وهو الدكتور سفر الحوّالي. فقلت: هل يوجد شريط (كاسيت) سجّلت فيه مثل تلك الخطبة ؟ فقال: نعم. فتواعدنا للقاء آخر وجاءني بشريط لذلك الدكتور يحلّل فيهقضيّة غزو الكويت وانّه لايجوز لهم الاعتماد على الكافر الأميركي في طرد صدّام الكافر عنأرض الإسلام. وركّز على انّ الشعب المسلم يجب عليه أن يقف مستقلاً عن الكفّار، وهويستطيع المقاومة ويمكنه الفوز إن توكّل على الله. واستشهد لذلك بحركة الإخوان الوهابييّن ضد بريطانيا، وكذلك بموقف الشعب المسلم الإيراني ضدّ أميركا، وانّ الله قد أمدّهم بالإمدادات الغيبيّة فيقضيّة صحراء طبس!

و بالمناسبة لا بأس بالإشارة إلى أنّ سفر عبدالرحمن الحوالي صدر عنه كتاب دفاعاً عنالقاعدة وسبل دعمها المادي والسياسي ممّا يدلّ على أنّ القاعدة امتداد لحركة الإخوان. كما كان هذا الشخص أحد السلفييّن الذين أصدروا بياناً تأييداً لحركة الزرقاوي وعملياتالقاعدة في العراق كما ركّزوا على مهدوريّة دماء الشيعة في نفس الوقت!

منعطفات متعدّدة، كما اصطدمت ببعض الحكومات وقبض على بعض قادتها ودعاتها، وانشقّت منها تيّارات مختلفة متطرّفة كتيّار التكفير والهجرة. كما أسّست فروعاً لها في بلدان أخرى مثل سوريا والسعوديّة وفلسطين وكثير من البلدان العربيّة وغيرالعربيّة.

ومؤسّسها حسن البنّاء ولد عام ١٩٠٠م وفي بيئة ريفيّة في مدينة العوديّة قرب الاسكندريّة، وتربّى على يد والده وأخذ منه الحديث على مذهب أحمد ابن حنبل، كما زاول الطريقة الصوفيّة المعروفة بالطريقة الحصافيّة، ثمَّ انتقل إلى دمنهور ليتلقّى تعليمه في مدرسة المعلّمين، ثمَّ هاجر إلى القاهرة وتتلمذ على السيّد رشيد رضا صاحب المنار، والتقى بمحيي الدين الخطيب مدير المكتبة السلفيّة وتردّد إلى مكتبته، وعمل مندوباً لمجلّة الفتح التي كان يصدرها ذلك السّلفيّ.

والإسلام الذي كان يركّز عليه البنّاء هو الإسلام الجامع والحافل لمناحي الحياة المختلفة، وما كان يرى فصل الدين عن السّياسة على خلاف العلمانييّن والمتحجّرين، ولكن في نفس الوقت يرى الإسلام مقيّداً بما فهمه السّلف، فمن جملة ما قاله:

(دعوتنا (إسلاميّة) بكلّ ماتحتمل الكلمة من معان، فافهم فيها ما شئت بعد ذلك، وأنت في فهمك هذا مقيّد بكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ وسيرة السَّلَف الصالحين من المسلمين....)[1].

إلّا أنّ السلفيّة عند البنّاء لا تتنافى مع فتح باب الاجتهاد بشروطه دون تعصّب لرأي قديم ولا عبوديّة لفكر جديد[2].

فهذه المنهجيّة ترى المرونة في الدّين والابتعاد عن التعصّب على خلاف باقي السلفييّن، وقد قال البنّاء:

(وزيارة القبور أيّاً كانت: سنة مشروعة بالكيفيّة المأثورة، ولكنّ الاستعانة

(١) الإخوان المسلمون، دكتور يوسف القرضاوي ص ٢٦ نقلاً عن مجموع الرسائل ص ١٨.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٧.

بالمقبورين أياً كانوا، ونداءهم لذلك، وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد، والنذر لهم، وتشييد القبور وسترها وإضاءتها والتمسح بها، والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات: كبائر تجب محاربتها ولانتأوّل لهذه الأعمال سداً للذريعة.

والدّعاء إذا قُرن بالتوسّل إلى الله بأحد من خلقه خلافٌ فرعيّ في كيفيّة الدّعاء وليس من مسائل العقيدة....)[1]

لكنّ السلفيّين أنكروا على الأستاذ البنّاء هذا القول واشتد نكيرهم عليه وعلا صوتهم في معارضته والتشنيع على قائله، مع أنّه لم يبد نظراً حول التوسّل وإنّما ذكر أنّه محلّ خلاف[2].

ونظراً إلى الظروف الّتي أحاطت بالمسلمين عامّة ومصر خاصّة بعد سقوط الخلافة العثمانيّة وسيطرة القوّات الاستعماريّة على البلدان الإسلاميّة، واجهت الحركة الإسلاميّة المتمثّلة بالإخوان المسلمين تجاوباً شديداً من قبل بعض العلماء والشبيبة المثقّفة، وانخرطوا في تنظيم البنّاء أو أعلنوا تأييدهم لذلك كأمثال السيّد قطب ومحمّد قطب ومحمّد الغزالي، إلى أن ألقي القبض على مجموعة منهم واغتيل البناء زمن الملك فاروق على يد عملائه عام (١٩٤٩)[3]. وبعد ذلك انتخب حسن الهضيبي مرشداً عامّاً للإخوان.

وأمّا مواقف الإخوان تجاه قضيّة الحكم والثورة الشعبيّة واستخدام القوّة وما شابه ذلك فكما ينقل الدكتور القرضاوي بما يلي: إنّهم يسيرون على هدى الإسلام، والإسلام يجعل الحكومة ركناً من أركانه، ويطالبون الحكومات بتطبيق أحكام الشريعة، ويلتزمون بالدستور المصري ويرفضون الثورة الشعبيّة العامّة لعدم جدواها، ويرون استخدام القوّة في نهاية الأمر باعتبار أنّ آخر الدّواء

(١) من رسالة التعاليم، مجموع الرسائل ص ٣٥٨.
(٢) الإخوان المسلمون، يوسف القرضاوي ص ٣١٨.
(٣) المصدر نفسه، ص٢٢٣.

الكيّ، ولكن لايرون الاغتيال السّياسيّ ولا قتل المدنييّن[١].

نعم انّهم صرّحوا باستعمال العنف في مواجهة الإنجليز والصّهاينة، كما اشترك جماعة منهم في القتال ضدَّ الانجليز وضد إسرائيل سنة ١٩٤٨، وإنّ أبناء حركة المقاومة الإسلامية (حماس) من أبناء الإخوان المسلمين[٢].

ومع ذلك نسب إليهم بعض الاغتيالات، إلّا أنَّهم سوغوها بأنّ لها ظروفها وملابساتها، فمن ذلك حادثة قتل القاضي الخازندار في ظروف معروفة زينت لبعض الشّباب المتحمّس أن يقتلوا هذا القاضي ولم يكن ذلك بأمر الأستاذ البنّا ولا بإذنه وعلمه، وإنه استنكر وقوع هذا الحادث. وبعد ذلك كان قتل النقراشي رئيس الوزراء والحاكم العسكري الذي يحمل تبعة (حل الإخوان) واقتيادهم إلى المعتقلات. وقد استُدعي الأستاذ البنّاء بعد مقتل النقراشي وحُقّق معه ثمَّ أفرج عنه إذ لم تثبت أيّة صلة له بالحادث.

ومنها محاولة نسف محكمة الاستئناف التي كانت تضمّ أوراق قضايا الإخوان، واستنكره البنّاء إذ قال: (هؤلاء ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين!) ولم يحدث بعد ذلك أيّ حادث عنف إلّا ما كان من محاولة اغتيال عبد الناصر في اكتوبر سنة ١٩٥٤. وهذا ممّا سبّب مواجهة عبدالناصر للإخوان مواجهة قمعيّة فقتل منهم جماعة أشهرهم السيّد قطب[٣].

وأمّا الجماعات التي اتخذت العنف أسلوباً لها كجماعة الجهاد وجماعة التكفير فقد تبرّأ الإخوان منهم، واعتبروا جماعة التكفير انشقاقاً عن الإخوان وليس امتداداً لهم وإن ردّ عليهم في كتابه (دعاة). ويشبههم القرضاوي بالخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين عليه السلام .كما أنّ شكري مصطفى أمير جماعة التكفير اتّهم قادة الإخوان بالخيانة العظمى لأنّهم لم يقاوموا رجال الأمن

(١) الإخوان المسلمون، يوسف القرضاوي، ص ١٢٠و ١٢٤.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢١٧ و ٢٧٠.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٧٠ _ ٢٧٢.

والشّرطة وسلّموا جلود إخوانهم للسياط ورقابهم للمشانق.

وأمّا جماعة الجهاد و(الجماعة الإسلامية) في مصر فليست انشقاقاً عن الإخوان، بل هي جماعات نشأت من أوّل يوم احتجاجاً على الإخوان وإنكاراً عليهم بأنّهم خانوا (مبدأ الجهاد) الذي أعلنوه طريقاً لهم وشعاراً يتغنّون به (الجهاد سبيلنا والموت في سبيل الله أسمى أمانينا)[1].

وفي السنين الأخيرة أوضح الإخوان موقفهم من العنف بكلّ صراحة في بيانات رسميّة علنية ومنشورة يدينون فيها العنف ويستنكرونه ويرفضونه بكلّ أشكاله وصوره أيّاً كانت مصادره وبواعثه[2].

موقف الإخوان المسلمين من الثورة الإسلاميّة في إيران:

وفي نهاية المطاف حول قضيّة الإخوان المسلمين، من المناسب ذكر موقفهم تجاه الشيعة ككلّ والثورة الإسلاميّة والإمام الخميني + خاصّة. ونكتفي هنا بذكر ما ذكره الأستاذ صالح الورداني المصري الذي كان إخوانيّاً ومعتقلاً زمن السّادات، إلّا أنّه استبصر وأصبح من دعاة مذهب أهل البيت عليهم السلام:

(تتبنى جماعة الإخوان الأطروحة السلفيّة التي تختصُّ بدائرة عقيدة أهل السّنّة والجماعة. فمن ثمَّ هم يقدّسون الماضي برموزه ويصدون أية محاولة للمسّ به ...).

وبالطبع شكّل الإخوان لهذه العقيدة حاجزاً نفسيّاً وفكريّاً حال دون اعترافهم بالشيعة والتوجّس منهم.

لكن مرونة جماعة الإخوان تجاه الواقع وتبنيهم العمل السياسي ـ وهو ما تتميّز به عن الجماعات الإسلاميّة الأخرى ـ جعل فكرة التّعاون مع الشيعة والتنسيق معهم فكرة غير مرفوضة من الجانب الواقعي وليس من الجانب الشرعي. من هنا

---

(١) الإخوان المسلمون، يوسف القرضاوي، ص ٢٧٣ و ٢٧٤.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧٨.

كانت دعوة جماعة الإخوان للوحدة الإسلاميّة بين السّنَّة والشيعة ومشاركتها في نشاط جماعة التقريب.

ومع حركة التقارب بين جماعة الإخوان والسعوديّة والّتي بدأت مع عهد عبد الناصر تأخذ شكل التّحالف، طرأت متغيّرات على موقف الإخوان تجاه الشيعة وتجاه إيران بعد قيام الثورة الإسلاميّة.

فقد تبنّى الإخوان الأطروحة الوهّابيّة وهي أطروحة إنغلاقيّة متشدّدة تكنّ عداءً شديداً للشيعة، تلك الأطروحة التي تتبنّى عقيدة أهل السّنَّة وتضيف إليها اجتهادات جديدة تتعلّق بالأضرحة والقبور والشرك بصورة عامّة...

وعلى الرغم من أنّ الإخوان أعلنوا تأييدهم للثورة الإسلاميّة حال قيامها وشكّلوا وفداً توجّه إلى طهران لتهنئة الإمام الخميني بانتصار الثورة، إلّا أنّهم سرعان ما انقلبوا عليها وعلى الشيعة نتيجة لضغوط داخلية وخارجيّة.

أمّا الضغوط الداخلية فتمثّلت في معتقد أهل السّنَّة الذي تتبنّاه وكونه يصطدم بعقيدة الشيعة التي تتبنّاها الثورة الإيرانيّة ومدى ما يمثّله ذلك من حرج مع الجماعات الإسلاميّة الأخرى الّتي يسعى الإخوان إلى احتوائها. والضغوط الخارجيّة تمثّلت في علاقة الإخوان بالسّعوديّة والسادات وكلاهما أعلن الحرب على إيران والشيعة.

ومع ظهور تيّار الجهاد في السّاحة المصريّة وقعت جماعة الإخوان في حرج كبير مع السادات واضطرّت إلى معاداته ومحاربة التطرّف بشكل عام، وهذا الموقف قادها إلى الاصطدام بإيران.

ثمّ برز الصدام بين الإخوان وإيران في فترة الثمانينيَّات بصورة توحي بقيام تحالف بينهم وبين حكومة مبارك ضدَّ إيران وثورتها.

ولقد جسّم لنا هذا الخلاف والانقلاب في موقف الإخوان تجاه إيران والشيعة مرشد الإخوان الرّاحل عمر التلمساني حين عبّر عن رؤيته للأحداث

التي تجرى داخل إيران بقوله: (الإيرانيون يأخذون بمذهب الشيعة ونحن قوم سنّيون، والذي بين الشيعة والسنيّن من خلاف مصدره الشيعة وليس السنَّة، عميق وظهير. وحين قام الخميني بالثورة أيدناه ووقفنا بجانبه مع ما بين أهل الشيعة وأهل السنَّة من خلاف جذري في العقائد... نحن أيدناه من الوجهة السياسيّة... لكن من ناحية العقيدة، السنَّة شيء والشيعة شيء آخر...)[1].

...ثمَّ تجاوز الإخوان هذا الحد إلى التحالف مع صدّام حسين ضدّ إيران وسوريا الّتي أعلنت الحرب عليهم. وفتح لهم صدّام حسين أبواب الإذاعة ليشنوا حملاتهم على هاتين الدولتين وكان سبب هذا التحالف رفض إيران قطع علاقاتها بسوريا، واعتبر ذلك الموقف من قبل الإخوان عدواناً إيرانياً عليهم....[2]

د ـ جماعة التكفير والهجرة:

جماعة التكفير والهجرة عنوان أُطلق على الذين انشقّوا عن الإخوان المسلمين وأطلقوا على أنفسهم عنوان (جماعة المسلمين).

أساس تكوّن هذه الجماعة هو أنّ مجموعة من شباب الإخوان المسلمين انشقُّوا عن حركة الإخوان لاعتقادهم بانحراف الحركة عن المبادئ الأوليّة، وكان على رأسهم الشيخ عليّ عبده إسماعيل وكان خريجاً شابّاً من الجامع الأزهر. وبعد أن تنازل عن القيادة بسبب تشكيكه في شرعيّة الحركة، تولّى قيادتها شكري مصطفى وكان شابّاً من مواليد ١٩٤٢ في قرية أبي خروس من أسيوط، وبعد أن دخل كليّة الزراعة انخرط في جماعة المسلمين فدخل السجن عام ١٩٦٥.

وهذه المجموعة قد تأثّرت بأفكار سيّد قطب الذي كان يعتبر من المنظّرين

---

(١) ويذكر التلمساني حين سئل في مجلّة المصدّر عام ١٩٨٢م: هل مايجري في إيران اليوم يعتبر مثالاً للدولة الإسلاميّة ؟ فأجاب بقوله: لا. لأنّه لايطبق فيها شرع الله. وقد رفض من خلال حواره هذا فكرة ولاية الفقيه قائلاً لايوجد في الشرع الإسلامي ابتداء من عهد عثمان حتى الآن مايبيح لشخص أن يتولّى القضاء والتنفيذ في وقت واحد...

(٢) مصر وإيران، صراع الأمن والسياسة، صالح الورداني ص ١٠٠ ـ ١٠٣ القاهرة، مكتبةنخرش ١٩٩٥م.

للاخوان، وقد كان من قادتهم بمثابة الحسن البنّاء وأمثاله. وقد وُلد عام ١٩٠٦ في أسيوط وكان كاتباً وأديباً، وبعد أن توتّرت علاقات الإخوان بعبد النّاصر انتهى الامر إلى إلقاء مجموعة من قادة الإخوان في السجن وعلى رأسهم سيّد قطب الأمر الذي انتهى بإعدامه عام ١٩٦٦.

وكان في ظروف السجن القاسية وما يواجهه من السجّانين قد تطرّف في نظره تجاه عبد الناصر وحكومته بل المجتمع المصري، حيث ألّف كتاب (معالم في الطريق)، وطرح فيه أنّ المجتمع مجتمع جاهليّ فيلزم المفاصلة والعزلة عن ذلك المجتمع.

ومجموعة شكري والشيخ عليّ عبده الذين كانوا يحملون نظرة انتقاديّة تجاه قادة الإخوان الكبار ويتهمونهم بالمساومة مع الحكومات الليبراليّة تأثّروا بكتاب سيّد قطب، وتطرّفوا بحيث أصبحوا يعتقدون بكفر جميع المسلمين، وأفتوا بكفر عبد الناصر وجلاوزته في السّجون، واستظهروا من كلامه لزوم المفاصلة الكاملة عن المجتمع الكافر، وحيث إنهم لايعتقدون بإسلام أحد إلّا إسلام جماعتهم سمّوا أنفسهم (بجماعة المسلمين)، وحيث كانوا يصرّحون بكفر عامّة المسلمين ولزوم الهجرة عنهم سُمُّوا بجماعة التكفير والهجرة.

هذا وإنّ بعض المفكّرين كمحمّد قطب أخي سيّد قُطب وكذلك يوسف العظم أخذوا يبرّرون كتاب معالم في الطريق ويفسّرون نظره في جاهليّة المسلمين بأنّ مقصوده جهلهم لا كفرهم، وأنّ المقصود من المفاصلة صِرْف التجرُّد الروحي لا الهجرة.

وقد اختلف مجموعة الشباب حول تفسير المفاصلة.

فقد فسّرها بعضهم بالعزلة المعنويّة، لذلك أُطلق عليهم (جماعة العزلة الشّعوريّة) وقالوا بتكفير عامة المجتمع المصري. وأمّا جماعة شكري فقالوا بالمفاصلة الكاملة. وبعد أن أُفرج عن هذا الصعيدي البدوي عام ١٩٧١ في عصر

السّادات رجع إلى أسيوط وبدأ بالهجرة إلى الأرياف لتبليغ فكرته، فانحاز إليه مجموعة من الشباب. ولمّا ألقي القبض على بعضهم عام ١٩٧٣ هاجروا إلى الغار فاطلق عليهم عنوان أهل الكهف، وكانوا يجتنبون الحياة المدنية. وكانوا لا يعتبرون العلوم البشريّة، لأنّ العلم عندهم هو العلم الإلهي فقط. وكانوا يرون بطلان المدارس الفقهيّة للأئمّة الأربعة من أهل السّنّة، لأن هؤلاء الأئمّة أصبحوا أصناماً يعبدون من دون الله. وما كانوا إلّا من أهل الجاهليّة.

وكانوا يرون لأنفسهم الحقّ في أن يفسّروا القرآن بمعونة معجم لغوي فقط بلا حاجة للإستناد إلى المفسّرين وأئمّة الفقه لأن باب الإجتهاد عندهم مفتوح لكلّ أحد.

وعلى هذا المنطلق من الاجتهاد كانوا يرون صحّة الزواج بالفتيات في مغاراتهم أو بيوتهم التنظيميّة من دون استئذان من أوليائهنّ، وأنّ الذي ينخرط في مجموعتهم يجب أن يعتزل عن أهله لأنّهم كفرة، وان المرأة إن انخرطت فيهم يجب أن تنعزل عن زوجها الجاهليّ، وتتزوّج بأحد جماعة المسلمين من دون حاجة إلى طلاق. وكان الذي يشكّك في صحّة فرقتهم يحكم عليه بالرّدّة والاعدام.

وفي عام ١٩٧٦ وصلت مجموعتهم إلى ألفَيْ نفر. وحينما كانوا يباشرون تنفيذ الإعدام في أحد المرتدين عن جماعتهم دهمتهم الشرطة فألقت القبض على جماعة منهم. وإثر ذلك اختطفوا محمّد الذهبي وزير الأوقاف المصريّة. ولمّا امتنعت الحكومة عن استجابة طلباتهم أعدموه. فألقي القبض على مئات منهم، وكان فيهم قائدهم شكري مصطفى. وبعد محاكمة سريعة حكم عليهم بالإعدام عام١٩٧٧، فانتهت بذلك جماعة التكفير والهجرة[1].

وهذه الجماعة وإن لم يمكن تسميتها بالسلفيّة نظراً إلى المواقف السلبيّة الّتي

---

(١) راجع كتاب (الإخوان المسلمون)، دكتور يوسف القرضاوي ص ٢٣٥ ـ ٢٧٣ ـ ٢٧٤ وكتاب (پيامبر وفرعون) ترجمه كتاب جيل كوبل الفرنسي، المترجم حميد أحمدي ص ٣٥ ـ ٣٨ ـ ٦٣ ـ ٩٧.

أبرزها شكري مصطفى تجاه الأئمّة الأربعة من أهل السّنّة، إلّا أنّهم كانوا من أبناء السلفيّن فانشقّوا عنهم، وبهذا الاعتبار يمكن عدّهم بعداد السلفيّن.

هـ ـ جماعة الجهاد بمصر:

هذه الجماعة لاتحسب على جماعة الإخوان المسلمين في مصر وانشقاقاً عنهم، بل هي نشأت من أول يوم احتجاجاً على الإخوان وإنكاراً عليهم بأنّهم خانوا (مبدأ الجهاد) الذي أعلنوه طريقاً لهم. ويفسّرون الجهاد باستخدام العنف في مقاومة الحكّام الذين لايحكمون بما أنزل الله، باعتبار أنّ هذ كفر بواح عندهم فيه من الله برهان[١].

وكان بروز هذا التيار في الساحة المصريّة على يد صالح سرية الذي قاد حركة التّقنيّة العسكريّة ضدَّ السادات عام ١٩٧٤، ثمَّ تبنّاه من بعده الجيل الجديد من الإسلاميّن في مصر والجزائر واليمن وغيرها من الدول، وتشتّت عناصره في بقاع كثيرة نتيجة للضربات التي وجهتها له الحكومات وأسهم في كثير من المواجهات في البلقان وأفغانستان والشيشان...[٢].

وأمّا الجماعة التي اشتهرت باسم الجهاد وكان أكبر حادث أنجزته في تاريخها اغتيال الرئيس المصري أنور السادات على يد الملازم الأوّل خالد الإسلامبولي، فهي الجماعة الّتي أسّسها عبدالسلام فرج (محمد عبدالسلام) مؤلف كتاب (الفريضة الغائبة). وعبد السلام هذا كان متأثّراً جداً بالفكرالسلفي، وألّف كتابه متأثّراً بفتاوى ابن تيميّة الحرّاني الحنبلي في مجال الجهاد والقتال في كتابه السّياسة الشّرعيّة[٣].

يقول الدكتور محمّد عمارة بصدد عرضه للفكر الأساسي الذي قامت

(١) الإخوان المسلمون، دكتور يوسف القرضاوي ص ٢٧٤، القاهرة، مكتبة وهبة، ص ١٩٩٩م.
(٢) أزمة الحركة الإسلاميّة المعاصرة من الحنابلة إلى طالبان، صالح الورداني، ص ١٦١، القاهرة، الهدف للإعلام والنشر، ٢٠٠٢م.
(٣) پيامبر وفرعون ص ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٤٠.

عليه هذه الجماعة ما يلي: (إزالة دولة الكفر المرتدّة عن الإسلام، وإقامة الدولة الإسلاميّة، وإعادة الإسلام إلى المسلمين، والانطلاق لإعادة الخلافة الإسلاميّة من جديد ـ ذلك هو عرض فكر جماعة الجهاد كما تناثر في الصفحات القليلة لكتاب (الفريضة الغائبة)[1].

وفي معرض بيان الآراء التي تعتمد عليها جماعة الجهاد لتحقيق هذه الأغراض، يقول الدكتور عمارة: (الجهاد هو السبيل لإقامة الدّولة الإسلاميّة، والجماعة المجاهدة هي أداة الجهاد لإقامة هذه الدّولة، ومن القلّة المؤمنة بالجهاد تتكوّن هذه الجماعة الّتي ستُغالِبُ فتغلِبُ الكثرة المعاندة بإذن الله) وينقل الدكتور عمارة، النّص التالي، عن كتاب (الفريضة الغائبة) الذي أصدرته هذه الجماعة، يقول النص: (إنّ أساس وجود الاستعمار في بلاد الإسلام، هم هؤلاء الحكّام. فالبَدء بالقضاء على الاستعمار هو عمل غير مجد، وغير مفيد. وما هو إلّا مضيعة للوقت. فعلينا أن نركّز على قضيّتنا الإسلاميّة، وهي إقامة شرع الله أوّلاً في بلدنا، وجعل كلمة الله هي العليا. فلا شكّ أنّ ميدان الجهاد الأوّل هو اقتلاع تلك القيادات الكافرة ! واستبدالها بالنظام الإسلامي الكامل، ومن هنا تكون الإنطلاقة)[2].

وجماعة الجهاد وإن أشبهت جماعة التكفير في تكفير الحاكم، إلّا أنها افترقت عنها في تكفير عامّة المسلمين والعزلة عنهم، فإنّ جماعة الجهاد رجّحت الحضور الحركي في ما بين عامّة النّاس.

ومن الكوادر القياديّة لهذه الحركة كرم زهدي في أسيوط والمقدّم عبُّود الزمر الضابط في القوة الجويّة المصريّة، ومحمّد الإسلامبولي وأخوه الملازم الأوّل خالد الإسلامبولي، وأمّا مفتيهم فهو الشيخ عمر عبدالرحمان أحد أساتذة الجامع الأزهر، حيث كانت له علاقات بكرم زهدي منذ عام ١٣٧٤. وكانت فتاوى

---

(١) الفريضة الغائبة: عرض وحوار وتقييم: للدكتور محمّد عمارة ص ١٩، نقلاً عن الجهادوالقتال في السياسة الشرعيّة للدكتور محمّد خير هيكل ج ٣ / ١٦٧، ط دار البيارق بيروت١٤١٧هـ ـ١٩٩٦م.

(٢) المصدر نفسه.

عمر عبدالرحمن في شرعيّة تصرفات جماعة الجهاد كقتل المسيحييّن المحاربين للمسلمين ونهب أموال القبطيين في صالح تأمين المنظّمة وجذب الشباب المتحمّسين في هذاالمضمار مؤثّرة للغاية.

وكان كرم زهدي يميل إلى قتال المسيحييّن، ولكن عبدالسلام فرج يرجّح اغتيال السّادات. وبالفعل قد تمّ هذا القرار حينما أعلن خالد الإسلامبولي استعداده لذلك بعد أن ألقي القبض على أخيه محمّد مع ١٥٠٠ نفر من مخالفي السّادات، ممّا جعله يصمّم على الإنتقام. وكان عبد السّلام وجماعته من المشوّقين والمساندين والذين هيّأوا له العتاد لذلك، وقام خالد بمهمّته الانقلابيّة في ٦ أكتوبر عام١٩٨١ حينما ظهر السّادات للاستعراض العسكري. فقتل السادات وعدّة ممن كانوإ معه ومنهم ضيوف أجانب.

وقد أُلقي القبض على خالد ومرافقيه الثلاثة وقائدهم عبد السلام، وأُعدموا في ١٥ آبريل ١٩٨٢ وحكم على الباقين بالسجن كما أفرج عن بعضهم[١].

وأمّا بطل جماعة الجهاد الخالد فهو خالد أحمد شوقي الإسلامبولي. ويمكن التعرف على فكره وعقائده ودوافعه من خلال اعترافاته أمام القضاء المصري الذي حكم عليه بالإعدام.

فممّا جاء في تلك الاعترافات:

خالد أحمد شوقي الإسلامبولي: ٢٤ سنة... ملازم أوّل عامل بالقوات المسلحة.

س: كيف نشأت فكرة استغلال ظروف تَنْصيبِكَ في العرض لاغتيال الرئيس؟

ج: هنا بدأنا الكلام عن أحوال المسلمين مع محمّد عبدالسلام وأنا كانت نفسيّتي متأثرة بما يحدث في البلد ولما قلت له إنّي مشترك في العرض، ولكن أقوم

---

(١) راجع: كتاب پيامبر وفرعون، ترجمة كتاب جيل كوبل، والمترجم حميد أحمدي ص ٢٤٨-٢٦٠ باختصار.

بأي حاجة تخلصنا من هذا الحاكم الظالم، ذهب بهذه الفكرة وأبدى استعداده لأيّ مساعدة أحتاجها من الأفراد أو الذّخيرة.

س: وما الذي دعاك إلى عرض هذه الفكرة على محمّد عبدالسلام بالذات؟

ج: هو فقيه. عنده علم بالأمور الدينيّة. ربنا فتح عليه ويعتبر عالماً. وكنت أستريح له.

س: وكيف عرفت أنه عالم ؟

ج: من جلساتي معه. والاستشارة في الأمور الدينيّة وهو يخطب الجمعة ويُلقي الدروس في مسجد صغير أهلي بجوار منزله واسم المسجد عمر بن عبد العزيز أو عمر بن الخطاب.

س: هل كان يشير عليك بقراءة كتب معيّنة ؟

ج: نعم. كتب ابن تيميّة. وكتاب الجهاد في سبيل الله لأبي الأعلى المودودي ونَيل الأوطار للشّوكاني.

س: ما الذي تقصده بمساجد الإخوة ؟

ج: أقصد الإخوة الملتزمين بالإسلام قلباً وقالباً.

س: وكيف تعرفهم ؟

ج: يطلقون اللّحية ويلبسون قميصاً وسيماهم في وجوههم من أثر السجود.

س: ما الذي كنت تقصده؟

ج: ردع أيّ حاكم لايلتزم بكتاب الله.

س: ما الأدلّة الشرعيّة التي كنتم متفقين عليها بشأن استحلال دمه شرعاً ؟

ج: قتال أئمّة الكفر!

س: ولكنّ السادات هو الذي أدخل في الدستور لأوّل مرّة في تاريخ البلاد

أنّ الشريعة الإسلاميّة هي المصدر الرئيسيّ للتشريع، وترك لمجلس الشعب واجب تنفيذ هذا النصّ الدستوري، فكيف تشبهه هكذا بالتتار ؟

ج: هذا كلام ليُظهر أنه حاكم مسلم يريد أن يطبّق الشريعة وليضحك بها على الغيب(١).

الإشادة بذكرى خالد لدى الشعوب الإسلاميّة

بغضّ النظر عن عقائد خالد الإسلامبولي وجماعته الخاصّة، فهو قد قام بعمليّة إنقلابيّة ألا وهي الإعدام الثوري للسّادات، الذي اعتبره الشعب المصري وكافة الشعوب الإسلاميّة خائناً للأمّة والقضيّة الفلسطينيّة بتورّطه في كمب ديفيد، لذا فإنَّ عمليّة الإسلامبولي هذه لاقت استقبالاً وترحيباً واسعاً من أبناء جلدته.

يقول هاني الخيّر: (فهناك قطاع واسع من المصريّن ينظر إلى خالد الإسلامبولي بالذات على أنه بطل قام بعمليّة إنقاذ الشعب المصري وليس مجرماً تسري عليه العقوبة الخاصّة بالمجرمين العاديين، لذلك فقد نادوا بإلغاء حكم الإعدام الصادر بحق خالد الإسلامبولي ورفاقه. وقد حاول كمال الدين حسين عضو مجلس الثورة الأسبق، وفتحي رضوان المحامي قطب المعارضة المعروف، وأحمد بن بيلا الرئيس الجزائريّ الأسبق، السعي عند الرئيس حسني مبارك، بصفته القائد العامّ للقوات المسلحة، ليرُدّ أحكام المحكمة العسكريّة والعفو عن المتهمين أو تخفيف الحكم....)(٢).

كما أنّ كثيراً من الشعوب الإسلاميّة أشادت بموقف قاتل السّادات خاصّة الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران حكومة وشعباً، قد قامت بتكريم خالد الإسلامبولي تكريماً منقطع النظير. فقد سمّوا شارعاً رئيسيّاً في العاصمة طهران باسم الشهيد خالد، وأصدرت وزارة البريد والهاتف للجمهورية الإسلامية طابعاً تذكاريّاً

(١) الأصابع الخفيّة ضدّ الأهداف البشريّة، هاني الخيّر، ص ١٥٨-١٦٢ط دار الجيل بيروت ١٩٩٢م.
(٢) الأصابع الخفيّة ضدّ الأهداف البشريّة ج ٢، هاني الخيّر ص ١٦٢.

يحمل صورة خالد وكتب باللغتين العربيّة والفارسيّة ما يلي:

(ذكرى الملازم إسلامبولي الذي نفّذ حكم الإعدام الثوري بحقّ سادات).

و- جيش الصّحابة الباكستاني:

إنّ جيش الصّحابة في باكستان من التيارات السلفيّة، ويعتبر وليداً للوهابيّة، والمدعوم ماليّاً من قبل نظامها السعودي. ونتيجة لعدّة حوادث إرهابيّة قام بها عناصر ذلك الجيش بسفك دماء المئات بل الآلاف من المسلمين الشيعة الأبرياء والذين كانوا في حال أداء صلواتهم في المساجد أو القيام بمراسم العزاء في أيّام عاشوراء تخليداً لذكرى سبط رسول الله ﷺ سيّد الشهداء الحسين بن عليّ عليه السلام منذ تأسيس تلك المنظّمة إلى زماننا هذا، ونتيجة لتلك الحوادث الدمويّة تصدّرت تلك المنظّمة قائمة الإرهاب في باكستان.

ولعلَّ أبرز شخصيّة باكستانيّة اغتيلت على أيدي تلك الفئة الإرهابيّة هو العلّامة السيّد عارف حسين الحسيني رئيس الحركة الجعفريّة عام ١٩٨٨م.

وعن تاريخ جيش الصَّحابة والقطاع العسكري فيه المسمى بـ (لشكرجنكوى) يمكن الإشارة إلى الأمور التالية:

(أسّس جيش الصّحابة في ٦ سبتامبر عام ١٩٨٥ على يد (حقّ نواز)جنكوى في مدينة (جنك) من توابع محافظة بنجاب.

وكان حقّ نواز جنكوى من أعضاء جمعيّة علماء الإسلام[1]. وكان شخصاً

---

(١) جمعيّة علماء الإسلام الباكستانيّة انشقّت عام ١٩٤٦ عن جمعيّة علماء الهند وكان أبرز قادتها: مولانا شبير أحمد العثماني وسليمان الندوي ومولانا احتشام الحقّ الثانوي والمفتي محمود وأحمدعلي. ومُني هذا الحزب بعد استقلال باكستان بشيء من الشّلل لكنه أعيد تنظيمه عام ١٩٥٦على يد المفتي محمود. وبدأ يلعب دوراً كحزب سياسيّ فعال في ساحة المجتمع الباكستاني ونزل في الانتخابات وكان أقصى ما حصل عليه سبعة كراسٍ في المجلس. وبعد وفاة المفتي محمود تولى ولده مولانا فضل الرحمن قيادة ذلك الحزب.

وهذا الحزب هو أقوى حزب سياسيّ منتم إلى مدرسة الديوباندي وكان الممثل السياسي الوحيد لتلك المدرسة إلى أواسط عشرة الثمانينيّات، إلى أن ظهر عام ١٩٨٥ م جيش الصحابة و أحزاب =

متطرّفاً ويتعصّب كثيراً ضدَّ الشيعة.

وكان دافعه الرئيسيّ في تأسيس (جيش الصحابة) حسب تصريحاته وتصريحات سائر قادة هذه الفئة هو الوقوف في مقابل التّشيّع من النّمو في تلك البلاد. يقول ضياء الرحمن الفاروقي القائد الأسبق لهذه الفئة بأن الوظيفة الرئيسيّة لجيش الصّحابة هي المحافظة على حرمة الصحابة.

=صغيرة أخرى منتمية إلى المدرسة الديوبندية، وماكانت تختلف كثيراً عن جمعيّةعلماء الإسلام. وكانت الجمعيّة على الأغلب من قبيلة الباشتون في أيالة بلوجستان وسرحد. وكانت لها صلات حميمة بفئات الباشتون الأفغانية في فترة الجهاد في أفغانستان. وبعد انتصارالمجاهدين الأفغان ونشوب الحروب الداخليّة بينهم، قامت جمعيّة علماء الإسلام بإسناد من دولة باكستان وبعض الدول العربيّة كالسعوديّة والإمارات بإيجاد حركة الطالبان الأفغانيّة.

وللجمعيّة مدارس دينيّة كثيرة في باكستان تخرّج منها عشرات الألوف من الطلبة. وكانت تلك المدارس تعتبر مراكز لتعليم الأفكار التطرفيّة السلفيّة والمنتمية إلى مدرسة الديوبندي. وكانت تلك المدارس هي الركيزة الرئيسيّة للجمعيّة في خلق حركة الطالبان.

يقول الرشيد أحمد: إن الطالبان درسوا في المدارس التابعة لمولانا فضل الرحمن ذلك المولوي المتطرّف وحزبه جمعيّة علماء الإسلام.

وهذه الجمعيّة من حيث الفكر السياسي ترى الحكومة الإسلاميّة على طراز حكومة الخلفاء الراشدين على أساس الكتاب والسنّة طبق المذهب السّنّي.

وهناك فرع آخر لجمعيّة علماء الإسلام بقيادة مولانا سميع الحقّ. وقد انشقّ هذا عن الجمعيّة التابعة لفضل الرحمن وأسّس جماعة جديدة. وكان سميع الحقّ من رجال الدين الباشتون في منطقة صوبه سرحد. وكان فوزه محدوداً في تلك المنطقة. واشتهر هذا بمدرسته المعروفة بـ(دار العلوم للحقّاني) وكان يدير المدرسة ويلقي فيها العلوم الإسلاميّة.

وكانت مدرسة الحقاني في ناحية (أكو راختك) من منطقة بيشاور. وفي هذه المدرسة حوالي ثلاثة آلاف طالب من مختلف البلدان. وكان خرّيجو المدرسة اشتركوا في جهاد الأفغان وتخرّج أكثر من عشرات الآلاف منها. وكانت المدرسة تسعى لتربية الشباب المسلم الشيشاني والتركمنستاني وغيرهم على أساس التعاليم الإسلاميّة والفكر الجهادي، وماكانت تركز على الأصول الثوريّة كالجهاد والشهادة ومكافحة الكفر وأميركا فحسب، بل كانت تقوم بتدريب الطلبة عسكريّاً. وكان كثير من طلاب تلك المدرسة ينطلق للمشاركة في الكفاح الكشميري كما نوّه به سميع الحق. وحينما سئل عن فتوى أسامة ابن لادن في الجهاد ضدَّ الأميركيين قال: إنّني مسرور من هذه الناحية لأنّ أمريكا هي الشيطان الأكبر وقد أفتى أسامة بن لادن بحق على انه يجب قتل الأمريكيين في أيّ بقعة من بقاع العالم»

المصدر، مجلة: (علوم سياسي) الصادرة عن مؤسسة باقر العلوم عليه السلام في قم المقدسة السنة الرابعة العدد ١٦ عام ١٣٨٠ ش، ص ٢٧٠ ـ ٢٧٢.

ويعتبر هذا الجيش من أتباع المدرسة الديوباندية، ومؤسّسه المقتول هو حقّ نواز جنكوى. إنّما أسّسه بعد اتساع رقعة نشاطات الجمهوريّة الإسلاميّة في باكستان، وبداية الحركة الشيعيّة الّتي أسّست تحت عنوان (تحريك نفاذ فقه جعفريه) أي نهضة تنفيذ الفقه الجعفري.

وهذه الفئة (جيش الصّحابة) تعدّ من أكثر الفئات الدينيّة تطرّفاً، وجعلت جل بل كلّ نشاطاتها تدور مدار العداء للشيعة. وتعتبر البادئة بالإشتباكات الطائفيّة في باكستان. ولقّنت عناصرها بأن أهمّ وظيفتها محاربة الشيعة. ولذلك قامت بقتل المئات من الشّيعة في مختلف مدن تلك البلاد. وكانت في بداية الأمر حملاتها الإرهابيّة متوجّهةً إلى أعضاء النّهضة الجعفريّة. إلّا أنها في الأخير شملت السياسيّن والحقوقيّن والتجار والموظفين الحكوميّن من الشيعة.

وإنّ جيش الصّحابة يدعو إلى سيطرة دولة سنيّة في باكستان ويصرّحون بهذا الهدف في بياناتهم الرسميّة[1].

وجيش الصّحابة ـ كما هو معروف ـ مدعوم ماليّاً من قبل بعض الدول العربيّة خاصّة السعوديّة، وبفضل تلك الدّعامة تبدّل إلى حزب كبير في باكستان وخارجها بحيث كان له في عام ١٩٩٤ أربعة عشر ألف مكتب في ١٧ دولة في العالم.

فرقة جنكوى:

وأمّا فرقة جنكوى فهي من الفئات المتطرّفة الدينيّة التي أسّسها جيش الصحابة للاشتباك مع النّهضة الجعفريّة. وتعمل كفصيلة عسكريّة لذلك الجيش وأنّ أعضاءها مسلّحون يقومون بعمليّات إرهابيّة وبثّ الفرقة الطائفيّة.

وبعد أن انضمّ جيش الصّحابة، نتيجة لضغوط الأحزاب المعتدلة الإسلاميّة

(١) الظاهر أن مقصودهم من الدولة السنيّة هي الدّولة السلفيّة التي تنفّذ سياساتهم وسلائقهم التطرفية لا مطلق الدولة المنتمية إلى أحد مذاهب أهل السّنّة والجماعة. وذلك لأنّ الحكومات الباكستانيّة هي من أهل السنّة على الأعمّ الأغلب.

عام ١٩٩٥ إلى مجلس الائتلاف الوطني المسمّى بـ (ملی يك جهتی كونسل) من أجل علاج النزاعات الطائفيّة، انشقّت فرقة جنكوى بقيادة ملك إسحاق ورياض بسرا وغلام رسول شاه عن جيش الصّحابة وامتنعت عن الالتحاق بذلك المجلس. وليس دليلهم في ذلك إلّا الامتناع عن الحضور في مجلس يضمّ الشيعة في ضمنه. والتطرّف المتزايد لهذه الفرقة أوجد انشقاقاً بينهم وبين جيش الصّحابة...

يقول أعظم طارق في تحليل عوامل انشقاق هذه الفئة عن جيش الصّحابة: (صحيح أنّ قادة فرقة جنكوى أمثال ملك إسحاق ورياض بسرا كانوا أعضاء في جيش الصّحابة، ولكن حينما انضمّ جيش الصّحابة إلى مجلس الائتلاف الوطني وأودع قائده السجن بسبب اعتراضه على رئاسة المرأة في دولة بنازير بوتو، انشقّ هؤلاء عن جيش الصّحابة وانضموا إلى فرقة جنكوى. وجيش الصّحابة اليوم يستمرّ بنشاطاته في إطار القانون ويراعي الاستدلال ويعلن انزجاره من سياسات ونشاطات فرقة جنكوي).

وإنّ أعظم طارق يصرّح بأنّ عوامل الاستخبارات في الدولة كانت لها اليد في انشقاق فرقة جنكوى من أجل تشويه سمعة جيش الصّحابة وإضعافه وتقسيمه.

وعلى أيّ حال فإنّ قادة فرقة جنكوى مطلوبون للقضاء وتحت التّعقُّب والملاحقة بسبب تدخّلهم في اغتيال قادة الشيعة والهجوم على الممثّليّة الثقافيّة الإيرانيّة في مولان ولاهور، وإن ملك اسحاق ورياض بسرا كمتّهمين رئيسيّن يعيشان في أفغانستان. وإنّ عناصر فرقة جنكوى مضافاً إلى قيامهم بأعمال العنف والنشاطات المسلّحة داخل باكستان يقومون بمناصرة الطّالبان وحركة المجاهدين وفرق طيبة في أفغانستان والكشمير[١].

---

(١) مجله (علوم سياسى)، فصلنامه تخصصى مؤسسه آموزش عالى باقر العلوم عليه السلام سال چهارم، شماره شانزدهم، قم، زمستان ١٣٨٠ ص ٢٧٢ ـ ٢٧٤.

ز ـ حركة طالبان:

حركة طالبان حركة دينيّة سلفيّة وسياسيّة برزت عام ١٩٩٤م في ساحة أفغانستان واستلمت السلطة عام ١٩٩٦م. وسقطت عام ٢٠٠١ بعد حوالي خمس سنوات.

نشأ بعض قادتها في أحضان الوهّابيّة مباشرة كالذين تخرّجوا من الجامعة الإسلاميّة في المدينة المنوّرة، أو غير مباشرة كالذين درسوا في المدارس الدينيّة السلفيَّة في باكستان أو أفغانستان. فإنّهم وإن كانوا يحملون المذهب الحنفي على الأغلب إلا أنَّهم تأثّروا بالفكرة السلفيّة الوهابيّة.

ونشوء هذه الحركة كان في الظروف المريرة السائدة على الشعب الأفغاني من النهب والسلب والتفسُّخ الخُلُقي، حيث فشلت دولة المجاهدين في تحقيق الأمن والاستقرار واستقرار الدولة الإسلاميّة والقضاء على الفساد والعصبيّة القبليّة بسبب المعارك الدامية والتناحر الشديد القائم بين تيارات المجاهدين أنفسهم على السّلطة، وأهم تيارات المجاهدين هو الجمعيّة الإسلاميّة بقيادة برهان الدين رباني وأحمد شاه مسعود من جانب، والحزب الإسلامي بزعامة حكمتيار وحليفه دوستم من جانب آخر، والاتحاد الإسلامي بقيادة سياف من جانب ثالث. ففي تلك الظروف انطلق الملّا عمر يحرض الطلاب ويدعوهم إلى الجهاد للقضاء على الفساد والجرائم والمنكرات. وطاف بين مدن أفغانستان يستقطب طلاب المدارس الدينيّة، ولذلك سمَّوا حركتهم بحركة (طالبان) أي الطلّاب.

ولمّا كثر أتباع الملّا عمر استعاروا الأسلحة والسيارات من الناس. وبرزت الخلية الأولى لطالبان في يوليو ١٩٩٤ المكونة من أكثر من خمسين طالباً، وقامت بنزع الأسلحة من المجاهدين وإزالة نقاط التفتيش من الطرقات والتي كانت موضوعة لجمع الإتاوات، وبدأ الزحف نحو القرى والمدن الصغيرة.

وفي نوفمبر ١٩٩٤ ارتبطت حركة طالبان بحادثة القافلة الباكستانية التي أرسلها وزير الداخلية الباكستاني للإغاثة، واستولت عليها مجموعة من

مجموعات المجاهدين وتمكّنت مجموعة طالبان من تحريرها وإعدام قائد مجموعة المجاهدين[١].

واستمرت الحركة في زحفها نحو القرى والمدن التي تسيطر عليها قوّات حكمتيار زعيم الحزب الإسلامي الذي كان يشكل الخطر الأكبر على نظام رباني في كابول وشريكه مسعود، حتى استولت على معقل حكمتيار في ١٠ / ٢ / ٩٥. وحاول رباني استثمار الحركة لصالحه بتيسير السبل أمامها للقضاء على خصمه العنيد حكمتيار ليتسع نفوذ الحركة وتكسب المزيد من الأنصار والأراضي على حساب الحكومة، حتى وصلت إلى حدود العاصمة كابول في منتصف فبراير ١٩٩٥. واستطاعت طالبان الاستيلاء على عدّة ولايات بدون مقاومة بسبب عدم وجود قوة موحدة تحمي هذه الولايات. وفي أبريل ٩٦ وقبل دخول كابول دعت جمعية طالبان ١٥٠٠ عالم من أفغانستان ليباركوا لملا محمّد عمر ويعلنوه أميراً للمؤمنين، وطالَبَ مولوي فضل الرحمن زعيم جمعيّة علماء الإسلام في باكستان في ٣ / ٣١ / ٩٦ رباني بتسليم الأسلحة والحكم لطالبان.

ودخلت الحركة في مواجهة مع القوّات الحكومية، وأحرزت عدداً من الانتصارات عليها وعلى قوّات حكمتيار، حتى تمكّنت من دخول كابول في ٢٧ / ٩ / ١٩٩٦، وانسحبت القوّات الحكومية نحو الشمال، وكوّنت التحالف الشمالي الذي ضم رباني ومسعود ودستم وخليلي (زعيم حزب الوحدة الشيعي). وقد قتل مسعود مؤخراً واتّهمت حركة طالبان باغتياله. وكانت للقاعدة جماعة أسامة بن لادن اليد الطولى في ذلك الاغتيال.

ولقد كانت هذه الانتصارات لافته للأنظار خاصة وأنّها ارتبطت بحركة من الطلبة لم تكن لهم خبرة عسكريّة من قبل، ممّا أثار الكثير من التساؤلات حول نشأة الحركة ودورها في الساحة الأفغانيّة. من هنا دار حول حركة طالبان العديد من الشبهات تركز جميعها على وجود دور أجنبي كان له الفضل في بروزها بهذه

(١) كان القائد الذي أعدم هو منصور آغا ويتبع جماعة جيلاني وقد أعدم عدد من رفاقه أيضاً.

القوّة ووصولها إلى حكم أفغانستان.

وتدور هذه الشبهات حول دور باكستان والمخابرات الأميركيَّة في صناعة طالبان ودعمها، ومثل هذه الشبهات لها مسوغاتُها.

وحركة طالبان ودولتهم لم يعترف من الدول بها إلّا السعوديّة وباكستان والإمارات.

وقد تبنّت طالبان أفكار ابن تيميّة وسيد قطب، وأبرزت أفكارهما في أدبياتها. وطرح هذين الرمزين كان يقود إلى التطرف في مواجهة الواقع ويتفق مع توجهات طالبان.

ومن خلال هذا الطرح أمكن التلاقي بين طالبان وتيار الجهاد الذي كان يبحث عن قاعدة آمنة لانطلاقه بعد أن ضاقت به السبل في مصر والجزائر واليمن والبلقان والشيشان وغيرها من بقاع العالم الإسلامي.

وحيث إن طالبان كانت معزولة دوليّاً وكانت بحاجة إلى من يسندها ماليّاً فتحت باعها لأسامة بن لادن ومجموعته.

ومن جانب آخر قام تيار الجهاد بنصرة حركة طالبان من خلال دعمها بأمواله التي كانت في أمس الحاجة إليها، ودعمها بعناصره ذات الخبرة الحركيّة والوعي التنظيمي الذي كانت تفتقر إليه في مواجهة خصومها المتربصين بها.

ونظراً إلى الفكر السلفي السائد على حركة طالبان وحليفها تيار الجهاد حيث ينظرون إلى الواقع بعين الماضي ويواجهون الأمور بعنجهيّة وتحجّر، لم يتمكّنوا من عرض نظري ولا عملي لدولة إسلاميّة ناجحة. وما قاموا به من أعمال انّما كانت يشوّه معالم الحكومة الإسلاميّة، بعيداً عن المنطق العقلي والعاطفة الإنسانيّة المتمثلة في المبادئ الإسلاميّة الصحيحة.

وقد رفضت الحركة على أساس الفكر السلفي فكرة الديمقراطية والاعتراف بالآخر. وقد تركّزت شخصية الحاكم في ملّا عمر الذي لا يملك أي رصيد على

المستوى الفقهي أو السياسي كما لايتحلّى بأيّ صفات قياديّة. وكان بصدد إقامة نظام للخلافة غير قابل للمراجعة أو التغيير، والشورى عنده غير ملزمة ولا يعتمد على أحد من أهل الخبرة في أي مجال من المجالات العصريّة، بل يعتمد على طلاب المدارس الدينيّة من أتباعه وعناصره وفقهاء المدارس التي درسوا فيها وهي جميعها مدارس سلفيّة متخلفة عن الواقع ترفض التجديد والعلوم العصريّة. ويظهر لنا من خلال البيان الذي أصدرته الحركة بعد دخولها كابول بأيّام قليلة أنّ صورة الحكم هي مجرد تطبيق لفتاوى فقهاء السلفيّة من دون حاجة إلى تقنين أو العمل على إقامة المؤسَّسات. وقد نصَّ البيان على مايلي:

- منع الصور في الصحف.
- منع نشر مقالات المعارضين أو كتبهم أو صحفهم أو بيعها.
- منع المرأة من العمل والخروج من البيت لأيّ سبب إلّا برفقة محرم وأن تكون ملتزمة بالحجاب الكامل.
- عدم السماح بقيام الأحزاب السياسيّة.
- من يعادي طالبان إنّما يعادي الإسلام.

هذا بالإضافة إلى عدّة قرارات أخرى صدرت بسرعة، منها:

- منع تربية الحمام وملاعبة الطيور.
- منع النساء اللّاتي لايرتدين الحجاب على طريقة طالبان، من ركوب السيارات إلّا بوجود محارم.
- تحريم الموسيقي ومنع تداول أشرطتها.
- تحريم حلق اللحية أو تقصيرها أو تقصير شعر الرأس على طريقة الأروبيين.
- منع الرجال من خياطة ملابس النساء.
- إغلاق المحلّات وإيقاف المواصلات أثناء تأدية الصلاة.

- منع الرسم وتعليق الصور.
- منع النساء من غسل الثياب على ضفاف الأنهار.
- إلزام الناس بارتداء العِمامة على رؤوسهم.

وشكلت الحركة جماعة أشبه بجماعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المنتشرة في السعوديّة لتقوم بتنفيذ هذه القرارات، تلك الجماعات التي كانت تنزل أشدّ العقوبات بالمخالفين وتمارس مهامَّها في قسوة شديدة.

ومن هذه العقوبات الحبس، وبالنسبة لقصار اللحي أو حالقيها فإنّهم يحبسون حتى تطول لحاهم. وأصحاب الشعر القصير الذي يشبه الأوربيين تحلق رؤوسهم ويُغرّمون ثمن الحلاقة.

ومن خلال صورة الحكم التي فرضتها حركة طالبان تجسّدت فكرة الحكم الإلهي الذي لايرد ولا تجوز مخالفته والخروج عليه، وبرّر هذا التصور البطش بالمخالفين واستئصالهم وارتكاب أبشع الجرائم في حقّهم.

فقد أعدمت طالبان الكثير من المعارضين في محاكمات صوريّة سريعة وأبادت الكثير من المدنيّن في حروبها مع المعارضة الشمالية، فقتلت في مزار شريف وحدها أكثر من خمسة آلاف حين استولت عليها، كما قتلت أعضاء القنصليّة الإيرانيّة فيها[1].

ح ـ تنظيم القاعدة:

تنظيم القاعدة يعتبر أبرز التّيارات الموصوفة بالعنف والإرهاب في هذا الزمان (أي ١٩٩٦ ـ ٢٠٠٧م) في العالم الإسلامي. ويرى أتباع هذا التّيار أنّه الخندق الأمامي في مواجهة الكفر العالمي بقيادة أميركا خاصّة بعد أحداث (سبتامبر ٢٠٠١ م).

---

(١) استفيد في كتابة هذا القسم حول حركة طالبان من كتاب (أزمة الحركة الإسلاميّة المعاصرة من الحنابلة إلى طالبان) بقلم صالح الورداني من ص ١٠٦ـ ١١٦.

كما أنّ الرّأي العامّ في العالم الشعبي السّنّي كان على الأغلب يكنّ له الحبّ[1] والولاء ويعتبره الرمز الإسلامي الضّارب والمتحدّي لجبهة الاستكبار. ولا شكّ أنّ منشأ ذلك التقدير يعود إلى الحقد الذي يحمله العالم الإسلامي تجاه أميركا المتغطرسة والحامية الأولى للصهاينة المحتلّين. ومن ثمّ يقع أي تيار يتصدّى لذلك العدوّ الشّرس في موقع التعاطف والولاء على أساس المثل السائر (بغضاً لمعاوية لا حبّاً بعليّ) !

وأمّا أميركا فهي بدورها قد استغلّت القاعدة كفزّاعة تخوّف بها الآخرين وتجعلها ذريعة لضرب أيّ بلد تريد ضربه للوصول إلى أهدافها الاستعماريّة. ومن جرّاء ذلك احتلّت أفغانستان. وبمثل تلك الذريعة احتلّت العراق، وتهدّد اليوم بنفس تلك الفزّاعة البلدان الإسلاميّة الأخرى وعلى رأسها الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران. كما رفعت أخيراً شعار الإصلاح الأميركي في دول الخليج الفارسي لأجل القضاء على ما تسمّيه بالأصوليّة الإسلاميّة.

إذاً فالواقع الرّاهن يستدعي بذل الاهتمام للتّعرّف على هذا التّيار وكشف حقيقته بمقدار المستطاع، خاصّة وأنّ هذا التّيار والأحداث المرتبطة به يخيّم عليها الضّباب من عدّة جهات:

أوّلاً: إنّ المعروف والمكشوف لدى الجميع أن القاعدة والتيار المسمّى بالأفغان العرب، وحتّى طالبان بالذّات يعتبر من صنع الـ (CIA) وتدشين الأجهزة الاستخباريّة الموالية لأميركا كالسعوديّة وباكستان.

---

(١) ولكنّه في الآونة الأخيرة بعد أن ظهرت نوايا القاعدة في أعمال الفوضى والتفجيرات خاصّة في العراق حيث راح ضحيّتها مئات الآلاف من المسلمين، وكذلك ما ظهر من ارتباطات مشبوهة بين القاعدة والصّهاينة، بدت آثار اشمئزاز الرّأي العامّ الإسلامي من تلك الأعمال الإجراميّة وسقطت القاعدة من أنظار المسلمين بينما نظر المسلمون إلى حزب الله لبنان بقيادة السيد حسن نصرالله بعين الإجلال لما شاهدوا من مواقفهم البطوليّة ضدّ إسرائيل الغاصبة. والحال أنّهم لم يشاهدوا من القاعدة وقوّاتها أيّ موقف عملي ضدّ الصهاينة، وزاد في الطين بلّة حينما أذاعت وكالات الأنباء أنّ جميع الموظفين والتجار اليهود في برجي التجارة العالميّة في أمريكا لم يحضروا إلى الدّوام يوم ١١ سبتامبر، الأمر الذي اتهمت القاعدة فيه بتفجير ذينك البُرجين. تساءل الناس بعد ذلك: ما هي العلاقة بين القاعدة واليهود؟!

ثانياً: إنّ القائد صاحب الكاريزما للقاعدة وليد عائلة غارقة في الثراء والرّفاهية والمشاركة التجاريّة العالميّة مع قادة أميركا مثل بوش الأب والابن.

ثالثاً: إنّ المعروف في أحداث اقتحام بُرجي نيويورك أنّ الموظّفين اليهود وهم أربعة آلاف نفر قد غابوا يوم الحادث ولم يصب أحدهم بجراح! وأن بن لادن المتّهم الرئيسيّ بتلك الأحداث وإن لم يُظهر تحمّل مسئوليّتها، إلّا أنّه باركها وأيّد الأبطال القائمين بصنعها كالمعتاد في الأحداث المشابهة مثل سفارتي أميركا في تانزانيا وكينيا وأسطول كول.

رابعاً: الحوادث الّتي صنعت أخيراً في العراق وذهب ضحيتها عشرات، بل مئات الألوف من المسلمين الأبرياء الذين لا ذنب لهم سوى إقامة العزاء على سبط رسول الله ﷺ سيد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه السلام في كربلاء والكاظميِّين والانتماء إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام. كما اغتيلت شخصيّات إسلاميّة بارزة قضت عمرها في الكفاح ضدَّ الاستكبار العالمي والديكتاتوريّة البعثية مثل آية الله الشهيد السيّد محمّد باقر الحكيم ومن قتل معه بعد صلاة الجمعة بجوار مرقد أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف. والمتّهم الرئيسيّ بهذه الأحداث عناصر من القاعدة وفلول البعثيين.

خامساً: إنّ ماصنعه المنسوبون إلى القاعدة في العراق من قبيل ذبح التاجر الأميركي أتاح الفرصة للمحتلين الأمريكان بأن يبرّروا موقفهم تجاه الشعب العراقي خاصّة بالنسبة إلى المظاهرالبشعة من التعذيبالوحشي التي قام بها الجلاوزة الأمريكيون في سجن أبي غريب. فغن هذه الصور لمّا نشرت خلقت أجواء سَلبيّة أربكت الساسة الامريكيين أمام الرّأي العامّ العالمي حتى الأمريكي.

...ولذلك ينبغي التّريّث لإماطة اللّثام عن حقيقة هذا التيّار.

عوامل تكوين القاعدة

إنّ تيّار القاعدة كما هو معروف تيّار سلَفيّ ويعتبر وهابيّاً بامتياز. وكانت عدّة عوامل دخيلة في تكوينه وطرحه في السّاحة أهمّها:

أ ـ شخصيّة قائده أسامة بن لادن والخصائص الّتي يتمتّع بها.

ب ـ الفكر السّلفي الإخواني السعودي المؤثّر في تكون شخصيّة قائده من خلال ارتباطه بجهيمان بن سيف العتيبي قائد انتفاضة الحرم المكّي عام ١٤٠٠هـ وكذلك ارتباطه بالنخب الوهّابيّة المنتمية لحركة الإخوان المعترضة على الحكّام السعوديّن بعد أحداث حرب الخليج الثانية.

ج ـ الفكر السلفي للإخوان المسلمين الذي أثّر في بناء شخصيّة أسامة ابن لادن حيث كان محمّد قطب المصري وعبدالله عزّام الفلسطيني من كبار أساتذته في جامعة جدّة. كما أن الأخير كان عرّاباً للأفغان العرب في حربهم ضدّ السوفيت وفي طليعتهم أسامة نفسه، مضافاً إلى موقع جماعة الجهاد الإسلاميّة المصريّة وقادتها مثل أيمن الظواهري وأبو حفص المصري وأضرابهما في بناء القاعدة وتأثيرهما في أسامة.

د ـ الثّورة الإسلاميّة الإيرانيّة بقيادة الإمام الراحل الخميني + وما لها من دور كبير في تعميق وتوسعة الصّحوة الإسلاميّة وتقوية التيّارات الأصوليّة وخلق تيارات إسلاميّة جديدة، وحضورها في السّاحة كرمز إسلامي عملاق في مواجهة الاستكبار العالمي بقيادة أميركا بعد انتصارها في داخل البلاد والقضاء على النظام الديكتاتوري العميل لأميركا والصهاينة، وتشكيلها لنظام إسلامي يعتبر الأسوة والقدوة للمسلمين المتعطّشين لتطبيق الشريعة الإسلاميّة، وانعقاد آمال المسلمين بل المستضعفين عامّة على تلك الثّورة.

يقول الكاتب المصري نبيل شرف الدين حول تأثير الثورة الإسلاميّة في الحركات الأصوليّة الإسلاميّة عموماً ومنها القاعدة:

(وأخيراً فلا يمكن تجاهل أثر الثورة الإيرانيّة، فرغم أنها تخصّ المذهب الشيعي، إلّا انّها كانت من أهمّ العوامل التي أدت إلى انتشار الاصوليّة الإسلاميّة ورواجها، إذ ساهمت التجربة بحدّ ذاتها في رفع سقف أحلام الحركات الأصوليّة إلى إمكانيّة استنساخ تجربة مماثلة على الصعيد السني السلفي، وهو الأكثر انتشاراً والأغنى، كما كان الفكر الذي طرحه الإمام آيةالله الخميني في كتاباته العديدة، وخاصّة (الحكومة الإسلاميّة) الذي نادى فيه بحتميّة الثورة السياسيّة وضرورة المقاومة على المدى الطويل، والعمل على تدمير الحكومات، وقد أثّر بهذه الأفكار في أعضاء التنظيمات الأصوليّة المصريّة وتحديداً (الجهاد)، الذي تبنى الأمر حتى دون مناقشة مذهبيّة وفكريّة، ولعلّ ذلك يرجع بشكل أو آخر إلى دراما (الثورة الإيرانيّة) الّتي أثّرت في نفوسهم كثيراً وبشكل عميق. وتتبلور هذه الأفكار حول ثلاثة محاور أساسيّة هي:

- إسقاط الحكومات القائمة.
- إقامة الحكومة الإسلاميّة.
- عدم التعاون مع كافة مؤسّسات الطاغوت.

(ونقصد بها هنا مؤسسات الحكم القائمة في البلاد العربيّة والإسلاميّة الآن)..

لذلك، ولغير ذلك من الأسباب، لم يكن مستغرباً أن يظهر الآن تحديداً... هذا النموذج الرمزي الهادئ... البسيط الصارم... صاحب الكاريزما الطاغية... والحضور الأليف... والبندقيّة اليقظة... والأحلام المستحيلة... والجنون الممكن...أسامة بن لادن، والذين معه)[1].

وهذا الواقع هو الّذي خلق أجواء التّعاطف والولاء للجمهوريّة الإسلاميّة

(١) نبيل شرف الدين، بن لادن طالبان... الأفغان العرب والأهميّة الأصوليّة، ص٢٠ مطبعة مدبولي القاهرة، الطبعة الثانية ٢٠٠٢م.

وقائدها والأفكار السّامية الّتي يتبنّاها والمباني المذهبيّة التي ينتهجها. ومن ثمّ توجّهت عشرات الملايين من الأمّة الإسلاميّة بشوق ولهفة إلى مطالعة أصول مدرسة أهل البيت عليهم السلام وفروعها ممّا سبّب انتماء الملايين منهم إلى هذا المذهب. ومن بينهم مئات العلماء والدّارسين في مدرسة الخلفاء المعروفة بمذاهب أهل السّنّة والجماعة. وألّف البعض منهم عشرات الكتب دعماً لمذهبهم الجديد[1].

(١) أحد هؤلاء المؤلّفين الدكتور عصام العماد من خرّيجي جامعة الإمام محمّد بن سعود في الرياض و تلامذة بن باز وإمام جامع صنعاء في اليمن الذي كان من مبلّغي الوهابيّة. وقد ألّف كتاباً في تكفير الشيعة باسم (الصلة بين الاثنى عشريّة وفرق الغلاة). لكنّه بعد تعرّفه على التّشيع علمياً تشيّع ونبذ المذهب الوهابي فألف كتاباً باسم (المنهج الجديد والصحيح في الحوار مع الوهابيّن) ويقول في ص ١٧٨ من كتابه هذا:

(وكلّما نقرأ كتابات إخواننا الوهّابيّن نزداد يقيناً بأنّ المستقبل للمذهب الاثنى عشري، لأنّهم يتابعون حركة الانتشار السريعة لهذا المذهب في وسط الوهّابيّن وغيرهم من المسلمين).

ثم يقول أيضاً: (إنّ الوهّابيّن على يقين بأنّ المذهب (الاثني عشري) هو الّذي سوف يجذب اليه كلّ أهل السّنّة وكلّ الوهّابيّن السعوديّن).

و يقول صاحب كتاب (الشيعة الإماميّة في ميزان الاسلام) وهو من علماء السّنّة في ص ٥ من مقدّمته:

(وممّا زاد عجبي من هذا الأمر أنّ اخواناً لنا ومنهم أبناء بعض العلماء الكبار المشهورين في مصر، ومنهم طلّاب علم طالما جلسوا معنا في حلقات العلم، ومنهم بعض الإخوان الّذين كنّا نحسن الظنّ بهم سلكوا هذا الدّرب وهذا الاتجاه الجديد وهو التشيّع. وبطبيعة الحال أدركت منذ اللحظة الأولى أنّ هؤلاء كغيرهم في العالم الإسلامي بهرتهم أضواء الثورة الإيرانيّة).

و يقول الشيخ محمّد المغراوي من الكتاب الوهّابيّن في مقدّمة كتاب (من سبّ الصّحابة ومعاوية فأمّه هاوية) ص ٤:

(بعد... انتشار المذهب الإثنى عشري في مشرق العالم الإسلامي، فخفت على الشباب في بلاد المغرب).

و يقول الدكتور ناصر القفاري أستاذ جامعة المدينة في مقدمة كتابه أصول مذهب الشيعة الإماميّة الإثني عشريّة ج ١ ص ٩:

(وقد تشيّع بسبب الجهود الّتي يبذلها شيوخ الإثني عشريّة من شباب المسلمين، ومن يطالع كتاب (عنوان المجد في تاريخ البصرة ونجد) يهوله الأمر حيث يجد قبائل بأكملها قد تشيّعت).

و يقول الشيخ مجدي محمّد عليّ محمّد الكاتب الوهابي في كتابه (انتصار الحقّ) ص ١١ و١٤: (جاءني شابّ من أهل السّنّة حيران، وسبب حيرته انّه قد امتدّت إليه أيدي الشيعة... حتّى ظنّ المسكين أنّهم ملائكة الرحمة وفرسان الحقّ).

وهذا الواقع ممّا أقضّ مضاجع المتعصّبين لمذهب السّنّة وعلى رأسهم السلفيون وحدا بهم إلى صرف المليارات من الدولارات للوقوف بوجه هذا المدّ المذهبي الجديد وتأليف آلاف من الكتب والكتيّبات ضدّ الشيعة وإثارة الشّبهات القديمة ونبشها من القبور الّتي أكل الدّهر عليها وشرب من جديد[1].

وهذا الإعلام المكثّف وإن ساهم في التّعتيم التاريخي لطمس الحقائق وصدّ الكثيرين عن الاتّجاه نحو الحقيقة، إلّا أنّه سبّب تحرّك الكثير من المسلمين للبحث والتنقيب عن الحقيقة ممّا أدّى إلى وقوفهم عليها واعتناقها.

ولمّا رأى المتعصّبون من الوهّابيّين الفشل الذّريع لذلك الإعلام المضلّل خاصّة بين الشّبيبة المتحمّسين والثوريّين الرّاغبين بالقيام ضدّ الحكومات الديكتاتوريّة والقوى الاستعماريّة وعلى رأسها أميركا والصهاينة، الّذين رأوا في الثورة الإسلاميّة وقائدها الإمام الخميني مثالاً رائعاً للجهاد والنضال ضدّ قوى الظلم، وتطبيق الشريعة الإسلاميّة والقيام بالعدالة الاجتماعيّة، لمّا توصّل أولئك إلى هذا الواقع المرّ في أذواقهم، بدأوا يغيّرون التّكتيك فاستعانوا بالتّيارات الاسلاميّة الّتي تحمل الروح الثوريّة من أهل السّنّة كالإخوان المسلمين وباقي السلفيّين ليطرحوها

(١) بحثت بعض المؤسّسات العلميّة عن الكتب الّتي ألّفت ضدَّ الشيعة خلال أربعة عشر قرناوالتعرف على أسمائها فتجاوز عددها الخمسة آلاف كتاب. وكان ثلاثة آلاف منها بلغة الأردو وألف وخمسمائة بالعربيّة وخمسمئة بلغات أخرى. ومن المعلوم أنّ محتويات تلك الكتب من الشبهات التافهة والافتراءات الّتي أجاب عن جميعها علماء الشيعة. ولكن من اللافت للنظر أن ٧٠٪ من تلك الكتب ألّفت خلال الخمسة والعشرين سنة الماضية أي بعد انتصار الثورةالاسلاميّة في إيران و٣٠٪ منها خلال القرون الماضية!

وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على التخوّف الفظيع الذي انتاب المتعصّبين من المخالفين لمدرسة أهل البيت عليهم السلام وتكريس جهودهم وبذل الثروات الطائلة في نشر مايقدح بذلك المذهب.

فقد نقل في مجلة تراثنا العدد ٦ ص ٣٢ في مقالة: موقف الشيعة من هجمات الخصم،أن في باكستان في سنة واحدة طبع ستّون كتاباً في ٣٠ مليون نسخة ووّزع هناك.

كما نقل في مجلّة الميقات العدد ٤٣ ص ١٩٨ نقلاً عن جريدة عكاظ ١١ / ٩ / ٨١ ش أنه وُزع في موسم الحج عام ١٤٢٣ عشرة ملايين و٦٨٥ ألف نسخة من الكتب الّتي طبعت بعشرين لغة ووزعت على أيدي عملاء السعوديّة مجاناً بين الحجّاج وكان معظمها ضدّ الشيعة.

كأطروحات ثوريّة بديلة من أطروحة الثورة الإسلاميّة في إيران. ومن ثمّ انهالت المساعدة على المجاهدين الأفغان وهاجرت مجموعات كبيرة من أقطار البلدان الإسلاميّة والعربيّة لنصرة أفغانستان، وهؤلاء هم الذين سمّوا بالعرب الأفغان بعد ذلك بمباركة ومساعدة بعض الدّول الخليجيّة وخاصّة السعوديّة بإسناد وإرشاد من أميركا نفسها واستخباراتها (CIA) وكذلك مخابرات دولة باكستان.

وحيث رأى بعض الثوريّن من أهل السّنّة تصاغرهم أمام عظمة الإمام الخميني كرمز الجهاد والبطولة في العالم الإسلامي، أرادوا عرض بديل لذلك من النّمط السّنّي. ومن جرّاء ذلك فتح المجال لأسامة بن لادن ليطرح نفسه كقائد إسلامي ثوري يحتلّ الصّدارة في قائمة القادة الثوريّن وليكون تنظيمه المسمّى بالقاعدة بديلاً من فكرة (نوايا حزب الله) في العالم الّتي طرحها الإمام الخميني + .

السّيرة الذاتيّة لأسامة بن لادن:

بعد أن تعرّفنا على العوامل والدوافع المؤثرة في طرح تنظيم القاعدة ينبغي الإلماح إلى عرض للسّيرة الذاتية لأسامة بن لادن كشخصيّة محوريّة لذلك التنظيم وقياديّة كارزميّة.

ولد أسامة بن لادن سنة ١٣٧٧ هجرية ـ ١٩٥٧م ـ وقيل (١٩٥٤م) لأمّ سوريّة دمشقيّة. وكان ترتيبه بين إخوته وأخواته الثالث والأربعين وترتيبه بين الذكور الحادي والعشرين من أبناء المقاول المشهور محمّد عوض بن لادن. وإن نسبه يمتدّ إلى الشاعر العربي المشهور امرئ القيس. ووالده قد وصل إلى جدة من حضرموت (اليمن) في حدود سنة ١٩٣٠ م ويذكر عنه أنّه كان قمة في المثابرة والاعتماد على النفس، ولم تمض سنون قليلة حتى تحوّل محمّد بن لادن من مجرّد حمال بسيط في مرفأ جدّة إلى أكبر مقاول إنشاءات في المملكة. إضافة إلى مثابرته فقد كان جريئاً حيث تمكن من خلال هذه الجرأة من إقناع الملك سعود

أنه الأقدر على المشاريع الصعبة وذات طابع التحدّي. وتمكن خلال فترة علاقاته بالملك من بناء علاقة جيدة بكبار العائلة الحاكمة بمن فيهم فيصل الذي كان أميراً آنذاك. وعندما حصل الخلاف المشهور بين فيصل وسعود كان من ضمن من أقنع الملك سعود بالتنحّي لصالح شقيقه الملك فيصل. وأمّن بن لادن رواتب كلّ موظّفي الدولة تقريباً لمدّة تقترب من ستة أشهر بعد مغادرة سعود حينما كانت الخزينة فارغة تماماً. ولردّ الجميل أصدر الملك فيصل مرسوماً بتحويل كلّ عقود الإنشاءات على محمّد بن لادن وكلّفه عمليّاً بوزارة الإنشاءات.

وفي سنة ١٩٦٩م تكفل محمّد بن لادن بإعادة بناء المسجد الأقصى بعد الحريق الذي تعرّض له. وكان قد ساهم في التوسعة السعوديّة الأولى للحرمين.

وكان محمّد بن لادن قد احتفظ بالكيس (القُفَّة) التي كان يستخدمها عندما كان حمّالاً وعلّقها في مجلس منزله للافتخار بمثابرته ولتذكير نفسه وأبنائه أنه كان امرأً بسيطاً قبل أن يصبح أكبرمقاول في المنطقة. وتُوفي محمّد بن لادن سنة ١٩٧٠م في حادث سقوط طائرة وكان له ٥٤ إبناً ما بين ولد وبنت. وكان عمر أسامة ثلاث عشرة أو ستَّ عشرة سنة. وكان أقوى شخص في العائلة بعد الأب هو الابن الأكبر سالم بن لادن.

وينقل بعض المؤلّفين(١) عن مصدر مقرَّب من أسامة أنه كان قبل وفاة أبيه ماجناً يقضي لياليه وأيّامه بالمجون والدعارة وشرب الخمور. فلما تُوفي والده تحوّل وتاب عن ذلك الوضع. إلّا أنّه تستبعد هذه الحكاية بناءً على أنّه كان من مواليد ١٩٥٧م، وقد مات أبوه عام ١٩٦٩م، فكان له من العمر حينذاك ١٢ سنة!

وكانت دراسته الابتدائيّة والثانويّة والجامعيّة في جدّة في علم الإدارة

---

(١) فوزي ربيع أحمد عطيّة، إمبراطورية بن لادن والعرش السعودي ص ٢٩ ـ ٣٥ القاهرة، الروائع للنشر والتوزيع ٢٠٠٢م.

العامّة. وخلال دراسته اطلع على أنشطة التيارات الإسلاميّة المشهورة وتعرَّف على كثير من الشخصيات الإسلاميّة. والتقى أسامة في فترة دراسته بالجامعة بجهيمان العتيبي. وهذا الرجل كان له الأثر الكبير في تغيير طريق الكثير من الأفراد. وكان هذا الجاويش من أتباع أبي الأعلى المودودي، الأب الروحي للجماعات الإسلاميّة بالمملكة العربيّة السعودية. بل إنه كتب الرسائل السبع التي تتضمّن تكفير المجتمع الفاسد والعمل على التحكيم بما في كتاب الله، وهي نفس الأفكار التي يتبعها بن لادن ويخططّ ليستشهد بها في أقواله ويرددها في كلّ بياناته التي يصدرها من مقره بأفغانستان.

وتقرّب أسامة من جماعة الإخوان المسلمين في السعودية. بل إنه أصبح في أقل من ثلاثة أشهر من قيادات تلك الجماعة[1].

بالإضافة إلى الجو المحافظ الذي نشأ فيه أسامة، كان محمّد بن لادن والد أسامة يستضيف أعداداً كبيرة من الحجّاج كلّ عام، كان بعضهم من الشخصيّات الإسلاميّة المعروفة، وقد استمرَّت هذه العادة على يد إخوان أسامة بعد وفاة والده ممّا ساعد في استمرار توفّر الفرصة له للاستفادة من بعض الشخصيّات المتميزة بين هؤلاء الضيوف.

لكن في الجامعة كان هناك شخصيتان لهما أثر متميّز في حياته هما الأستاذ محمّد قطب والشيخ عبد الله عزام، حيث كانت مادّة الثقافة الإسلاميّة إجباريّة لطلاب الجامعة.

بداية الجهاد:

بدأت علاقة أسامة بأفغانستان منذ الأسابيع الأولى للغزو الروسي لذلك البلد. فسافر مع الجماعة الإسلاميّة إلى باكستان وقابل هناك مجموعة من قيادات المجاهدين أمثال سياف ورباني وغيرهما ممن كان يحضر إلى مضافة والده في

---

(١) فوزي ربيع أحمد عطيّة، امبراطورية بن لادن والعرش السعودي، ص ٤٩.

الحج. وحمل كميّة من التبرعات إلى مجاهدي الأفغان. وكان يتردّد بين باكستان والسعوديّة إلى عام ١٩٨٢. وفي ذلك العام دخل أفغانستان للمشاركة في الجهاد وتكررت زياراته لأفغانستان.

وفي عام ١٩٨٤ ظهر أوّل نموذج لعمل مؤسَّسي لجهاد العرب في أفغانستان، وهو بيت الأنصار في بيشاور كمحطة لاستقبال القادمين للجهاد. وكانأسامة يرسلهم إلى الأحزاب الأفغانيّة. وتزامن تأسيس بيت الأنصار مع تأسيس مكتب الخدمات في بيشاور من قبل الشيخ عبد الله عزّام للمهمة الإعلاميّة وجمع التبرّعات. و هناك توثقت علاقة الشيخ عبدالله بأسامة.

وأمّا عبدالله عزّام فهو فلسطيني ولد عام ١٩٤١، إخوانيّ تعلّم في مصر، وكان من زملاء الشيخ أحمد ياسين الذي ظل يجاهد على الأرض الفلسطينيه[١]. لكنّ عبد الله غادر فلسطين في وقت كانت إسرائيل للتّو قد احتلت الأراضي العربيّة في سيناء والجولان فضلاً عن المناطق الفلسطينيّة والقدس في نكسة حزيران ١٩٦٧ م. فذهب إلى السعوديّة وعمل مدرّساً. وانتقل منها إلى أفغانستان في بداية الغزو السوفيتي لها وذهب إلى بيشاور وكابول وقندهار مدفوعاً بقوة لم تزل غامضة. ولم يكتف بالتوجه وحده إلى أبعد مكان عن قضيته، بل أوقف جهده وعمره لاستقطاب عشرات الآلاف من الشباب العربي إلى أفغانستان ليؤسّس بهم ما عرف لاحقاً بجماعات الأفغان العرب. ومات ودفن هناك ومعه اثنان من أبنائه هما (محمد وإبراهيم)، وذلك في حادث غامض بمدينة بيشاور عام ١٩٨٩. وقد وجّه بعض الأصوليّين أصابع الاتهام إلى أسامة بن لادن، وقيل إنه هو من دبّر هذا الحادث لأستاذه عزّام، وفسّروا الأمر بأنّ بن لادن اعتبر الرجل المنافس الوحيد في قيادة هؤلاء الكاميكاز العرب[٢].

وفي سنة ١٩٨٦ قرّر أسامة أن يتوسّع في تنظيم العمليّة الجهاديّة ويكون له

---

(١) وقد نال الشيخ أحمد ياسين وسام الشهادة في بداية عام ٢٠٠٤ على يد الغاصبين الصهاينة.
(٢) نبيل شرف الدين، بن لادن ص ٩٣،٩٤.

معسكراته وخطوط إمداده. ومنذ عام ١٩٨٦ إلى عام ١٩٨٩ دخل المجاهدون العرب في خمس معارك كبرى مع الروس، ومئات من المواجهات والمناوشات الصغيرة.

تأسيس القاعدة:

في نهاية الثمانينيَّات وبالتحديد في سنة ١٩٨٨، لاحظ أسامة أنّ حركة المجاهدين العرب، قدوماً وذهاباً والتحاقاً بالجبهات، بل وحتى كثرة الإصابات والقتل، قد ازدادت دون أن يكون لديه سجلّ عن هذه الحركة رغم أهمّيتها وكونها من ألف باء الترتيب العسكري، وكان نقص هذه المعلومات سبباً لإحراج أسامة في أحايين كثيرة مع بعض العائلات التي تسأل عن أبنائها بالهاتف أو حتى من خلال إرسال مندوب عنها للتعرف على مصير عضو العائلة الذي التحق بأسامة، الذي أحس أنّ نقص هذه المعلومات أمر مخجل، فضلاً عن أنّه خطأ إداري مبدئي. من هنا قرّر أسامة ترتيب سجلات للأخوة المجاهدين العرب. وأصبحت السجلّات مثل الإدارة المستقلّة. ولم يكن بُدٌّ من إطلاق اسم عليها لتعريفها داخليّاً، وهنا اتفق أسامة مع بعض أعوانه أن يسمّوها سجلّ (القاعدة) على أساس أنّ القاعدة تتضمّن كلّ التركيبة المؤلّفة من بيت الأنصار ومعسكرات التدريب والجبهات.

عودة إلى المملكة:

في عام ١٩٨٩ ميلادية، بعد انسحاب الاتّحاد السوفيتي من أفغانستان، عاد أسامة إلى المملكة. وبعد فترة من وصوله عرف أنه ممنوع من السفر. ولعلّ السبب أن المملكة عرفت ان الرجل استأنس مسألة الجهاد لذات الجهاد، خاصّة وأنه كان في محاضراته ينذر بخطورة النظام العراقي، وتنبّأ بأنه يستفزُّ دول الخليج في وقت كان النظام العراقي من أقوى أصدقاء المملكة. والملك فهد لم يعد من زيارة للعراق إلّا قبل فترة بسيطة. عندها وجهت إليه وزارة الداخليّة تحذيراً بعدم ممارسة أي نشاط علني، وأنه ربما يُعتقل أو يُوضع تحت الإقامة. وكان الأمير نايف

قد حرص على مقابلة أسامة حين بلغه تقرير عن محاضراته حول أطماع صدّام بعد أن أرسل رسالة للأمير أحمد بن عبدالعزيز عن طريق أحد إخوانه التي فيها التحذير من أطماع صدّام وضرورة الاستعداد لها.

وبعد غزو صدّام للكويت تحرّك أسامة بعدّة حركات، منها إرسال رسالة أخرى إلى الدولة اقترح فيها جلب المجاهدين العرب الذين يستمعون له للمساهمة في عمليّة الدّفاع عن المملكة. لكنّ المملكة لم تقبل اقتراح أسام، بل استدعت أميركا وحلفاءها إلى المملكة فاعتبر أسامة ذلك صدمة تاريخيّة للإسلام، حيث استولى الكفّار على الحرمين. فاتّجه أسامة إلى استصدار فتوى بوجوب الاستعداد للقتال. فاستجاب له الشيخ بن عثيمين فاستخدمها أسامة في تشجيع الشباب من جديد على الذهاب إلى أفغانستان والتدرب هناك. كما حاول أن يجمع عدداً كبيراً من العلماء في مؤسّسة شرعيّة مستقلّة غير مؤسّسة هيئة كبار العلماء حتى تكون مرجعاً للناس بعد أن تحوّلت الهيئة في نظره مجرَّد أداة بيد الدولة إثر استدعاء القوّات. لكنّ هذه المحاولة لم يحالفها النجاح.

وبعد فترة الحرب (عاصفة الصحراء) حاول أسامة الخروج من المملكة. وقد تمّ ذلك بواسطة أحد إخوته حيث أقنع وزير الداخليّة بأنّ لديه التزامات ماليّة وحقوقاً في أفغانستان لا يمكن أن يُحصِّلها إلّا بالذهاب إلى هناك بنفسه. فسمحت له المملكة بالخروج فذهب إلى باكستان ثمَّ استقرّ فترة في أفغانستان. وصادف وجوده هناك انهيار النظام الشيوعي وسقوط كابول وبداية التناحر بين الفصائل الأفغانية، فرفض الميل لأي جهة من الجهات كما حاول الإصلاح بينهم، ولكنه لم يحرز فائدة تذكر. وعرف هناك من طريق المخابرات الباكستانية بمحاولة السعوديّة لقتله أو اختطافه فاضطر للذهاب إلى السودان في نهاية ١٩٩١، حيث انتصرت دولة عمر البشير وأعلنت حرصها على تطبيق مشروع إسلامي. وأحسنت الحكومة السودانيّة وفادته. واستقر هناك وساهم في مشاريع طرق وإنشاءات ومزارع كان أشهرها طريق التحدّي من الخرطوم إلى بور سودان، حيث نقل

جزءاً من أرصدته ومعدّاته من المملكة إلى السودان وحاول السعوديّون إرجاعه إلى المملكة فلم يوافق.

وبدأ الاهتمام به بشكل ملحوظ نهاية سنة ١٩٩٢ حين صدر أمر بتجميد أمواله. بعدها تحوّلت قضيّة أسامة إلى قضية ساخنة على جدول أعمال المخابرات الأميركية. وأصبحت تثار بشكل منظّم بين الأميركان والسلطات السعوديّة. وبعدها قرَّرت الحكومة السعوديّة سحب جنسيّته بداية عام ١٩٩٤م.

تزامنت هذه التطوَّرات مع تطوّرات داخل المملكة، كان يتابعها أسامة بعناية وهي تتابع عدد من مذكرات مطالب الإصلاح من قبل التيار الإسلامي، والتي كان آخرها ما تزامنَ مع سحب الجنسية من تداعيات قضية لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية وحملة الاعتقالات على مؤسّسيها والمتعاطفين معها. وبعد أن أصدر بياناً ردَّ فيه على قرار سحب الجنسية تحرّك علناً بالتعاون مع الآخرين إلى إيجاد هيئة النصيحة والإصلاح، كتعويض عن اللجنة بعد أن قمعت. وظهرت اللّجنة في لندن.

وكان أسامة في فترة إقامته في السودان مقصداً لكثير من روّاد الحركة الإسلاميّة من جميع أنحاء العالم. وكان على صلة بكثير من زملائه القدامى في الجهاد.

وخلال إقامته في السودان حصل تطوّران هامان على صلةٍ به:

الأول: أحداث الصّومال واليمن.

والثاني: انفجار الرّياض. وكانت هذه الحوادث ضدَّ أمريكا دبّرها بعض من تدرّب في أفغانستان. وكان أسامة يفتخر بهذه العمليّات لكنه لايتبنّاها مباشرة بنفسه. وإنّما يعتبرها من دائرته العامّة.

وبعد ذلك تعرَّضت الحكومة السودانيّة لضغط شديد من أميركا ودول عربيّة لإخراج أسامة أو تسليمه، وتحمل السودانيّون الضغوط لأمدٍ غير كبير.

فبدأ السودانيون يضغطون على الأفغان العرب للخروج من السودان، فاضطر للخروج من السودان وذهب إلى أفغانستان في طائرة خاصّة حملته مع عدد من أنصاره. فاستقبله الشيخان يونس خالصي وحقّاني وكان ذلك قبل أنّ يستولي الطالبان على جلال آباد ومن ثمَّ على كابول.

ومنذ أن وصل إلى هناك بدأت الأحداث تتتابع مرّة أخرى بشكل دراماتيكي من انفجار الخُبَر، إلى استيلاء الطالبان على جلال آباد، إلى محاولة خطف لأسامة، إلى بيان الجهاد ضدَّ الأميركان الذي أصدره في نوفمبر ١٩٩٦.

وكان انفجار الخُبَر قد أودى بحياة عشرين من العسكريين الأمريكان وجرح مئات آخرين. وكان موقف أسامة تأييد انفجار الخُبَر مثل انفجار الرياض دون أن يتبناه. في المقابل حرصت السلطات السعوديّة على تركيب المسئولية على عناصر شيعة مدعومة من إيران. وذلك محاولة لمنع إضفاء مصداقية بن لادن. إلى أن ظهر من أحد المسئولين تصريح لوكالة الأنباء الفرنسيّة بعد أحداث كينيا وتنزانيا قائلاً: إنّ سبب قطع العلاقة بالطالبان هو ايواؤها للمطلوبين في انفجار الخُبَر من المجموعة المصاحبة لابن لادن.

بعد انفجار الخُبَر بفترة بسيطة أصدر أسامة بيانه الأوّل بعنوان إعلان الجهاد لإخراج الكفّار من جزيرة العرب. وممّا جاء فيه ان وضع الجزيرة بوجود القوات الكافرة هو وضع لم يمرّ على الجزيرة منذ عهد النبيّ ﷺ. وحاولت السعوديّة بعد ذلك إرجاعه أو اختطافه، ولكنها لم تفلح، فانتقل إلى قندهار معقل الطّالبان.

وفي تلك الفترة دخلت الطالبان كابول بلا معارك تقريباً. فتحولت الأوضاع لصالحهم وأصبحوا القوة الكبرى في أفغانستان رغم الاعتراف المحدود بها. وهناك التقى أسامة بالملا عمر قائد الطالبان ورحب الأخير به كضيف ومجاهد قاتل معهم في حرب أفغانستان، وطلب منه تخفيف الحملة الإعلاميّة ووافق أسامة على ذلك. وأول من اعترف بحكومة الطالبان الدولة السعوديّة بغية إحراجها للتعاون معها في قضية أسامة. كما دعت بعض قادة طالبان لأداء الحجّ لكنّهم لم

يتغيّر موقفهم في حماية بن لادن.

وفي تلك الفترة دخل بن لادن في حرب خلافات الطالبان مع الفصائل الأفغانيّة، بعد أن كان يتجنّب الدخول فيها. فأمر رجاله بالقتال مع الطالبان ضدّ قوّات دوستم، كما استصدر فتوى من طلبة العلم المرافقين له بأنّ قتال مسعود جهاد شرعي. والحال أن مسعود ودوستم أقنعا أتباعهما بأن الحرب عرقيّة وغير دينيّة، لأن الواقع انّ البشتون يريدون السيطرة على الأوزبك (أتباع دوستم) والطاجيك (أتباع مسعود). وفي صدّ هجوم المخالفين للطالبان لعبت كتائب أسامة دوراً بارزاً فإنهم كادوا ينهارون أمام هجمات دوستم ومسعود لولا وقوف أسامة وأتباعه دونهم عدّة مرّات ولذلك ارتفع سهمه عندهم.

قضيّة أخرى رفعت أسهمه عندهم هي تفريغه عدداً من الشباب المتخصّصين لمساعدة الطالبان في قضايا التخطيط والإدارة والتنمية الجديدة، لأن في المجموعة التي مع أسامة فريقاً من أساتذة الجامعات.

علماء طالبان مع بن لادن:

في نهاية عام ١٩٩٧ وبداية ١٩٩٨ قرّر أسامة أن يستعيد نشاطه. فبدأ أوّلاً مع علماء طالبان وباكستان، ونجح في استصدار فتوى من حوالي أربعين عالماً من علماء أفغانستان وباكستان تؤيد بيانه لإخراج القوّات الكافرة من جزيرة العرب. وكان هدفه تجييش علماء المسلمين ضدَّ الوجود الأمريكي في جزيرة العرب والحصول على غطاء شرعي له داخل أفغانستان لأنه قرّر إعادة التّحرّك إعلامياً ولايريد أن يصبح في موقف الضعيف مع ملّا عمر.

الجبهة الإسلاميّة العالميّة:

صادف هذا التطور ـ أو ربّما كان من أسبابه أو من نتائجه والله أعلم ـ تجمُّع عدد من قيادات الجماعات الإسلاميّة وخاصّة جماعة الجهاد المصريّة في أفغانستان. وتقاطر عدد كبير من الوفود من باكستان وكشمير على أسامة. إحدى

هذه القيادات تمكّنت من إقناع أسامة بتوسيع مفهوم الحرب ضدّ أميركا إلى قتال لها في كلّ مكان. وتوسّعت القناعة لتشمل بدلاً من مقاتلة أميركا قتل كلّ أميركي في سن القتال في كل زمان ومكان ومعهم اليهود. ومبررهم الشرعيّ هو أنّ الأمريكان يحتلّون بلادالمسلمين وكل أميركي يعتبر داعماً لاحتلال الجزيرة العربيّة، مضافاً إلى أنّ الأمريكان واليهود يقاتلون المسلمين في كلّ مكان وزمان ويستحلّون دم المدنيين من المسلمين، فإن قتل الأمريكان واليهود مشروع أيّاً كان الزمان والمكان.

والمبرّر السياسي هو أنّ أميركا أصحبت العدوّ الأوّل للإسلام، وصارت تتربّص بالمسلمين والجماعات الإسلاميّة الدوائر، ولم تعد هناك قوّة تنافسها، ولذا فإن من الضروري أن يشعر المسلمون أنّهم أعداء لأمريكا، وأن تتحوّل هذه القضية إلى قضيّة إسلاميّة أولى في كافّة أنحاء العالم.

تحوّلت القناعة إلى عمل، وذلك من خلال إصدار بيان الجبهة الإسلاميّة العالميّة في فبراير عام ١٩٩٨، والبيان الذي يدعو إلى قتل الأمريكان واليهود في كلّ مكان وزمان. وقَّع البيان مع بن لادِن عن جماعة الجهاد المصريّه أيمن الظواهري ورفاعي طه أحد مسئولي الجماعة الإسلاميّة المصريّة كما وقّعه رئيس أحد الفصائل الكشميرية وإحدى القيادات الباكستانيّة المشهورة.

خلاف أسامة مع ملّا عمر:

لم يكن ملّا عمر راضياً عن هذه النشاطات واعتبرها خرقاً للالتزام الأدبي الذي كان بينه وبين أسامة. وبرّر أسامة موقفه بتغيّر الظروف، وعرض فتوى العلماء الّتي استصدرها منهم ضدّ الأمريكان. فغضب الملّا عمر ولكنّه كتم غيظه. وبعده قام أسامة في ١٩٩٨ بعقد مؤتمر صحفي. وفي المؤتمر أشار إلى احتمال حدوث حوادث ضدَّ الأميركان.

وبعد تصريحات بن لادن، بينما كان الأميركان في حال ترقُّب في المنطقة

العربيّة والخليج، وافتهم الضربة في سفاراتهم في كينيا وتنزانيا حين نسفت السفارتين شاحنتان ممتلئتان بالمتفجّرات يوم السابع من أغسطس ١٩٩٨.

وعلى الرغم من أنّ القاعدة لم تعلن رسميّاً تحمّلها لمسئوليّة الانفجارات، بل صدر بيان من قبل ما يسمّى (بالجيش الإسلامي لتحرير المقدّسات) يعلن مسئوليته عنها، إلّا أنّ أصابع الاتهام توجّهت نحو أسامة. والبيان هاجم السياسة الأميركيّة وطالب بمغادرة القوّات الأميركيّة لجزيرة العرب، وطالب بإطلاق سراح الشيخ عمر عبدالرحمن (المصري) وإطلاق سراح الشيخين المعتقلين في المملكة السعوديّة آنذاك الشيخ سلمان والشيخ سفر الحوالي.

وإن نفى عن نفسه مسئولية الإنفجارات، إلّا أن الأميركان توصّلوا إلى أن بن لادن مسئول عنها ولذلك قاموا بعمليتهم المشهورة في ضرب السودان وأفغانستان. وبذلك نجحت الجماعات الإسلاميّة في استدراج أميريكا لوقوفها موقف العداء الأكثر علنية ضدَّ المسلمين، ممّا أدّى إلى تجييش الرأي العامّ الإسلامي ضد أميركا وإثبات ندية هذه الجماعات لتلك القوة العظمى. وهذا ما يبرّر التّطوّع الطويل المدى ضدّ أميركا. مثل ما استدرجت أميركا صدّاماً لاحتلال الكويت وأعطت إشارات سياسيّة وعسكرية تشجعه على دخول الكويت من أجل أن تبرر إنزال وبقاء قواتها وهيمنتها على المنطقة.

وضرْبُ أميركا لأفغانستان دفع الملّا عمر إلى أن يقسم وقتها بأن يدافع عن ابن لادن، ولو اجتمعت على حرب طالبان دول العالم. كما أعلن زعيم المجاهدين الباكستانيين في كشمير الذي كان معظم الضحايا من أتباعه، على الملأ في مؤتمر صحفي أنّه يعلن الحرب على أميركا إضافة إلى الهند.

والطريقة التي عرض بها الأميركان الضربة اعلاميّاً ورسميّاً كانت هي الطريقة التي استهدفت من أجلها الجماعات الجهادية، وهيإظهار تلك الجماعات وبن لادن خصوصاً كخصم وندٍّ حقيقي لأميركا وكقوة استطاعت أن تجبر أميركا على التّصرف بارتباك وتخبّط. وأصبح بعد ذلك بن لادن البعبع الأوّل لأميركا

حسب تصريحات الرئيس الأميركي وغيره من المسئولين الأمريكان. وهذا ممّا رفع معنويّات أتباع بن لادن وأشعرهم كما لو كانوا قوّة عظمى في مواجهة أميركا. ثم إن سياسة أميركا اشعلت لهيب الرأي العامّ الإسلامي لصالح بن لادن فخرجت المظاهرات العارمة بصور بن لادن في باكستان والمشرق الإسلامي، تجاوز الناس مجرد الإعجاب إلى اعتباره قائداً ومخلّصاً للأمّة الإسلاميّة من هيمنة الأمريكان.

وضربة أميركا لأفغانستان تزامنت مع دخول الأفغان العرب الذين يتبع معظمهم بن لادن مع طالبان في معركتهم ضدَّ دوستم في شمال أفغانستان. وكان لهم دور كبير في القضاء الكامل على دوستم بعد أن كان الهجوم الأوّل من قبل طالبان لوحدهم غير موفق. وهذا ممّا شدّ في عزم طالبان على حماية بن لادن. لذلك ردوا مقترحات أميركا في تسليمه بكلّ صلابة.

وكان لأمريكا خيار آخر غير حرب أفغانستان والسودان، لو كانوا فعلوه لكان بصالحهم وبضرر القاعدة، وهو الصبر والتحمل وتضخيم صورة الأبرياء الذين قتلوا في انفجاري كينيا وتنزانيا وخاصّة المسلمين منهم، واظهار بن لادن والجهاديين على كونهم متعطشين للدماء بين المسلمين أنفسهم، لا يهمهم حتى قتل أبناء جلدتهم من أبرياء المسلمين. ولربما كان هناك لدى الأمريكان فرصة للاستفادة القصوى من المؤسّسات الدينيّة في مصر والمملكة لتشويه صورة هذه الجماعات من خلال ربطها بقتل العشرات من المسلمين والأبرياء فقط لأجل قتل بضعة أميركيين، وإظهار تلك الجماعات بأنّهم لايلتزمون الشرع. ولو أخذ الأمريكان بهذا الخيار لأصبح بن لادن وجماعته في وضع حرج مع الشعوب ومع الطالبان. لأن ذلك العمل الذي يستطيع الأمريكان التشكيك في شرعيته إسلامياً يقضي على جزء كبير من شعبيّة تلك الجماعة ويظهر أميركا على أنّها مظلومة.

ولأجل تجهيل الشعب الأميركي ولكي لاتظهر أميركا عاجزةً في حرب الإرهاب ومتابعة بن لادن، شرعت في حملة اعتقالات لبعض العرب والمسلمين

بحجّة علاقتهم ببن لادن. وأمّا بن لادن فقد بقي يتمتع بحماية الطالبان في أفغانستان. وحاولت السعوديّة استرجاع بن لادن من طريق ايفاد تركي الفيصل الأمير الخبير بأفغانستان إلى دولة الطالبان، لكنه لم يفلح بإرجاعه لإصرار الملّا عمر بعدم الحنث بقسمه تجاه بن لادن.

وعقب ذلك قامت الحكومة السعوديّة بطرد ممثّل طالبان. واعترف مسئول سعودي بأن انفجار الخُبَر كان من عمل بن لادن، وحيث لم توافق الطالبان على تسليمه قامت المملكة بطرد ممثل الطالبان.

ولقد تعزّز موقع بن لادن عند الطالبان أكثر فأكثر حينما قامت جماعته بحماية كابول أمام هجوم شاه مسعود عند انشغال الطالبان بجبهات باميان حيث الشيعة، والشمال حيث دوستم. وبدأ مسعود من ذلك الحين يطلق التصريحات ضدَّ بن لادن بينما كان يتجاهله في الماضي.

حصار طالبان:

بعد أن يئس الأمريكان والسعوديّون من استجابة الطالبان للضغوط الدبلوماسيّة، تقرّر استخدام كلّ الوسائل الممكنة ومنها فرض الحصار على طالبان إلى أن تسلم بن لادن. وقد وافق مجلس الأمن على ذلك القرار تحت ضغوط ونفوذ أميركا. لكنّ الطالبان امتنعت أشدّ الامتناع من تسليم بن لادن[١].

أحداث ١١ سبتامبر:

ثمَّ جاءت أحداث الثلثاء يوم الحادي عشر من أيلول سبتامبر عام٢٠٠١، حيث دكّت المعاقل السّياسيّةُ والنظاميّة والاقتصاديّة لأميركا، وضرب أكبر رموز القوة الأمريكيّة (المال: مركز التجارة العالمي)، والمخابرات (عدم كشفها للعمليّة، وأيضاً يتردد أن الـ C I A كانت تحتل ٥ طوابق في مبنى مركزالتجارة العالمي)،

---

(١) ماذكرناه من سيرة بن لادن استفدناه ملخّصاً من كتاب (بن لادن، طالبان... الأفغان العرب والأمميّة الأصوليّة) نبيل شرف الدين ص ٢٤ ـ ٧٦.

العسكريّة (البنتاجون)، حيث راح ضحيَّة تلك العمليّات حوالي سبعة آلاف أميركي.

ولكن من هو وراء تلك الأحداث؟ ومن هم صانعوا تلك الإنفجارات ؟ هذا هو ما اكتنفه الغموض، وإلى الآن لم يتبيّن بالضبط والتحقيق من هم أولئك.

أهُمْ أجنحة أميركيّة داخليّة صنعوا تلك الأحداث لمآرب سياسيّة داخليّة؟ أم هم عوامل الشركات المنتجة للأسلحة لإشعال نيران الحروب وصنع أسواق حارّة لبيع منتوجاتهم المدمّرة ؟

أَمْ هي أصابع الصهاينة حيث تغيّب خمسة آلاف يهودي في يوم الحادث لأسباب غير معروفه ؟

أم هي القاعدة وأتباع بن لادن الذين صنعوا تلك الأحداث ؟ وهذا هو الذي تطبّل له الولايات المتحدة الأميركيّة وتنفخ في كيره ليل نهار، واستغلّت الحادث للحضور المباشر والعسكري الشامل بمساعدة حليفتها بريطانيا في أفغانستان، حيث عاثت في الأرض الفساد وأهلكت الحرث والنّسل، وأطاحت بحكومة الطالبان بغية التفتيش عن بن لادن الذي لم تتمكّن أو لم ترد القضاء عليه لحدّ الآن، لأنّها غير مستغنية عن وجوده كذريعة لحضورها العسكري في أفغانستان والخليج الفارسي والعراق وباقي البلدان الإسلاميّة والعربيّة.

موقف بن لادن من أحداث ١١ سبتامبر:

أمّا بن لادن فهو كالمعتاد وقف إزاء تلك الأحداث موقف المؤيّد والرّاضي وإن لم يبح بكلمة يتحمل مسئوليّة تلك الأحداث رسمياً. وفي ما يأتي مقتطفات من الكلمة التي وجّهها أسامة بن لادن عبر قناة (الجزيرة) الفضائيّة إثر بدء الضربات الأمريكيّة لأفغانستان يوم ٧/ ١٠ / ٢٠٠١.

(هذه أمريكا أصابها الله في مقتل من مقاتلها، فدمَّر أعظم مبانيها، فللّه الحمد والمنّة. ها هي أمريكا امتلأت رعباً من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها،

فللّه الحمد والمنّة.

ما تذوقه أمريكا اليوم هو شيء يسير ممّا ذقناه منذ عشرات السنين. أمّتنا منذ بضع وثمانين سنة تذوق هذا الذل، وتذوق هذه المهانة، فيقتل أبناؤنا وتسفك دماؤنا ويُعتدى على مقدّساتها وتقتل بغير ما أنزل الله ولا سامع ولا مجيب.

فلمّا وفق الله كوكبة من كواكب الإسلام، وطليعة من طلائع الإسلام فدمروا أمريكا تدميراً، أرجو الله أن يرفع قدرهم وأن يرزقهم الفردوس الأعلى. فلمّا ردّ هؤلاء على أبنائهم المستضعفين وإخوانهم وأخواتهم في فلسطين وكثير من بلاد الإسلام، صاح العالم بأسره وصاح الكفر وتبعه النفاق.

الأطفال الأبرياء يُقتلون إلى هذه اللحظة. يُقتلون في العراق بلا ذنب ولا نسمع منكر ولا نسمع خطوة (...) وفي هذه الأيّام تدخل الدَّبابات الإسرائيليّة لتعيث في فلسطين فساداً في جنين ورام الله ورفح وبيت حانون وغيرها من أرض الإسلام، ولا نسمع من يرفع الصوت أو يحرّك ساكناً. فإذا جاء السيف بعد ثمانين سنة على أمريكا، ظهروا واشرأبّ النفاق برأسه وتحسَّروا على هؤلاء القتلى الذين عبثوا بدماء المسلمين، وأعراضهم ومقدساتهم، وأقلّ مايقال فيهم أنّهم فسقة اتبعوا الباطل ونصروا الجزّار على الضحيّة والظالم على الطفل البريء. فغضب الله عليهم وأراهم الله مايستحقون.

إنّ الأمر واضح وجلي بعد هذا الحدث، وبعدما تحدّث كبار المسئولين في الولايات المتّحدة ابتداءً برأس الكفر العالمي (جورج بوش) ومن معه، وقدخرجوا برجالهم وبخيلهم (...) ليحاربوا الإسلام باسم الإرهاب.

شعب في أقصى الأرض في اليابان قتل منهم مئات الألوف صغاراً وكباراً فهذه ليست جريمة، فهذة مسألة فيها نظر، يقتلون في العراق مسألة فيها نظر. أمّا عندما قتل منهم بضعة عشر في نيروبي ودار السلام قصفت أفغانستان وقصف العراق ووقف النفاق بأسره خلف رأس الكفر العالمي، خلف هُبَل العصر أمريكا

ومن معها، إنّ هذه الأحداث قد قسمت العالم بأسره إلى فسطاطين، فسطاط الكفر وفسطاط الإيمان (...) على كلّ مسلم أن يهبّ لنصرة دينه. فقد هبّت رياح الإيمان وهبّت رياح التغيير لإزالة الباطل (...).

أما أمريكا فأقول لها وشعبها كلمات معدودة: أقسم بالله العظيم الذي رفع السماء بلاعمد، لن تحلم أمريكا ولا من يعيش في أمريكا بالأمن قبل أن نعيشه واقعاً في فلسطين، وقبل أن نخرج كلّ الجيوش الكافرة من أرض محمّد ﷺ، والله أكبر والعزّ للإسلام)[1].

علاقة بن لادن بأمريكا والدّولة السعوديّة:

من القضايا العائمة حول بن لادن علاقته بالمخابرات الأميركيّة والسعوديّة ودور تلك المخابرات في صنعه وطرحه إلى ساحة الاجتماع الدّولي. ومنشأ الشبهة أنّ حضور أسامة في قضيّة حرب الأفغان ضدّ المحتلّين السوفيت يعتبر باكورة حضوره السياسي والعسكري خاصّة خارج حدود المملكة. وكان ذلك الحضور في طريق أهداف أميركا والسعوديّة ودولة باكستان. فإنّ المصالح السياسيّة والاقتصاديّة كانت تلزم تلك الدّول بدعم الأحزاب الأفغانيّة المناضلة ضدّ الاحتلال السوفيتي ودعم كلّ من يمشي في ذلك المسير. وأسامة كان من أبرز السائرين، فلا بدّ وأن يكون قد حظي بذلك الدّعم السياسي والعسكري شاء أم أبى. ولكن يا ترى هل كانت تلك الخطوة متقصّدة ومعلومة لدى أسامة وأضرابه أم كانت بصيغة أخرى ؟

يظهر من بعض المحلّلين أنّها كانت معلومة ومقصودة لديه، وكان حضوره يعتبر تمثيلاً رسميّاً أو شبه رسميّ للسلطات السعوديّة كما نسب الاعتراف إليه في لقاء صحفي نشرته جريدة فرانس سوار في ابريل ١٩٩٥ أنّه قال: (إنّ السعوديّين

---

(١) د. رفعت السيّد أحمد، قرآن... وسيف من ملفات الإسلام السياسي ص ٢٤٥، ٢٤٦ ط القاهرة مكتبة مدبولي ٢٠٠٢.

قد اختاروني ممثّلاً لهم في أفغانستان)[١].

كما يظهر من بعض المحللين الإصرار على نفي العلاقة بين أمريكا وحتى السّعوديّة وبن لادن. يقول نبيل شرف الدين: (إنّ ممّا يعتقد أو يزعمه الكثير أن ابن لادن لايرتبط ولم يرتبط بأي علاقة خاصّة على المستوى الشخصي مع آل سعود. كلّ ما حصل من اتّصالات في الماضي بما فيها الاتصالات أيام الجهاد وخلال أزمة الخليج تمّ عن طريق إخوانه. كان لإخوانه علاقة خاصة مع أحمد بن عبد العزيز وعبدالرحمن بن عبدالعزيز. كما كان هناك علاقة لا بأس بها مع الملك فهد وعبد الله وسلطان وأمراء مكة الذين تعاقبوا عليها. لربما قابل أسامة بعض الأمراء في لقاء عارض أو في أحد بيوت اخوانه، لكن بالتأكيد لم تكن هناك علاقة خاصّه. واما ما أشيع إلى درجة أن أصبح مسلماً به أنّ له علاقة خاصّة تنسيقاً مع تركي الفيصل، لأن الأخير كان مهتماً بأفغانستان، فهذا ليس له أصل. بل إنه غالباً ما كان مرتاباً من الدور الذي يمارسه تركي الفيصل في أفغانستان. وفي المرّة الوحيدة التي قابله فيها حصل بينهما مواجهة كلامية اتهم فيها أسامة تركي بلعب دور مشبوه أيام الحرب بين الأحزاب واعتبره مكلفاً من الحكومة السعوديّة لإطالة أمر الخلاف بين المجاهدين.

أمّا بالنسبة لأخوانه فقد تشعبت العلاقة جدّاً مع آل سعود بسبب الشراكة التجاريّة مع كثير من الأمراء. ولايزال الملك وكبار الأمراء شركاء في عدد من شركات بن لادن. لكنّ آل سعود حرصوا على إبقاء العلاقة مع العائلة كخط اتصال مع أسامة ربما يحتاجونه كما حصل بعد انفجاري كينيا وتنزانيا)[٢].

---

(١) بن لادن حقيقت ممنوع ص ٩٠ الترجمة الفارسيّة لكتاب:

by Ben Laden: La Verite interaite by Iean _ Charles Brisard et Gupillam Dasque

نقلاً عن مقالة: بن لادن الملياردر الشيطاني في مجلة:

Le Point، No 1513 14 Septembere 2001.

(٢) نبيل شرف الدين، بن لادن، ص ٨٥، ٨٦.

وقال في شأن علاقته بأمريكا: (انه لم يكن لابن لادن أيّ علاقة مع الأمريكان بل كانت العلاقة علاقة عداء. لكنّ الأمريكان لم يخطر ببالهم أن يصبح بن لادن مشكلة لهم في يوم من الأيام)[1].

ولكنّ الواقع الذي لايمكن الارتياب فيه ـ بعد تسليم عداء أسامة المسبق لأميركا والنظام السعودي وعدم وجود العلاقة مباشرة بين الطّرفين ـ أنّ الدعم الأميركي والسعودي والباكستاني للتيارات المسمّاة بالأصوليّة السّلفيّة له السهم الأوفر في نموّ واتّساع تلك التّيارات في تلك الآونة (الثمانينيَّات) من حيث يشعرون أو لايشعرون. والدّافع لذلك الدعم يرجع إلى ثلاثة محاور:

أ ـ الزّج بأفراد التّيارات المذكورة في المعارك الأفغانيّة حتّى يصدّ الوجود السوفيتي في أفغانستان بهم، ويحال دون امتداده إلى مياه بحر عمان والخليج الفارسي، حتى تتم السّيطرة الأميركيّة على تلك المناطق بلا أيّ منافس. ومن ثمّ يتسنّى للأنظمة العميلة لأميركا كالسعوديّة وباكستان الوصول إلى الأهداف السياسيّة والاقتصاديّة المشتركة تحت ظلال الوجود الأمريكي.

ب ـ محاصرة المدّ الثّوري الإسلامي المتدفّق من إيران الإسلاميّة حتّى لا يتسرّب إلى البلدان المسلمة المجاورة وغير المجاورة، لأن ذلك التّسرّب كان يعدّ صفير إنذار للقضاء على الاستعمار الأميركي الطاغي بعد يقظة الشّعوب وقيامها بالحركات التحرّرية.

وأفضل طريق وجدوه لضرب ذلك المدّ الإسلامي التّركيز على تشيّعه من أجل تنفير النفوس المتعصّبة بالمخالفة لذلك المذهب، وطرح تيّارات إسلاميّة سلفيّة تعتبر بديلاً لذلك التّيار الإسلامي، ولكن بصورة مبرمجة يمكن إدارتها وتيسيرها حسب ما يرام ونزع سلاحها متى ما شاؤوا.

ج ـ إلهاء التيارات الإسلاميّة عن المواجهة للكيان الصهيوني المحتلّ لأرض

---

(١) نبيل شرف الدين، بن لادن، ص ٨٧.

الإسلام والقدس الشريف كعدوّ لدود بانشغالها بمواجهة الأعداء الآخرين الواقعيّة كالاحتلال السوفيتي لأفغانستان الدّاعي إلى الشيوعيّة، أو الأعداء الخياليّة كالتشيّع المطروح على السّاحة متزامناً مع اندلاع الثورة الإسلاميّة من إيران.، خاصّة وأن شعار الوحدة الإسلاميّة الذي اطلقته تلك الثورة في مواجهة الاستكبار العالمي الشرقي والغربي وعلى رأسهم أميركا والصهاينة، كان الشّعار المحبّب والمطلوب لدى التيارات الإسلاميّة. الأمر الذي يمكن أن ينضوي تحته جميع البلدان المسلمة بشتّى قطاعاتها وطوائفها ومذاهبها لتحرير القدس وفلسطين المغصوبة من براثن الغاصبين.

هذا ولكنّ القضاء على الاحتلال السوفيتي وانتهاء أمر تواجد التيارات الإسلاميّة في مواجهة ذلك الاحتلال، ثمّ تلاشى القطب الشيوعي بعد ذلك بانهيار الاتحاد السوفيتي، وفراغ تلك التيارات من هذه الناحية من جانب، وتدرّب أفرادها على السلاح وتعوّدهم على الجهاد من جانب آخر، جعلهم يفكّرون بمواجهة الأعداء الواقعيّن للإسلام وهم الأميركان والصهاينة، خاصّة بعد الحضور المباشر الأميركي في الخليج بذريعة صدّ العدوان الصدامي عن الكويت والمملكة السعوديّة، وبعد قمع الانتفاضة الإسلاميّة على أيدي الصهاينة، وبعد طرح العولمة والنظام الجديد العالمي الموحّد المتمثّل بالوجود الأميركي المتغطرس الساخر بكل القيم الإلهيّة والدّاعي إلى العلمانيّة الغربيّة والمحارب لكل أنواع الأصوليّة الإسلاميّة من السنّيّة والشيعيّة.

وهذا الاتّجاه الثوري المضاد للأمريكان الذي ظهر من التيارات الإسلاميّة لربّما لم يكن في حسبان المنظّرين الأمريكيين ومن لفّ لفهم من بعض الحكومات المسلمة حينما كانوا متّجهين إلى دعم تلك التّيارات إبّان الجهاد الأفغاني ضدَّ الرّوس وبعد انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران.

ومنشأ الخطأ والارتباك في حساباتهم يكمن في قياسهم لتلك التيارات مع المؤسّسات الدينيّة الموظّفة عند بعض الدّول الإسلاميّة مثل هيئة كبار العلماء

ولجنة الدعوة والإرشاد في المملكة السعوديّة، وجامع الأزهر في مصر. والحال أنّ بين الصنفين بوناً بعيداً.

وبعد قيام بعض التيارات الإسلاميّة بمهاجمة بعض السّفارات الأمريكيّة في التسعينيَّات، فتحت الاستخبارات التابعة لها ملفّاً جديداً باسم محاربة الإرهاب. وقامت بعمليّات عسكريّة هنا وهناك بصورة مرتبكة فضربت بعض البلدان الاسلاميّة بذريعة معاقبة القاعدة أتباع بن لادن، ممّا فجّر الأوضاع وألهب الرّأي العامّ الإسلامي عداءً ضدّ الوجود الأمريكي والغربي على الإطلاق، حتّى فلت من لسان جورج بوش التصريح بتجديد الحروب الصليبيّة ضدّ الإسلام بعد أحداث ١١ سبتامبر ٢٠٠١، فاحتلّت أميركا أفغانستان وأطاحت بالطالبان ثمَّ احتلت العراق وأطاحت بنظام صدّام...

من الرّابح ومن الخاسر في معركة الإرهاب ؟

لكلّ معركة رابح وخاسر. ولا شكّ أنّ الرّابح الحقيقي في المعركة الّتي تدور بين الإيمان والكفر هو المؤمن المجاهد الذي يجاهد في سبيل الله في ضوء الضوابط الشرعيّة لأنه ينال إحدى الحسنيين، إمّا الفوز الظّاهري العاجل في الدنيا بدحر قوى الكفر وسيطرة قوى الإيمان، وإمّا الفوز الأخروي أي الحصول على الشّهادة في سبيل الله، وإن أُهين وأسر وعذّب وقطّعت أوصاله وسفكت مهجته. كما لا ريب في أنّ الكافر المحارب للمؤمن هو الخاسر القطعي، وإن تسنّى له الظّفر في ظاهر هذه الدنيا الفانية أياماً أو سنوات، لأنّ مصيره إلى النّار وبئس المصير. ولاشكّ أنّ هذه المعادلة تجري وتصدق في ما لو كان أحد الطّرفين واجداً لمواصفات الإيمان وأن طريقه حقّ وعمله صادر عن حجّة شرعيّة. وامّا غير الواجد لتلك المواصفات فلا يحظى بذلك الفوز الحقيقي، وإن ادّعى الإيمان وعمل بما يشبه عمل المؤمنين من التضحيّة والفداء. وعندئذ لم تُدر الحرب بين الكفر والإيمان، بل بين الكفر والنفاق أو الجهل من أجل أهداف دنيويّة رخيصة أو أهداف تخيّليّة لا تمت إلى الإيمان بشيء.

هذا كلّه نظراً إلى إدخال العاقبة الأخرويّة في الحساب. ولكن بغضّ النظر عن ذلك، وأخذ المعايير الظاهريّة السّياسيّة والاجتماعيّة في الحياة الدنيا بعين الاعتبار فلا يلازم الإيمان الفوزُ ولا الكفرَ الفشلُ.

وعلى هذا الأساس، إذا نظرنا إلى المعركة الدّائرة بين القوّة الأمريكيّة وتنظيم القاعدة يمكن الحكم في تعيين الفائز والخاسر منهما على هذا النحو:

إنّ أميركا حصلت على إنجازات كبيرة منها:

١ـ الحصول على ذريعة لمواجهة الإسلام والمسلمين.

٢ـ قصف وتدمير أفغانستان والقضاء على الآلاف من الأبرياء المسلمين واحتلال ذلك البلد المسلم.

٣ـ الإطاحة بنظام الطالبان وإحلال نظام عميل.

٤ـ إيقاع الضربات بتنظيم القاعدة وأسر بعض أتباعها وتشريد البعض الآخر.

٥ـ احتلال العراق وسفك دماء مئات من المسلمين والسطيرة على ثروات ذلك البلدو نفطه وجميع مقدّراته.

٦ـ إطلاق التهديدات الجديدة على إيران الإسلاميّة بذريعة احتمال مساعدتها لعناصر القاعدة مضافاً إلى ذريعة الملفّ النّووي.

٧ـ فرض الأطروحات الأميركيّة لمكافحة الدين والثقافة الإسلاميّة في البلدان المسلمة تحت غطاء الإصلاحات.

٨ ـ إقناع الرّأي العامّ الأمريكي بضرورة الهجمات الشّرسة ضدَّ البلدان الإسلامية.

٩ـ خلق أجواء واقية للكيان الصهيوني وإعطاء الفرصة له في قمع الانتفاضة الفلسطينيّة والقضاء على قادتها أكثر فأكثر.

١٠ـ إيجاد فرص للشركات المنتجة للأسلحة وتفريغ ترسانات البنتاجون وتحريك عجلة صناعة الأسلحة الجديدة.

١١ـ بثّ التفرقة والشقاق بين الدول والشعوب المسلمة ...

كما تكبّدت أميركا خسائر جسيمة منها:

١٢ـ افتقاد الثقة والمصداقيّة في الرّأي العامّ الإسلامي.

١٣ـ افتقاد الثقة والاعتماد من الأنظمة العميلة لها.

١٤ـ تحمّل بعض الخسائر الإنسانيّة.

١٥ـ تحمّل بعض الخسائر الاقتصاديّة.

وأمّا القاعدة فقد حازت على:

أ ـ الرّأي العامّ الإسلامي والتّعاطف الشديد بين المسلمين.

ب ـ تصعيد حالة البغضاء والعداء بالنسبة إلى أميركا بين المسلمين.

وأمّا الخسائر التي منيت بها القاعدة فكثيرة منها:

١ـ تلاشي معظم تنظيمها في أفغانستان.

٢ـ القضاء على بعض أفرادها ووقوع بعضهم أسرى لدى العدو.

٣ـ تذمّر الحكومات الإسلاميّة وتبرّؤها من القاعدة وعدم استعداد أيّ حكومة لمناصرتها.

٤ـ وقوع قادة القاعدة على حافة الخطر من القتل أو الأسر.

ومن هذا يتبيّن لنا أنّ الخاسر في هذه المعركة هو القاعدة والفائز هو العدو. ولا شكّ أنّ وقوع القاعدة في هذا المأزق ناشئ عن الأخطاء الكبيرة الّتي وقعت فيها منها:

أ ـ عدم التنسيق مع التيارات الإسلاميّة الأخرى.

ب ـ التّطرّف في إصدار فتوى قتل الأمريكيين مدنيين وعسكريّين في أيّ مكان وزمان، حيث لا تستند إلى حجَّة شرعيّة، وفقدت بذلك حماية العلماء والمفكّرين.

ج ـ التطبيل لنظام الطالبان الذي لم يفعل إلّا إعطاء صورة سلبيّة ومشوّهة عن الإسلام في العالم ملؤها الخرافة أو التقوقع والجمود.

د ـ شنّ الخلافات التاريخيّة بين الشيعة والسّنّة.

هـ ـ الإستفادة من العناصر المتطرّفة والمتعطّشة لسفك الدّماء بلا حجّة

شرعيّة.

و ـ إعطاء صورة قاسية وعنيفة غير منطقيّة للإسلام في العمليّات الإرهابيّة حيث يُقضى على الأبرياء ويُذبح الأشخاص وتعرض عمليّة الذبح من شاشة الفضائيات وعبر الانترنيت، ممّا يصعد العداء بين غير المسلمين والمسلمين، ويبرّر مواقف القادة الأمريكيّين في القضاء على المسلمين وتعذيبهم مقابلة بالمثل.

ز ـ الالتهاء عن مواجهة إسرائيل والانشغال بعمليّات لا تكون ضاربة للوجود الأمريكي.

ح ـ إعطاء الذريعة للعدوّ الأمريكي في قصف البلدان الإسلاميّة واحتلالها وتهديدها.

عمليّات القاعدة في العراق ودور الزرقاوي:

من المعروف أنّ القاعدة قد تعاملت مع صدّام حسين في سنواته الأخيرة خاصّة بعد أحداث ١١ ايلول، فدخلت العراق وبدأت تتحرّك بنشاط تحت عنوان السلفيّة، كما أكّدت المعلومات أنّ السلفيين هناك أصبح لهم نشاط واسع من بناء مساجد كبيرة وتسميتها بأسماء رموز الوهّابيّة كشيخ الإسلام ابن تيميّة ومن لفّ لفّه، والتظاهر بنشاطات مكثّفة ثقافيّة وإعلاميّة. وقد أسفرت تلك المعاملات عن اتّحاد غير معلن بعد سقوط صدّام مع فلول نظام البعث في إجراء عمليّات عسكريّة وإرهابيّة من تفجيرات بواسطة زرع العبوات الناسفة وإرسال السيّارات المفخّخة وكذلك العمليَّات الإنتحاريّة. وما كان هدفها منحصراً بضرب القوّات الأميركيّة المحتلّة، بل ضرب الجماهير المسلمة الّتي يشكّل غالبيّتهم الشيعة والموالون لأهل البيت عليهم السلام، وكذلك رموزهم من علماء دين وقادة جهاديّين قضوا أعمارهم في الجهاد الطويل ضدّ النظام البعثي الغاشم. وكذلك طالت تلك العمليّات شرطة العراق والحرس الوطني اللّذان تشكّلا بعد سقوط صدّام.

وأهمُّ تلك العمليّات اغتيال المجاهد الشهيد المظلوم آية الله السيّد محمّد

باقر الحكيم وما يقرب عن مئة من المقيمين لصلاة الجمعة في صحن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد انتشارهم منها يوم ١ رجب عام ١٤٢٤هـ. وكذلك المجازر الّتي صنعتها العمليّات الانتحاريّة والهجمات بالهاون يوم عاشوراء في الجموع المحتشدة التي خرجت لإظهار العزاء لمظلوميّة سبط رسول الله أبي عبد الله الحسين عليه السلام في كربلاء والكاظمين التي راح ضحيّتها المئات من الرجال والنّساء والأطفال، والقضاء على حوالي ألف من الجماهير الزائرة لحرم الإمام موسى بن جعفر على جسر الأئمّة في الكاظميّة، وتدمير حرم الإمامين العسكريّين...

والمتّهم الرئيسيّ لتلك العمليّات هو القاعدة وقد صدر بيان مؤخّراً من قبل جماعة باسم التوحيد والجهاد تحمّلت مسئوليّة تلك الاغتيالات خاصّة اغتيال الشهيد آية الله السيّد الحكيم.

كما أنّ ممثل القاعدة في العراق أبومصعب الزّرقاوي في رسالته التي وجّهها إلى أسامة بن لادن وأيمن الظواهري عبر الإنترنت ركّز على مخطّطاتهم في شنّ الحرب على الشيعة، وإشعال فتيل النار الطائفيّة بين السّنّة والشّيعة والقضاء على رموزهم. وماجرى في السّنوات الأخيرة في ساحة العراق وراح ضحيّته حوالي ثلاثمئة ألف من الشعب العراقي إنّما هو تطبيق عملي لمفاد تلك الرّسالة.

رسالة الزرقاوي إلى بن لادن والظواهري يشرح فيها وضع العراق:

بعد التحيّة اليهما وشرح الوضع الرّاهن في العراق بعد سقوط صدّام واحتلال الأمريكيين للبلاد يقول: (فبدأت عمليّات الإخوة المجاهدين من اللحظة الأولى ممّا جعل الأمور مختلطة نوعاً ما. ثمَّ تعالت وتيرة العمليّات وكان ذلك في المثلّث السنّي ـ إن صحت التسمية ـ ممّا جعل الأمريكان يضطرون إلى عقد صفقة مع الرافضة شرّ الورى. وقد تمّت الصفقة على أن يحوز الرافضة ثلثي الغنيمة في سبيل الوقوف في وجه المجاهدين).

وبعد ذلك شرح التركيبة العراقيّة بقوله: (العراق في الجملة فسيفساء

سياسيّة وخلطة عرقيّة وتباينات مذهبيّة طائفيّة متناثرة لا تنقاد إلّا لسلطة مركزيّة قويّة وسلطان قاهر بدءا من زياد بن أبيه وانتهاءً بصدّام. والمستقبل على خيارات صعبة فهي أرض متاعب جمّة ...).

ثم بدأ بالإشارة إلى تركيبة الأكراد والرافضة وأهل السّنة.

فوصف الأكراد بأنّهم أعطوا صفقة أيديهم للأمريكان، وفتحوا أرضهم لليهود. وإن أهل الخير فيهم على قلتهم المستضعفون.

وأمّا تحليله حول الرافضة فقد بدأت شرارات نار الحقد والضغينة تخرج من فم رسالته بما لا يمكن وصفها. حيث كال لهم أنواع الشّتائم وقذفهم بأنواع التّهم. وأثار الأحقاد التاريخيّة بين أهل السنَّة والجماعة والشيعة. وحكم على الشيعة بالشّرك والكفر والارتداد. ونقل كلمات بعض رموز السلفيّة مثل ابن تيميّة وأحمد وابن حزم ومن لفّ لفّهم في ذلك.

ووصف أهل السّنَّة بالسّذاجة والفرقة، وأنّ عامتهم همج رعاع أتباع كلّ ناعق يتطلّعون إلى عيش رغيد رغم كرههم للأميركان. وأن مشايخهم وعلماءهم صوفية على الأغلب. حظهم من الدين مولد ينشدون ويرقصون فيه مع وليمة دسمة. و هؤلاء حقيقة أفيون مخدر. وأن روح الجهاد وفقه الاستشهاد والبراءة من الكافر، فكل ذلك بريء منهم. وأمّا الإخوان منهم فهم يمتهنون التجارة بدم الشهداء. وكل سعيهم لبسط السيطرة السياسية والاستحواذ على مناصب التمثيل لأهل السنّة. ولم يبق منهم إلّا المجاهدون. وإنّهم عصارة الخير من أهل السنَّة وينتمون إلى مذهب السلف وهم يمتازون بقلة الخبرة والتجربة. وأمّا المجاهدون المهاجرون فقلّة لعدم وجود الجبال والكهوف التي تؤويهم.

ثم أشار إلى وضع الأميركان وسهولة ضربهم بسبب سهولة الحصول على السلاح. وبعد ذلك وصف موقعهم (أي القاعدة في العراق) بقوله:

ثالثاً: (أين نحن مع قلة الناصر وخذلان الصديق وضيق الحال؟ فقد أكرمنا

الله تعالى بحسن النكاية في العدو. وكل العمليّات الاستشهاديّة الّتي تمّت سوى عمليّات الشمال كنا بحمد الله مفتاحاً لها، رصداً وإعداداً وتخطيطاً. وقد أكملت بحمد الله خمسة وعشرون فمنها في الرافضة ورموزهم والأمريكان وعسكرهم والشُّرط والجنود وقوّات التحالف والقادم أكثر إن شاء الله وإنما كان يمنعنا من الإعلام أنا كنا نتريث حتى يكون لنا ثقل في الساحة ونفزع من اعداد أجهزة متكاملة قادرة على تحمل التبعات بعد الاعلان حتى نظهر بقوة..).

ثم رسم خطة العمل بمواجهة أربع طوائف من الأعداء وهم:

١ ـ الأمريكان.

٢ ـ الأكراد وهم آخر القائمة.

٣ ـ الجنود والشُّرط والعملاء.

٤ ـ الرافضة.

ثم جعل يركّز على الرافضة بقوله: وهؤلاء في رأينا مفتاح التغير. اقصد أنَّ استهدافهم وضربهم في العمق الديني والسياسي والعسكري سيستفزّهم ليظهروا كلابهم على أهل السّنّة. ويكشروا عن انياب الحقد الباطني الذي يعتمل في صدورهم. وإذا نجحنا في جرهم إلى ساحة الحرب الطائفيّة أمكننا ايقاظ السّنّة الغافلين حتى يشعروا بالخطر الداهم والموت الماحق على أيدي هؤلاء السّبئيّة.

ثم يشير خامساً إلى آلية العمل بقوله: فالحلّ والله تعالى أعلم الذي نراه أنّ نقوم بجرّ الرافضة إلى المعركة لأنه هو السّبيل الوحيد لإطالة أمر القتال بيننا وبين الكفر ونقول لابد من جرهم للمعركة لعدة أسباب أهمها:

١ ـ إنّها أي الرافضة قد أعلنت الحرب المبطنة على أهل الإسلام، وإنّها العدوّ القريب الخطير لأهل السّنّة. وإن كان الأمريكان هم أيضّاً عدواً رئيسيّاً ولكنّ الرافضة خطرهم أعظم وضررهم أشد فتكاً في الأمّة من الأمريكان الذين تجد شبه إجماع على قتالهم كونهم عدوّاً صائلاً.

٢ـ إنهم والوا الأمريكان ونصروهم (ويا لها من تهمة مفضوحة) !

٣ـ إن قتالنا للرافضة هو السبيل لجر الامة للمعركة ونتكلّم هنا بشيءٍ من التفاصيل نحن سبق أن قلنا: إن الرافضة تزيوا بزي الجيش والشرطة والأمن العراقي. ورفعوا لائحة لحفظ الوطن والمواطن. وتحت هذه اللائحة بدأوا بتصفية أهل السنَّة بحجة أنّهم مخرّبون وأنّهم من فلول البعث. وأنّهم إرهابيون يسعون في الأرض فساداً مع التوجيه الإعلامي القوي من مجلس الحكم والأمريكان، واستطاعوا أن يحولوا بين عوام أهل السنَّة والمجاهدين. وأضرب مثالاً يقرّب الواقع في المنطقةالمسماة بمثلث أهل السنَّة إن صحت التسمية ـ بدأ الجيش والشرطة ينتشرون فيتلك المنطقة ويتقوون يوماً بعد يوم. ووضعوا عليهم رؤساء من عملاء أهل السنَّة ومن أهل الأرض. أي إنّ هؤلاء الجيش والشرطة قد يرتبطون بالنسب والدم والعرض مع سكان هذه المنطقة. وهذه المنطقة هي حقيقة قواعدنا التي منها ننطلق وإليها نرجع . فعندما يتوارى الأمريكان، عن هذه المنطقة ويحل مكانهم هؤلاء العملاء والذين هم مرتبطون ارتباطاً مصيريّاً بأهل الأرض فكيف سيكون حالنا إن قتلناهم؟ (ولابدّ من قتالهم). فلا يكون أمامنا إلّا أحد الأمرين:

١ ـ إمّا أن نقاتلهم وهذا فيه من الصعوبات مافيه لأجل الفجوة التي ستحصل بيننا وبين أهل الأرض، إذ كيف نقاتل أبناء عمومتهم وأبناءهم وتحت أي مبرر بعد أن تراجع الأمريكان...

٢ـ وإمّا أن نحزم متاعنا ونبحث عن أرض أخرى كما هي القصّة الحزينة المتكرّرة في ساحات الجهاد. لأنّ عدونا يقوى يوماً بعد يوم. والمعلومات الاستخباراتيّة تزيد عنده يوماً بعد يوم فهو الاختناق وربّ الكعبة ثمَّ السحل في الطرقات، فإن الناس على دين ملوكهم وقلوبهم معك وسيوفهم مع بني أميّة أي مع القوّة (إلّا من رحم الله) فأرجع وأقول:

(الحلّ الوحيد أن نقوم بضرب أهل الرافضة المدنيّين منهم والعسكريّن،

وغيرهم من الكوادر الضربة تلو الضربة حتى يميلوا على أهل السنة. قد يقول قائل: إن في هذا الأمر تسرّعاً وطيشاً وإدخالاً للأمّة في معركة غير مستعدين لها وفيها إزهاق للأنفس وإهراق للدماء، وهذا عين ما نريد...

فوالله يا إخوتي إن لنا مع الرافضة جولات وصولات وليالي سوداء لايحلّ أن نؤخره بحال من الأحوال لأن خطرهم داهم وما كنا نخشاه وتخشونه واقع لا محال... أمّا الروافض فستكون النكاية فيهم بإذن الله بعمليّات استشهاديّة وسيّارات مفخّخة.

ثم يخاطب أخيراً سيديه (أسامة وأيمن) بقوله:

أنتم أيّها الإخوة الكرام القادة والرادة ورموز الجهاد والجلاد ولا نرى أنفسنا أهلاً لمنازعتكم ولا سعينا في يوم لنبني مجداً لأنفسنا. وكل الذي نرجوه أن نكون رأس حربة وطليعة تمكين وجسراً تعبر عليه الأمة إلى النصر الموعود والغد المنشود وهذه رؤيتنا قد شرحناها. وهذا سبيلنا قد جليناه. فإن وافقتمونا عليه واتخذتموه لكم منهجاً وطريقاً واقتنعتم بفكرة قتال طوائف الردة، فنحن لكم جند محضرون نعمل تحت رايتكم وننزل على أمركم. بل ونبايعكم علانية على الملأ وفي وسائل الإعلام إغاظة للكافر وإقراراً لعيون أهل التوحيد. ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله. وإن بدا لكم غير ذلك فنحن إخوة ولا يفسد الخلاف للود قضية، نتعاون على الخير ونتعاضد على الجهاد. وبانتظار جوابكم حفظكمّ الله مفاتيح للخير وذخراً للإسلام وأهله آمين آمين. والسلام عليكم ورحمةالله وبركاته).

هذا وبعد مرور عدّة أشهر بل سنوات من إرسال هذه الرسالة لم نسمع بجواب من أسامة وأيمن:أهما موافقان لأبي مصعب الزرقاوي في خطّته المشؤومة الّتي ملؤها الإرهاب وقتل المسلمين بعضهم ببعض، الأمر الذي لم ينتج إلّا إعطاء الفرصة أكثر فأكثر للأمريكان والصهاينة؟ أم مخالفان ؟

لكن العمل بموجب هذه الخطة على أيدي المنسوبين إلى القاعدة في العراق دليل على موافقة تلكم القادة لعميل لهم مثل الزرقاوي والله أعلم.

مصير الزرقاوي وفتوى السلفيّين في استباحة دماء الشّيعة

وكان مصير الزّرقاوي هو الهلاك كغيره من المغامرين والسّفّاحين نتيجة للأعمال الإرهابيّة الّتي قام بها في قتل الأبرياء من المسلمين ـ خاصّة الشيعة ـ وغيرهم في العراق.

ولا شكّ أنّ المستفيد من تلك الأعمال ليس إلّا العدوّ المحتلّ لأرض المسلمين. فإنّ الحرب الطائفيّة التي قام الزرقاوي وزمرته بتسعير نارها من الأماني والأهداف المنشودة لكلّ المستعمرين. وممّا يدلّ على ذلك تسامح قوى الإحتلال في مواجهة الإرهاب في العراق بل إطلاق سراح من تعتقلهم الشّرطة العراقيّة وتموّنهم حتّى يستمرّوا في تلك العمليّات. فعلى ما نُقل كانوا يعرفون مقرّات الزّرقاوي، ولكن لم يقدموا على إلقاء القبض عليه. وحينما عرفت الشَّرطة العراقيّة محلّه وخطّطت لإلقاء القبض عليه، قامت الطائرات الأمريكيّة فقصفت المحلّ وقتلت الزرقاوي كي لا يُلقى القبض عليه بعد أن استنفدت أمريكا أغراضها منه.

واستمرّ الخطّ الذي بدأ به الزرقاوي الأردني على يد زمرته التكفيريّة بمعونة الأزلام البعثيّن.

ومن الأدلّة على كون إرهاب التكفيريّن ينسجم ومصالح أمريكا وإسرائيل فتوى الجهاد الّتي أصدرها ٣٨ من رموز السّلفيّن من السعوديّة وباكستان وغيرهما لا ضدّ أمريكا وإسرائيل، بل في تكفير الشّيعة واستباحة دمائهم بعدما جرى في العراق من أحداث الزرقاوي وزمرته، وبعد الموقف التاريخي الذي قام به حزب الله لبنان في مقارعة الصّهاينة والانتصار على إسرائيل في حرب الثلاثة والثلاثين يوماً. فيا ترى من المستفيد من تلك الفتاوى غير الصهاينة والأمريكان؟!



الفصل الثالث

الحركات الإصلاحيّة والانتفاضات التحرّريّة الإسلاميّة في القرون الأخيرة

بعد أن عرضنا نماذج من الحركات الإرهابيّة في التاريخ الإسلامي قديماً وحديثاً، وألمحنا إلى أنّ كلّها أو جلّها لاتمت إلى الإسلام بصلة، وهي منبوذة لدى جمهور المسلمين، وإن كان المتبنّون لها يرون شرعيّتها وابتناءها على الأسس الإسلاميّة، بعد ذلك حان لنا أن نعرض الحركات الإصلاحيّة والانتفاضات التّحرريّة الإسلاميّة في القرون الأخيرة الّتي فجّرها المسلمون بقيادة العلماء على الأغلب، دفاعاً عن أوطانهم واستقلال بلدانهم ونيل حرّيّاتهم وذوداً عن دينهم وكرامتهم في وجه المستعمرين الغاشمين أو الظلمة المستبدّين المتغطرسين المدعومين من قبل الاستعمار. وتلك الحركات سلك بعضها مسلك الإصلاح والكفاح السّلمي عبر المواجهات السّياسيّة الجماهيريّة أو النشاطات الثقافيّة، كما أنّ بعضها اضطر إلى استعمال العنف والكفاح المسلّح في وجه الأعداء. وانتصر الكثير منها وإن مني بعضها بالفشل والانتكاسة.

وإنّ الانتفاضات من هذا القسم الأخير، وإن وُصمت بالإرهاب والعنف اللاشرعييّن، إلّا أنها حركات تحريريّة في واقعها ومبنية على منطق إنساني سليم. ولا شكّ أنها تنسجم ـ على العموم ـ مع الأسس والمباني الإسلاميّة. فإن كانت إرهابيّة فهي لإرهاب أعداء الله لا إرهاب عباد الله ولا ضير لنا بالاعتزاز بها وتكريمها.

وفي هذا الفصل نعرض إجمالاً أهمّ نماذج تلك الحركات والانتفاضات في البلدان الإسلاميّة المختلفة. وتلك الحركات إنّما هي ردّ فعل طبيعيّ قام به المسلمون في وجه الاستعمار الغربي أو الشّرقي، حيث قامت دول شرقيّة مثل روسيا أو غربيّة مثل بريطانيا وفرنسا، وإيطاليا وأميركا وألمانيا بغزو بلدان العالم

الثالث خاصّة في المناطق الإسلاميّة خلال القرون الثلاثة أو الأربعة الأخيرة.

وإليكم نماذج من تلك الحركات على حسب البلدان المختلفة:

الهند وباكستان

بدأ الغزو الأروبي للهند منذ عام ١٥١٠م واتسع نطاقه تدريجيّاً. وبعد حدوث الانتفاضات الشعبيّة والدينيّة خاصّة على أيدي المسلمين بقيادة علمائهم، انتهى الأمر إلى استقلال الهند وخروجه من نير الاستعمار.

كما أنّ المسلمين قاموا بانفصال المناطق الإسلاميّة عن الهند وأسموها باكستان. وكان من أهمّ تلك الانتفاضات ما يلي:

١ـ حركة الشاه وليّ الله الدّهلوي (١١١٤ ـ ١١٧٦هـ.ق) كان مفكّراً ومتكلّماً ثوريّاً قام بتأسيس مؤسّسة باسم (دار العلوم) في دئوبَند. وكانت نهضته اصلاحيّة تدور حول مفهوم المصلحة وكان أكبر كتابه (حجّة الله البالغة)[1] وممّا يؤخذ على حركته تعصّبة المقيت ضدَّ الشّيعة وعدم استقطاب حركته لكلّ المسلمين.

٢ـ حركة الحاجي شريعت الله أو الفرائضيّة. سافر مؤسّسها إلى مكّة وتأثّر بالحركة الوهّابيّة، ورجع إلى البنغال عام ١٨٢٢م. وكان ممّا يؤخذ على حركته تعصّبه ضدَّ إقامة العزاء على سيّد الشهداء عليه السلام.

٣ـ السّر سيد أحمد خان الهندي (١٨١٧ ـ ١٨٩٨م) كان عالماً ثوريّاً ضدَّ بريطانيا. إلّا أنه بعد هجرته إلى أروبا وانبهاره بالمدنيّة الحديثة انقلب رأساً على عقب، و قام بتفسير القرآن بأسلوب مادّي طبيعي. لذلك تصدّى له السيّد جمال الدين الأسد آبادي لنقد فكره الخاطئ في كتاب عرف ب (الردّ على النّجريّة) أي الطبيعيّة الماديّة[2].

---

(١) تاريخ نهضتهاى دينى سياسى معاصر، دكتر على اصغر حلبى، ط: طهران عام ١٣٨٢ ش،انتشارات زوّار ص ١٠٦، ١٠٧.

(٢) الذريعة، آقابزرك الطهراني ج ١٠ / ١٠٨ ـ الأعلام للزركلي ٢ / ١٦١.

٤ـ حركة السّيّد مير حامد حسين الهندي النيسابوري (المتوفى ١٣٠٦هـ. ق) كان عالماً شيعيّاً قديراً وكانت حركته ثقافيّة تتلخص في الدّفاع عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام وكتابه القيّم (عبقات الأنوار) حول الإمامة، لم يكتب أوسع وأبسط منه في كتب الشيعة[1].

٥ـ السّيد أمير عليّ (١٢٦٥ـ١٣٤٧هـ. ق) كان من العلماء المصلحين الشيعة. ولد في الهند ودرس الفقه الإسلامي في كلكتة والحقوق والقانون في لندن. وكان أسلوبه إصلاح التعليم والتربية. وكانت له حركة سياسيّة. وأسّس الجمعيّة الوطنيّة الإسلاميّة للدفاع عن حقوق المسلمين عام ١٨٧٨م ـ ١٢٩٥هـ. ق. وكان لخطاباته الأدبيّة وكتاباته العلميّة الدّور المميّز في تثقيف الشعب الهندي. كما كان له دور في تبليغ الإسلام في البلدان الغربيّة لإلمامه باللّغة الإنكليزيّة. وكتابه القيّم (روح الإسلام) يركّز على شخصيّة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته وسنّته وبيانها بلغة العصر[2].

٦ـ محمّد إقبال اللاهوري (١٨٧٦ ـ ١٩٣٨م) كان حكيماً وشاعراً باللغة الأرديّة والفارسيّة ومصلحاً ومن المؤثّرين في تأسيس باكستان، وكتابه الشهير (احياء الفكر الديني في الإسلام)[3].

٧ـ مولانا أبو الكلام آزاد (١٣٠٢ ـ ١٣٧٧هـ. ق) كان ناطقاً وسياسيّاً إسلاميّاً، درس في الجامع الأزهر واشترك في النهضة المضادّة لبريطانيا. وترأسّ اللجنة الوطنيّة الهنديّة. كما صار وزيراً عام ١٩٤٨ في دولة جواهر لال نهرو.

٨ـ محمّد عليّ جناح (١٨٧٦ ـ ١٩٤٨) كان القائد الأوّل في تحرير باكستان وانفصالها عن الهند عام ١٩٤٧[4].

---

(١) الذريعة، آقابزرك الطهراني، ص ١١١.
(٢) تاريخ نهضتهاى دينى سياسى معاصر ص ١١٣.
(٣) المصدر نفسه، ص ١١٦، ١١٧.
(٤) المصدر نفسه، ص ١٠٧.

إيران

تعد إيران خلال القرنين الأخيرين بركاناً للثورات والانتفاضات الإسلاميّة بوجه الاستعمار الأجنبي والاستبداد الدّاخلي. وذلك لأنّها، نظراً لموقعها الاستيراتيجي وثرواتها الطبيعيّة، كانت ولاتزال مطمحاً لأطماع الأجانب، وحيث إنّهم لم يتمكّنوا من فرض السّيطرة عليها مباشرة كما فعلوه في الهند وإفريقيا وغيرهما، لذلك كانوا على الأغلب يعمدون إلى دعم عملائهم في الدّاخل، وتقوية الأُسر الحاكمة المستبدّة وتنفيذ أوامرهم من خلال أولئك العملاء والحكّام المستبدّين. ومن جانب آخر حيث إنّ الجماهير المسلمة الإيرانيّة مرّت قرون على تربيتها في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، تلك المدرسة الّتي تربّى أتباعها على مقارعة الكفر والظّلم، وتقليد علمائها المجتهدين العدول والمستقلّين عن تبعيّة أيّ سلطان وحاكم، فهذا الواقع سبّب نشوب ثورات وانتفاضات شعبيّة عارمة بقيادة العلماء ضدّ المستعمرين والمستبدّين. وإليكم نماذج هامّة من تلك الانتفاضات:

١ـ جهاد الرّوس:

حدثت بين الرّوس وإيران حروب طاحنة في أوائل القرن الثالث عشر الهجري. انتهت الأولى بفشل إيران وفرض معاهدة كلستان عام (١٢٢٨هـ.ق) بعد عشر سنين، والثانية بمعاهدة تركمن جاي عام ١٢٤٣ في زمن فتح عليّ شاه القاجار[1]. ونتيجة لعتو الرّوس واعتدائهم على المدن الإيرانيّة وهتكهم للمقدّسات من المساجد وغيرها، ولنواميس المسلمين وسفكهم الدّماء، وحيث إنّ الملك القاجاري وعمال حكومته لم يكترثوا بشؤون المسلمين، قدّم المسلمون

---

(١) تاريخ سياسى معاصر إيران ج ١، دكتر سيد جلال‌الدين مدنى ص ١٥ ط دفتر انتشارات اسلامى وابسته به جامعه مدرسين حوزه علميه قم عام ١٣٦١ ش.

في إيران شكواهم إلى مرجعهم الديني القاطن في كربلا وهو السيّد محمّد المجاهد (المتوفى ١٢٤٣ هـ. ق) صاحب كتاب المناهل وسبط الوحيد البهبهاني. فلما عرف مرجع الشّيعة المآسي الّتي يعاني منها المسلمون هناك، أفتى بوجوب الجهاد والدفاع عن بيضة الإسلام. ومشى بنفسه إلى إيران ليحضر ساحة المعركة، فانهالت الجماهير إلى هناك. والتحق به جمع غفير من العلماء أمثال المولى أحمد النراقي والحاج ملّا جعفر الاسترآبادي والسيّد نصر الله الاسترآبادي، والسيّد محمّد تقي القزويني والسيد عزيز الله طالش والملّا عبد الوهاب القزويني. وكان التقدّم في بداية الحرب في صالح المسلمين، إلّا أنّ سوء التدبير من قبل ضباط الجيش الإيراني وقائدهم وليّ العهد، وانشغالهم باللّهو والصّيد، سبّبا انتكاسة المسلمين. وكانت عاقبة المعركة مريرة للغاية، بحيث تُوفي إثرها في تلك الأيام المرجع الأعلى للشيعة السيّد محمّد المجاهد في قزوين عند رجوعه من جبهات القتال[1].

٢ـ ثورة تحريم التّبغ (التنباك):

هذه الثورة الّتي عمّت بلاد إيران وانتصرت بقيادة مرجع الشيعة الميرزا السيّد محمّد حسن الشيرازي الكبير (المتوفى١٣١٢هـ.ق) ضدّ الاستعمار البريطاني والاستبداد القاجاري، وقعت عام(١٣٠٩ هـ.ق)، حينما أعطى ناصر الدين شاه القاجاري امتياز حصر جميع المعاملات المرتبطة بالتبغ والدخانيات داخل البلاد وخارجها بشركة الرجي الإنكليزيّة. وكان صاحب الامتياز هو مازور تالبوت من مساعدي رئيس وزراء بريطانيا. وقد أدخلت تلك الشّركة حوالي مئة ألف إنكليزي من الرجال والنّساء. وبنوا مخافر لهم وأوردوا العتاد والأسلحة، كما بدأ عمال التبشير بتبليغ المسيحيّة في أوساط البلاد. وقاموا ببناء الملاهي ومراكز الموسمات لإلهاء الشباب المسلم. وكان الاستعمار يقصد من تلك المؤامرة

(١) نهضت روحانيون إيران، عليّ دواني، ج١ ص٦٠ـ٦٧ ملخّصاً. ط طهران ـ مؤسّسة الإمام الرضا عليه السلام سنة ١٣٦٠ ش.

تهيئة الأرضيّة للسّيطرة التامة على جميع البلاد كما حصل قبل ذلك في الهند. وقد فطن لها علماء الدّين في طهران وأصفهان وشيراز وتبريز وغيرها فقاموا بإيقاظ الجماهير، فأقيمت الاجتماعات الاعتراضيّة. وأبعد بعض العلماء مثل السيّد عليّ أكبر فال أسيري عالم شيراز، فذهب هذا العالم إلى مرجع الشيعة آنذاك وهو الميرزا الشيرازي الكبير القاطن في سامرّاء، وأطلعه على الأوضاع. كما أنّ السيّد جمال الدين الأسد آبادي (المتوفى ١٣١٤ هـ) قد كتب رسالة مفصّلة عن تلك الأوضاع وأرسلها إلى زعيم الشيعة. وأمّا زعيم الشيعة فبعد أن أتمّ الحجج على دولة الشاه، وعدَّد المفاسد العظيمة لذلك الامتياز، أصدر فتواه التاريخيّة المعروفة بتحريم التنباك وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

اليوم استعمال التنباك والتتن بأيّ نحو كان في حكم محاربة إمام الزمان صلوات الله عليه.

وما إن انتشرت تلك الفتوى في البلاد حتى عمّهاَ الإضطراب. فاضطرّ الشاه إلى فسخ عقد الامتياز وهرب المستعمرون خاسئين وبذلك أزيح خطر عظيم عن ذلك البلد المسلم[1].

٣ـ حركة السيّد جمال الدين الحسيني الأسد آبادي:

ويلزم هنا الإشارة إلى أنّ السيّد جمال الدين الحسيني الأسد آبادي (١٢٥٤ـ١٣١٤هـ.ق) كان له الدّور الكبير في الانتفاضات الإسلاميّة في إيران مثل ثورة تحريم التنباك، ونهضة المشروطة، بل كان له القسط الأوفر في تدشين الحركات الإسلاميّة في كثير من البلدان مثل أفغانستان والهند وباكستان ومصر والعراق وتركيا، بل في أوروبّا أيضاً.

---

(١) يراجع: تاريخ سياسى معاصر إيران، دكتر سيد جلال الدين مدنى ج ١ ص ٢٣ـ ٣٠ ونهضت روحانيون إيران ج ١ ص ٨٩ ـ ٩٧.

والسيّد جمال الدّين، مع ما له من أدوار بارزة في الكفاح ضدَّ الاستعمار الأجنبي والاستبداد الدّاخلي في البلدان الإسلاميّة، يكتنف شخصيّته غموض من عدّة جهات.

منها ما يتصل بأصله ومسقط رأسه وأنه أفغاني أو إيراني أو اسطانبولي أو رومي وما شاكل ذلك. والحقّ أنّه ايراني كما أثبت ذلك كثير من المؤرخين منهم الدكتور عليّ الوردي حيث ذكر عشر قرائن تدلّ على ذلك[1]. وإنما كان ينسب نفسه إلى جهات مختلفة مراعاة لما يحيطه من ظروف.

ومنها مذهبه وأنّه سنّي أو شيعي. وكان يتكتّم في إظهاره لأنه كان يدعو إلى الوحدة الإسلاميّة ونبذ التعصّبات الطائفيّة. ولكن القدر المتيقّن أنه كان من أسرة حسينيّة شيعيّة وكانت تحصيلاته الابتدائيّة في قزوين وطهران ثمَّ انضمّ لتحصيل الثقافة الإسلاميّة إلى حوزة النجف الأشرف وتتلمذ على يد مرجع الشيعة آنذاك الشيخ الأعظم الأنصاري والحكيم الفيلسوف والعارف الآخوند ملّا حسين قلي الهمداني، وكان من زملائه السيّد أحمد الطهراني الكربلائي والسيّد محمّد سعيد الحبّوبي[2].

وقد نقل عن السيّد الحبّوبي أنه قال حول ذكاء السيّد جمال الدين (لقد كنّا ندرس معاً علم التصوف عند الحاج عبّاس قلي بالنجف، وكان الأفغاني من حسن البيان بمنزلة بحيث يستطيع إن أراد أن يصوّر الحقَّ باطلاً والباطل حقّاً)[3].

وهناك جهات أخرى من الغموض كدخوله في المحفل الماسوني في مصر وغير ذلك.

قال الزركلي فيه: محمّد بن صفدر الحسيني، جمال الدين: فيلسوف

(١) لمحات اجتماعيّة من تاريخ العراق الحديث، الجزء الثالث ص ٢٦٦ ـ ٢٧٠.
(٢) نهضتهاى اسلامى در صد ساله اخير، الأستاذ الشهيد مرتضى المطهري ص ٣٧ ـ ٣٨.
(٣) لمحات اجتماعيّة من تاريخ العراق الحديث، الوردي ج ٣ ص ٢٧١ نقلاً عن قدرى قلعجي (جمال الدين الافغاني) ـ بيروت ١٩٥٦ ص ٢٤.

الإسلام في عصره، وأحد الرجال الأفذاذ الذين قامت على سواعدهم نهضة الشرق الحاضرة... كان عارفاً باللّغات العربيّة والأفغانيّة والفارسيّة والسنسكريّة، والتركية وتعلم الفرنسيّة والإنجليزيّة والروسيّة، وإذا تكلّم بالعربيّة فلغته الفصحى، واسع الاطلاع على العلوم القديمة والحديثة، كريم الأخلاق، كبير العقل، لم يكثر من التصنيف اعتماداً على ماكان يثبته في نفوس العاملين وانصرافاً إلى الدعوة بالسّر والعلن. له (تاريخ الأفغان ـ ط) ورسالة الرد على الدهريين ترجمها إلى العربيّة تلميذه الشيخ محمّد عبده. وجمع محمّد باشا المخزومي كثيراً من آرائه في كتابه (خاطرات جمال الدين الأفغاني ـ ط) ولمحمد سلّام مدكور كتاب (جمال الدين الأفغاني باعث النهضة الفكريّة في الشرق ـ ط) في سيرته[1].

وكانت له أسفار كثيرة يجوب البلدان القريبة والنائية ويتّصل بالعلماء والأمراء ويربّي المستعدّين لبث آرائه ومواقفه، وقد أصدر مجلّة العروة الوثقى من باريس لتحرير الهند والبلدان الإسلاميّة من الاستعمار البريطاني. وكانت دعوته تركّز على يقظة الشعوب من سباتها العميق ووحدة الجماهير المسلمة والحركة الحثيثة لتعلّم العلوم الجديدة والرّقيّ المادّي والمعنوي ومكافحة الاستبداد الداخلي والاستعمار الخارجي[2]. وكانت نهاية حياته في الآستانة في تركيّة لما أصابه من سرطان الفكّ، وقيل إنّه دسّ إليه السّم حينما كان مرتبطاً ببلاط عبد الحميد العثماني عام ١٣١٤ ونقل رفاته إلى بلاد الأفغان سنة ١٣٦٣ هـ. ق.

٤ـ نهضة المشروطة:

حدثت هذه النهضة من أجل القضاء على الظلم والاستبداد، والوصول الى حكومة مقيّدة بقوانين معقولة يمكن تنفيذ العدالة فيها، ويشارك فيها الجماهير. وذلك بعد أن انتشر الظلم في البلاد حيث عاث حكام القاجاريّة الفساد، وفي

---

(١) الأعلام، الزركلي ج ٦ / ١٦٨، ١٦٩.

(٢) يراجع نهضتهاى اسلامى در صد ساله اخير، الشهيد الأستاذ مرتضى المطهري ص ٢٤-٣٩.

نفس الوقت كانوا يظهرون الخنوع للأجانب. حدثت تلك النهضة خاصّة بعد أن قوي الأمل بانتصار الشعب إثر انتصار ثورة تحريم التنباك. وكان علماء الدّين في طليعة المعارضين للوضع المأساوي. وقد حصل اجتماع جماهيري عام ١٣٢٢ هـ. ق(١٢٨٤ ش) في طهران وشكّلت لجنة من المعارضين لمتابعة طلبات الجماهير وعلى رأسها تأسيس ديوان العدل. وكانت اللّجنة تحت إشراف ثلاثة من المجتهدين الكبار وهم الشيخ فضل الله النوري والسيّد عبدالله البهبهاني والسّيد محمّد الطباطبائي. وحصل بعد ذلك اصطدامات بين الثوّار وعمّال الحكومة انتهت بقتل عدّة من الناس منهم طالب علم ديني .فعمّ الإضراب المدينة. واعتصم إثر ذلك المجتهدون الثلاثة شهراً في حضرة عبد العظيم. ولمّا لم تستجب الحكومة لمطالب الشعب اضطرّ العلماء إلى تنظيم مهاجرة كبرى إلى قم تضم ألفاً من الناس وعلى رأسهم العلماء الثلاثة. وفي غياب علماء الدين استغل الفرصة المنبهرون بالثقافةالغربيّة، وكان بعضهم ماسونييّن، فدعوا الناس إلى الاعتصام في سفارة بريطانيا، فاجتمع هناك من الناس حوالي عشرين ألفاً حيث طرحت قضيّة المشروطة. وعند ذلك استجابت الحكومة القاجاريّة لتنفيذ مطالبات النّاس وإرجاع العلماء من قم، وقبول تشكيل مجلس شورى وطني وتنظيم الدستور (القانون الأساسي)،وتشكيل دولة مؤيّدة من قبل ذلك المجلس. وقد وقّع الملك القاجاري مظفرالدين شاه فرمان المشروطة عام ١٣٢٤ ق. وكانت ثورة المشروطة نجحت بجهود الجماهير وعلى رأسهم العلماء وتأييد المراجع الكبار في النجف كآية الله الأخوند الخراساني. وبعد ترجمة للقانون الفرنسي والبلجيكي الذي يتناقض والقوانين الإسلاميّة وبعد أن استغلّ عملاء الغرب والماسونيون السّاحة، وبدأوا يتهجّمون على الثقافة والمقدّسات الإسلاميّة، شعر علماء الدين وعلى رأسهم آية الله الشهيد الشيخ فضل‌الله النوري بالخطر الدّاهم، فأعلن معارضته للحاكمين باسم المشروطة الموالين للغرب ورفع شعار المشروطة المشروعة. وفي

نهاية الأمر اعتقله الحكام وحكموا عليه بالإعدام شنقاً يوم ١٣ رجب عام ١٣٢٧ ق. كما قضي على غيره من المجاهدين المخلصين إثر سيطرة الظلمة والماسونيّن. واستمرَّ الوضع إلى أن انتهى إلى سلطة البهلوي فحكموا حوالي خمسين عاماً[1].

٥- جهاد العشائر في خوزستان:

وقعت واقعة جهاد العشائر العربيّة في خوزستان ضدّ المحتلّين الإنكليز عام١٣٣٣ هـ.ق (١٢٩٣ هـ. ش)، وذلك إبان الحرب العالميّة الأولى. فبعد أن احتلت بريطانيا جنوب العراق وهبّ الشّعب العراقي للجهاد ضدّ المحتلّين، احتلت خوزستان الواقعة في الجنوب الغربي لإيران، إسناداً لجبهتها في البصرة، وحفاظاً على أنابيب النّفط الذي من أجله جاءت إلى المنطقة. وكان الحاكم آنذاك على خوزستان هو الشيخ خزعل، وهو ماسوني عميل للإنكليز. وأمّا الدّولة المركزيّة زمن حكم أحمد شاه القاجاري فقد أعلنت حيادها إزاء الحرب العالميّة الواقعة بين المتفقين (بريطانيا وروسيا وفرنسا) والمتحدين (ألمانيا والدولة العثمانيّة). ولّما صدرت فتوى الدفاع والجهاد عن مرجع الشيعة في النجف، وكان آنذاك هو السيّد كاظم اليزدي، صاحب العروة الوثقى، هبّ أبناء العشائر العربيّة في خوزستان وكلّهم شيعة بقيادة علمائهم، أمثال السيّد عيسى آل كمال الدين، وكذلك العلماء الذين جاءوا من النجف مثل السيّد محمّد اليزدي نجل المرجع، والشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء وغيرهما. وكانت عشائر بني طرف في طليعة المجاهدين ضدّ المحتلّين،و قد قاموا بصنع ملاحم بطوليّة في غرب الأهواز، منطقة المنيور، وفي الخفاجيّة والحويزة. كما قام بنو كعب وغيرهم في الفلاحيّة (شادكان) بقيادة العلماء أمثال السيّد عبّاس المجاهد والسيّد جابر ابن السيّد مشعل الشوكي، وقام الزرقان في شرق الأهواز لمقارعة المحتلّين وقد

---

(١) يراجع المصدران: تاريخ سياسى معاصر إيران ج ١ /٥٣-٦٤ ونهضت روحانيون ايران ج ١ / ١١٢-١٦٤.

استشهد المئات من أبناء العشائر في سبيل الله للدفاع عن الوطن الإسلامي[١].

٦ـ أبطال تنكستان ودشتستان:

لعب أبطال تنكستان ودشتستان، وهما من نواحي بوشهر، الميناء الرئيسيّ الإيراني على ضفاف الخليج الفارسي، دوراً مهماً في مكافحة المحتلّين الإنكليز في مقطعين من التاريخ المعاصر، أحدهما عام ١٢٧٣ هـ. ق، في زمن ناصر الدين شاه، حينما حاصر الجيش الإيراني مدينة هرات أفغانستان. عمد الإنكليز إلى احتلال ميناء بوشهر، فانتفض أبطال تنكستان بقيادة أحمد خان التنكستاني في وجه المعتدين الإنكليز فكبّدوا المحتلّين خسائر فادحة من قتل ثمانمئة عسكريٍ واغتنام خمس عرّادات من الأطواب. واستشهد أحمد خان مع اثنين وسبعين من أصحابه دفاعاً عن الوطن الإسلامي.

وثانيهما ما وقع في شهر رمضان عام ١٣٣٣ إبان الحرب العالميّة الأولى، حين احتلّ الجيش البريطاني بوشهر للمرّة الثانية. ولّما وصلت دعوات مراجع الدين من النجف إلى المسلمين للصمود بوجه المحتلّين، انتفض بواسل من تلك المناطق بدعوة من علماء الدين وعلى رأسهم المجتهد المجاهد الشيخ جعفر المحلاّتي الشيرازي والشيخ محمّد حسين البرازجاني. وقام الأبطال بقيادة الشهيد الرئيس عليّ دلواري والشيخ حسين خان الچاه كوتاهي وزاير خضر خان الأهرمي وصنعوا الملاحم البطوليّة في سبيل الدفاع عن بيضة الإسلام في ذي القعدة من ذلك العام. ولما انتشر نبأ احتلال بوشهر ودعوة العلماء للجهاد في أوساط الناس، هرع المؤمنون للجهاد من كافة المدن والقرى، وعلى رأسها شيراز، حيث خرج سبعمئة من المجاهدين بقيادة المجتهد الكبير الشيخ جعفر المحلاتي. ولّما شاهد

(١) أقيمت مهرجانات بعد انتصار الثورة الإسلاميّة تكريماً لأولئك المجاهدين وقد كتبت كتب ومقالات منها ماكتبته باسم (حماسه جاويد) يتضمّن تاريخ تلك الواقعة. وقد أشاد قائد الثورة الإمام السيّد عليّ الخامنهاي بأولئك المجاهدين وبأمره أودع علم تلك الواقعة في متحف الإمام الرّضا عليه السلام في مشهد. والعلم يحتوي على حاشية فيها آية الكرسي وفي وسطه آية ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ وفي وجهه الآخر (لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، عليّ ولي الله) وهذا العلم قدّمه حفيد السيّد جابر إلى سماحة قائد الثورة في سفره إلى خوزستان عام ١٣٧٥ ش.

المحتلّ تلك النهضة الجماهيريّة، اضطرّ إلى تخلية بوشهر والتقهقر إلى الوراء. وبذلك حصل الانتصار للمجاهدين وقادتهم من علماء الدّين[1].

٧- جهاد عشائر كازرون والقشقائيين:

وكان هذا الفصل من جهاد المسلمين بعد سيطرة بريطانيا على الخليج الفارسي إبان الحرب العالميّة الأولى واحتلال بوشهر وغيرها من الموانئ الإيرانيّة، وكذلك محافظة فارس، وتشكيل شرطة الجنوب تحت زعامة البريطانيّين عام ١٣٣٥ هـ. ق، وانحلال القوة المسلحة الإيرانيّة. وحيث إنّ علماء الدين في النجف وكذلك علماء الدين القاطنين في منطقة فارس مثل آية الله السيّد عبد الحسين اللاري الدزفولي أفتوا بوجوب الدفاع عن بيضة الإسلام، تحرّكت أبناء العشائر المسلمة في تلك المنطقة وتصدّت لمقاتلة البريطانيّين وعملائهم من الهنود والإيرانيّين الخونة الذين انضمّوا تحت لواء شرطة جنوب إيران. وكان من أبرز تلك القبائل، القبيلة التابعة لناصر ديوان الكازروني وقبيلة القشقائيّين بزعامة إسماعيل خان صولة الدّولة وولديه ناصر خان وخسرو خان. ونتيجة لاتحاد تلكما القبيلتين وزعمائهما تكبّدت بريطانيا خسائر جسيمة. وانّ الحرب وان انهكت الجانبين إلّا أنّ صمود المجاهدين أفلح باضطرار بريطانيا إلى الخروج من إيالة فارس وترك الحرب. كما قبل المجاهدون بالصّلح إزاء خروج قوّاتهم، خاصّة وأنّ الإنفلونزا شاعت في ما بينهم وقضى الآلاف منهم نحبهم بسببها، غيرما قدّموا من قرابين في سوح الجهاد. وكان ذلك عام ١٣٣٧ هـ. ق، أي في نهاية الحرب العالميّة الأولى[2].

٨ ـ قيام الشيخ محمّد الخياباني (١٢٩٧ هـ. ق ـ ١٣٣٨ هـ . ق):

ولد في منطقة خامنه من آذربايجان وكان رجل دين، فدخل السياسة وانتخب من قبل أهالي تبريز في مجلس الشورى. وكانت له مواقف حاسمة ضدّ الأجانب من الروس والإنكليز. وشكّل حزباً سياسيّاً في تبريز. وقام ضدّ وثوق الدولة

---

(١) يراجع كتاب: نهضت روحانيون ج ١ ص ٢٤٧ـ ٣٤٥.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢ ص ٥ ـ ٥٩ ملخصاً.

واستنكر عليه قرار ١٩١٩ الّذي كان مضمونه الاستسلام والخضوع للاستعمار البريطاني. وتمكّن من كسب السّلطة في تبريز ضدّ الدّولة المركزيّة العميلة لمدّة ستّة أشهر. إلّا أنّه قُضيَ عليه وعلى ثورته بواسطة قوّات القوزّاق المنتمية لروسيّا في يوم ٢٩ ذي الحجة ١٣٣٨ هـ. ق[١].

٩ـ قيام الميرزا كوچك خان الجنكلي:

والميرزا كوجك خان كان طالب علم ملتزماً وواعياً. ولد عام ١٢٩٨هـ. ق. في منطقة صالح آباد من مدينة رشت الشماليّة. وعاصر ثورة المشروطة فدخل في الحركة السياسيّة. ولمّا شاهد الأجانب من الروس وبريطانيا قد احتلّوا البلاد، ورأى ضعف الدّولة المركزيّة، قام بتدبير ثورة مسلّحة ضدّ الأجانب في غابات كيلان. وشاركه جمع من علماء الدّين والرجال السياسيّين والمثقفين وانضمّ تحت رايته حوالي ستّة آلاف مقاتل. وكانت الهيئة المشرفة على تلك الثورة تسمى بـ(هيئت اتحاد اسلام) كان فيها بعض العلماء مثل الشيخ بهاء الدين الأملشي، والشيخ عبد السلام، والسيّد علم الهدى، والسيّد محمّد الروحاني وغيرهم. وكان القادة في تلك الحركة قد أخذوا على أنفسهم أن لايحلقوا رؤوسهم ولحاهم إلى أن يُخرجوا الأجانب، ولذلك كانوا يتسمون ببزّة خاصّة مروّعة. وكانوا يصدرون جريدة باسم (جنكل). وكانت للميرزا كوچك خان ارتباطات بالسيّد حسن المدرّس والشيخ محمّد الخياباني.

وقد تسرّب إلى جهاز قيادته بعض المنتمين لروسيّا وخانوا به. وعندما تصدّى رضا خان البهلوي لقمع حركته اتّصل الخونة به سرّاً وأباحوا الأسرار للسّلطة، فتمكّن البهلوي من القضاء على تلك المجموعة. وأمّا الشهيد ميرزا كوچك خان فكان يسير نحو خلخال لاستمرار المقاومة، إلّا أنّ الثلوج جمّدت بدنه. ولمّا وجدته

---

(١) نهضت روحانيون إيران، ج ٢ ص ٦١ ـ ٦٣. ولايخفى أنّ الشيخ محمّد الخياباني، كما ذكر لي سماحة الأستاذ آية الله الشيخ السبحاني، هو زوج عمّة قائد الثورة الإسلاميّة سماحة آية الله السيّد الخامنئي.

قوّات القوزاق، أحتزّوا رأسه، وأرسلوه إلى رضا خان، فدفن في طهران، ثمَّ أخرج رأسه وألحق ببدنه المدفون في كيلان. ودامت ثورته من سنة ١٣٣٣ أي بداية الحرب العالميّة الأولى لمدّة سبع سنوات إلى أن قُضي عليه عام ١٣٤٠ هـ. ق[١].

١٠ـ حركة الشّهيد السيّد حسن المدرّس (١٢٨٧ هـ. ق ـ ١٣٥٨هـ. ق)

ولد في قرية سرابه كجو من توابع أردستان في بيت العلم والفضيلة، ودرس العلوم الحوزويّة في أصفهان، ثمَّ هاجر إلى النجف فتتلمذ على فحول الفقه والأصول كالسيد الميرزا الشيرازي والفقيه السيّد كاظم اليزدي والمحقق الخراساني. ورجع إلى وطنه للبحث والتدريس والتصدي لشؤون المرجعيّة الدينيّة. وبعد انتصار ثورة المشروطة عيّن من قبل مراجع الدين في النجف ليكون مشرفاً على مجلس الشورى.وانتخب من قبل الشعب وشارك في المجلس من الدورة الثانية إلى الخامسة. وكانت مواقفه بطوليّة ضدّ الاستبداد والاستعمار. وفي إبان الحرب العالميّة الأولى شارك في لجنة الدفاع الوطني ضدَّ المحتلّين الرّوس والإنكليز، وهاجر إلى العراق وسوريّة واسطانبول في سبيل إيجاد الوحدة الإسلاميّة بين السلطان العثماني وإيران ضدّ الاستعمار. وتصدّى لمقابلة رضا خان الذي كان يلعب دور العميل للأجانب. وتعرّض للاغتيال مرّتين إلى أن حكم عليه بالنفي من قبل السلطات البهلويّة إلى كاشمر وقتلوه سمّاً في شهر رمضان عام ١٣١٧ ش (١٣٥٨ ق)[٢].

١١ـ واقعة مسجد كوهرشاد:

هذه الواقعة عبارة عن حركة دينيّة اجتماعيّة، قام بها علماء الدّين ومجموعة كبيرة من المؤمنين من أهالي مشهد الإمام الرضا عليه السلام استنكاراً للبرامج اللّادينيّة وعلى رأسها كشف الحجاب عن النساء الّتي قام بها رضا خان عام ١٣١٤ هـ.

(١) نهضت روحانيون إيران، ج ٢ ص ٧٣ ـ ١٠٦.
(٢) المصدر نفسه، ج ٢ / ١٠٧ ـ ١٤٧ ملخّصاً.

ش(١٣٥٤هـ. ق)، تطبيقاً للمشروع الغربي الذي أوحت به بريطانيا إلى عملائها في البلدان الإسلاميّة من قبيل مصطفى آتاترك في تركيا ورضا شاه في إيران. وكان العلم الثائر في تلك الواقعة هو السيّد حسين القمّي، أحد مراجع الشيعة في مشهد. جاء إلى طهران مطالباً بإلغاء ذلك المخطّط اللّاإسلامي، فحلّ في حضرة شاه عبد العظيم. فتوافدت عليه العلماء والجماهير فواجهت حكومة الشاه تلك الجماهير بعنف، وحاصرت محل إقامة ذلك المرجع. ولمّا وصلت أنباء تلك الإعتداءات إلى مشهد هرع العلماء والنّاس إلى حرم الإمام الرّضا عليه السلام ومسجد كوهر شاد المجاور للحرم مستنكرين تصرّفات الحكومة. واقتحمت قوّات الحكومة الحرم والمسجد بقوّات مسلّحة، أسفرت عن قتل وجرح المئات من النّاس العزّل، وكان لعلماء مشهد البارزين مثل نجل المحقّق الخراساني والسيّد يونس الأردبيلي والسيّد عبد الله الشيرازي، وكذلك للواعظ المعروف الشيخ محمّد تقي البهلول، الدور البارز في تلك الواقعة. وأبعد السيّد حسين القُميّ إلى العتبات العاليات في العراق بعد الواقعة. وصار مرجعاً أعلى لجميع الشيعة بعد وفاة السيّد أبو الحسن الأصفهاني وتوفي عام١٣٦٦ هـ. ق[1].

١٢ـ نهضة (فدائيان اسلام):

نهضة (فدائيان إسلام) حركة إسلاميّة سياسيّة ضدّ الاستعمار والاستبداد والانحرافات الفكريّة والعمليّة، استعملت أسلوب العنف والاغتيال مضافاً إلى النشاط السياسي والثقافي. أسّسها الشهيد السيّد مجتبى نواب الصفوي (١٣٠٣ـ ١٣٣٤ هـ. ش).

يقول الدكتور محمّد خير هيكل: ومن المنظّمات الّتي تذكر في هذا المجال ـ أي القيام باغتيال الشخصيّات الّتي تحكم عليها المنظّمة أو الجمعيّة بالخيانة للدّين، أو الوطن ـ جمعيّة (فدائيان إسلام) الإيرانيّة.

جاء في القاموس السياسي، في التعريف بهذه الجمعيّة، ما يلي:

---

(١) نهضت روحانيون إيران، ج ٢ ص ١٥٩-١٦٢.

(فدائيان إسلام: جمعيّة سياسيّة إيرانيّة، ذات طابع عقائدي، لعبت دوراً بارزاً في الصّراع السياسي في إيران، بعد الحرب العالميّة الثانية: يُنسب إنشاؤها إلى (نوّاب صفوي). ومن مبادئها أنّ اغتيال الخونة ضدَّ الدّين والوطن لا يُعتَبر جريمة. ومن ثمّ ارتبط اسمها بعددٍ من الاغتيالات. لاسيّما بعد أن أصبحت تأتمر بأمر الزعيم الديني (آية الله كاشان) بعدَ سجن رئيسها (نوّاب صفوي). ففي ٧ / مارس آذار ١٩٥١ اغتال أحد أعضاء (فدائيان إسلام) رئيس الوزراء، الجنرال (رازمارا) بسبب سياسته البترولية الموالية للغَرب)[1].

ويلاحظ عليه أوّلاً: بأن ارتباط جمعيّة (فدائيان اسلام) بالزعيم الديني آية الله الكاشاني ما كان في غياب السيّد نواب الصفوي بل كان منذ أوائل تأسيس تلك الحركة.

وثانياً: أنّ تبني الحركة لفكرة الاغتيالات كان ناشئاً عن مبنىً فقهي وسياسي تتبنّاه الحركة استقلالاً، وما كان متأثّراً بارتباطها بالسيّد الكاشاني.

وثالثاً: انّ علاقة الحركة بالسيد الكاشاني كانت في بداية الأمر ووسطه، وقد حصلت برودة في الآخر بسبب بعض الخلافات وعدم التفاهم.

وعلى أيّ حال فأهم النشاطات التي قامت بها الحركة ما يلي:

أ ـ النشاط الديني والثقافي والدّعوة إلى تطبيق الأحكام الإسلاميّة في جميع المجالات الفرديّة والاجتماعيّة. وهذا النشاط كان يظهر في الخطابات التي يدلي بها قادة الحركة وبث المناشير ونشر الكتب.

ب ـ النشاط السياسي والمشاركة الفعّالة في الكفاح ضدّ الظلم والاستبداد بتدشين المظاهرات والإضرابات واللّقاء بالشخصيّات والمشاركة الفعّالة بالانتخابات.

ومن هذا القبيل أسفار السيّد نواب صفوي إلى مصر وسوريا والأردن ولبنان وفلسطين والعراق، والالتقاء بقادة أخوان المسلمين في مصر، والملك

(١) الجهاد والقتال في السياسة الشرعيّة، ج ٣ / ١٦٧٥ نقلاً عن القاموس السياسي، ص ٨٥٦.

حسين في الأردن، وتأثّر ياسر عرفات بلقائه بالسيد النواب ومشاركة الأخير في بعض المؤتمرات الإسلاميّة والدعوة إلى الوحدة الإسلاميّة والتقارب بين المذاهب.

ج ـ الاغتيالات والعمليات العسكريّة وأهمّها:

كان من النشاطات المهمة لنهضة (فدائيان اسلام) تعبئة المقاتلين للدفاع عن فلسطين، فإنّه بعد احتلال الصهاينة لفلسطين هاج الشارع العامّ الإيراني، فأقامت الحركة تحت إشراف السيّد الكاشاني والسيّد الصفوي، اجتماعاً جماهيريّاً لتعبئة المقاتلين وإرسالهم إلى فلسطين للوقوف إلى جنب المقاتلين المسلمين العرب.

وأما الاغتيالات فهي:

١ـ اغتيال أحمد كسروي:

وكان أحمد كسروي كاتباً نشر مقالات وكتباً ضدّ الإسلام، وادّعى النبوة والإتيان بدين جديد، وأهان القرآن والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، بل أحرق القرآن وكتاب الدّعاء (مفاتيح الجنان). وأثارت مواقفه اللادينيّة موجة الغضب في ما بين المتدينين في إيران والعراق. وكان السيّد مجتبى النوّاب الصفوي طالباً في الحوزة العلميّة بالنجف، ومرتبطاً بعلماء من قبيل العلاّمة الأميني والشهيد السيد أسد الله المدني والشيخ محمّد الطهراني. ولمّا عرف أنّ كسروي بفعله وقوله أصبح مهدور الدّم وحكم عليه العلماء بذلك، انبرى لتنفيذ حكم الإعدام في حقه، فرجع إلى إيران. وبعد أن التقى بكسروي عدّة لقاءات بغية هدايته، وشاهد عناده، صمّم على اغتياله، إلاّ أنّ قيامه بذلك لم يفلح بالقضاء على كسروي، بل جرحه فقط. وقامت العدليّة نتيجة لضغوط العلماء بتشكيل ملفّ لإدانة كسروي. فقامت جماعة (فدائيان اسلام) التابعة للسيد نواب فنفذت الحكم الشرعي بإعدامه في قاعة المحكمة عام ١٣٢٤ هـ.ش، وكان قاتله هو الشهيد السيّد حسين الإمامي[1].

(١) نهضت روحانيون ج ٢ ص ١٩٥ ـ ١٩٨.

٢ـ اغتيال عبدالحسين هزير:

كان هزير وزيراً للدربار (البلاط الملكي) وكان عنصراً موالياً للغرب، وتدخّل في انتخابات الدورة ١٦ من مجلس الشورى الوطني. ولم يسمح بانتخابات حرّة، ومنع من انتخاب الشخصيات الدينيّة والوطنية مثل السيّد الكاشاني والدكتور مصدق وجماعته من الجبهة الوطنيّة. وإنّ قيام (فدائيان اسلام) لاغتيال ذلك الوزير على يد السيّد حسين الإمامي هو الذي أزال المانع، فدخل أولئك المجلس وبدأ التغيير يحصل في البلاد في سبيل تأميم النّفط وتحرير إيران من براثن سلطة بريطانيا. وكان ذلك عام ١٣٢٩ هـ. ش.

٣ـ اغتيال الجنرال رزم آرا:

بعد أن دخل السيّد الكاشاني ومصدق وجماعته في المجلس، قدّموا أطروحة تأميم النفط وخلع يد بريطانيا عن تلك الثروة الشعبيّة. إلّا أنّ رئيس الوزراء الجنرال رزم آرا العميل لبريطانيا كان حجر عثرة أمام تأميم البترول الإيراني. فانبرى له السيّد خليل طهماسبي أحد فدائييّ الحركة يوم ١٦ اسفند عام ١٣٢٩ واغتاله في طهران. وبذلك ارتفع الحاجز عن ثورة التأميم، فتم التصديق عليه من قبل المجلس يوم ٢٤ اسفند من ذلك العام. وكان ذلك مقدّمة لتصدي مصدق لمنصب رياسة الوزراء.

نهاية المطاف لحركة (فدائيان اسلام):

في دولة حسين علاء قررت إيران أنّ تنضم إلى الميثاق العسكري الإستعماري (السنتو) في بغداد. وحاول رجال (فدائيان اسلام) القضاء على حسين علاء، إلّا أنّهم لم يفلحوا في ذلك، فألقي القبض عليهم عام ١٣٣٤هـ. ش وحوكموا محاكمة ظالمة. وحكم بالإعدام عليهم وهم السيّد مجتبى النواب الصفوي، ومساعده السيد عبد الحسين الواحدي، والسيّد محمّد الواحدي، وكان شقيقاً للسيد عبدالحسين، وخليل الطهماسبي، ومظفر ذو القدر. ونفذ الحكم فيهم

صبيحة يوم ٢١ ذي الحجة سنة١٣٣٤ هـ.ش. رحمة الله عليهم وتغمّدهم بجنانه وروحه وريحانه(١).

١٣ـ ثورة تأميم النفط ونضال آية الله كاشاني:

منذ أن اكتشفت آبار النفط في إيران كانت بريطانيا هي المسيطرة عليه. وما كانت حصّة دولة إيران إلّا ١٧٪ منه وحوالي ٨٣٪ منه كان لبريطانيا. واستمر هذا الوضع المأساوي عشرات السّنين، إلى أن نهض لتأميم النفط وتحرير إيران من سلطة بريطانيا الزعيم الديني آية الله الكاشاني (المتوفى عام ١٣٨٠ هـ.ق). وكانت لهذا العالم الكبير سوابق جهاديّة كبيرة ضدّ الاحتلال البريطاني للعراق في الحرب العالميّة الأولى وفي ثورة العشرين. ثمَّ نُفي إلى إيران واستمر بجهاده ضدَّ الاستعمار والاستبداد. وسجن ونفي عدّة مرّات إلى أن تزعم الثورة الشعبيّة الإيرانية العارمة لتأميم النفط. وكان عدّة من علماء الحوزة من قبيل آية الله السيّد محمّد تقي الخوانساري قد أيّدوا تلك الثورة. كما أنّ النشاطات السياسيّة والعسكريّة لفدائيان اسلام الدور البارز في الثورة. ومن السياسيّين كان لمصدّق السلطة وجماعته من الجبهة الوطنيّة الدّور المتميز في إدارة ثورة تأميم النّفط.

وبعد تلك الثورة تصدى مصدّق لرياسة الوزراء من سنة ١٣٣٠إلى عام١٣٣٢ هـ.ش. حين سقط بالانقلاب العسكري الذي دبّره الجنرال زاهدي في صالح الشاه محمّد رضا البهلوي.

١٤ـ حركة السيّد محمود الطالقاني وجمعيّة (نهضت آزادي)

من الشخصيّات الدينيّة الّتي لعبت دوراً بارزاً في السّاحة السياسيّة في عصر حكومة محمّد رضا البهلوي، هو المرحوم آية الله السيّد محمود الطالقاني (المتوفى ١٣٥٨ ش) فقد كان عالماً ومفسّراً للقرآن ومرتبطاً بالعلماء الثوريين أمثال آية الله

---

(١) نهضت روحانيون، ج ٢ / ص ٢٠٩. وكذلك كتاب (فدائيان اسلام) تاريخ، انديشه، سيد هادي خسرو شاهي ص ٣٥ ـ ١٤٥.

الكاشاني والسيّد نواب الصفوي. كما كان له ارتباط عميق بالسياسييّن الوطنييّن كمصدق وجماعته، وكذلك الميالون إلى الدين من قبيل مهندس بازركان ويد الله سحابي. ومن هذا المنطلق شارك مشاركة فعّالة في تأسيس حركة (نهضت آزادي) وإن كانت هذه النهضة الغالب عليها أفكار مشبوهة بالعلمانيّة وتسرّب إليها بعض هواة الغرب. وكان للسيد الطالقاني دورٌ في قضايا الثورة الإسلاميّة بقيادة الإمام الخميني + . وكان من العلماء الثورييّن الذين عانوا عذاب السّجون في زنزانات البهلوي، إلى أن أفرج عنه، عند تصعيد المدّ الثوري في إيران عام ١٣٥٧، وكان أحد أعضاء مجلس الثورة الإسلاميّة الذي عينه الإمام الخميني لإدارة الثورة. وكان أول امام جمعة في طهران بعد انتصار الثورة الإسلاميّة. كما شارك في مجلس الخبراء لتدوين الدستور إلى أن توفي عام ١٣٥٨ ش.

١٥ـ الثورة الإسلاميّة بقيادة الإمام الخميني + :

إنّ الثورة الإسلاميّة في إيران بقيادة الإمام الخميني + (١٣٢٠ ـ ١٤٠٩ هـ.ق)، هي أعظم الثورات والانتفاضات التي تفجّرت في وجه الاستعمار والاستبداد والانحراف لا في إيران فحسب، بل في كلّ البلدان الإسلاميّة في القرون الأخيرة ،من ناحية العمق الديني والشرعيّة الإسلاميّة والسعة الجماهيريّة، ومن جهة مدى التّأثيرات الثقافية والسياسيّة والاجتماعيّة في كلّ العالم.

انفجرت الثورة الإسلاميّة عام (١٣٨٣ ق ١٩٦٣م). وكانت واقعة ١٥خرداد عام ١٣٤٢ هـ. ش، هي نقطة الإنطلاق.

وسبب الانفجار هو تحرّش نظام محمّد رضا البهلوي العميل للأجانب والموالي لأميركا وإسرائيل، والغاصب لحقوق الجماهير، بالإسلام وأحكامه الشّريفة. الأمر الّذي أثار موجة غضب جماهيريّة عارمة بقيادة علماء الدّين وعلى رأسهم الإمام الخميني. فإنّه ألقى خطابه التاريخي في عصر يوم عاشوراء عام ١٣٨٣في الفيضيّة مندّداً بنظام الشاه، بسبب اعتدائه على الإسلام، وعمالته لأميركا وإسرائيل. وألقي القبض عليه بعد يومين. وهرعت الجماهير

في صبيحة ذلك اليوم(١٥ خرداد) مستنكرين اعتقال الإمام. فواجهت قوّات الشاه المتظاهرين بعنف، حيث سقط الآلاف ضحايا برصاص الأعداء. وبعد الإفراج عن الامام، أعاد الكرّة على النظام البهلوي، حيث صوّب النظام حقّ الكابيتولاسيون (أي حقّ الحصانة للأميركييّن). وأبعد إثر ذلك إلى تركيا، ثمَّ إلى النجف. وواصل العلماء من تلامذة الإمام وسائر المتأثرين به حركته في الداخل، فمُلِئت السجون منهم. وواصل الإمام حركته العلميّة والسياسيّة في النجف الأشرف وطرح هناك فكرة ولاية الفقيه، أي مشروع الحكومة الإسلاميّة في عصر غيبة الإمام المهدي # بصورة تفصيليّة. وبعد وفاة نجل الإمام وهو الشهيد السيّد مصطفى، وطرح قضيّة الإمام بصورة جماهيريّة وعلنية عام ١٣٥٦ ش، واهانة النظام للإمام الخميني منخلال المقال الذي طبع ونشر في جريدة (اطلاعات)، نشبت المظاهرات والاجتماعات إلى أن تصاعدت الأحداث ورجع الإمام من منفاه الأخير (باريس) منتصراً.فسقط النظام الشاهنشاهي يوم ٢٢ بهمن سنة ١٣٥٧ ش. وبنى الإمام بدعامة الجماهير على انقاضه نظام الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران.

والثورة الإسلاميّة في واقعها كانت إصلاحيّة إنقلابيّة جماهيريّة، ودافعها ديني، وأهدافها إسلاميّة إصلاحيّة، ولم يضطرّ الإمام إلى استعمال العنف فيها، بل كان يدعو الجماهير المتظاهرة إلى تقديم باقات الورود إلى الجيش الشاهنشاهي المسلّح الّذي جاء لإراقة دمائهم. وانتصرت هذه السياسة الحكيمة لأنها أسرتِ الجنود من باطن قلوبهم، فبدأ الجنود وهم أبناء الشّعب يوجّهون بنادقهم صوب العملاء ويلتحقون بصفوف الجماهير. فما كانت تلك الثورة مسلّحة ولا كانت متّسمة بالعنف والإرهاب حتّى المشروع منهما.

نعم هناك مجموعات مسلّحة معدودة بالأصابع اتّخذت سياسة العنف في ضرب أزلام النظام البهلوي، لكنّها كانت بضآلة مفرطة، بحيث لاتحسب شيئاً مذكوراً في عرض الثورة الجماهيريّة غير المسلّحة. وتلك المجموعات يمكن أن

تصنّف إلى أصناف ثلاثة:

أ ـ الشيوعييّن، وهي منظَّمة (چريكهاى فدائى خلق) ولم تكن لهم عمليّات عسكريّة إلّا ماحدث في منطقة سياهكل الشمالية حيث قتلوا نفراً أو نفرين من قوّات الأمن هناك.

ب ـ الالتقاطييّن، وهم منظَّمة (مجاهدي خلق) ولم تحدث لهم إلّا عمليّة واحدة في قتل شخص من الشرطة. وهذه المنظّمة كان يطبّل ويزمّر لها. واتّخذها النظام البهلوي مستمسكاً لضرب الثورة الإسلاميّة باسم (الإسلام الشيوعي)، حيث كانوا يعتقدون بنظام فكري مزيج من الإسلام والشّيوعيّة. ووقفت هذه المنظّمة موقف العداء للثورة الإسلاميّة بعد انتصارها. وقامت باغتيالات عديدة للشخصيّات الإسلاميّة مثل آيةالله الشهيد الدكتور بهشتي و٧٢ من شهداء الحزب الجمهوري الإسلامي، وشهداء المحراب من أئمّة الجمعة وغيرهم، وأصبحت عميلة لصدّام المعتدي على إيران، وحربة بيد أميركا لضرب الثورة الإسلاميّة.

ج ـ المسلمين الملتزمين بالإسلام وولاية الفقيه مثل:

١ـ (هيأت مؤتلفة اسلامي) فهم مجموعة من العناصر المتديّنة. وأغلبهم من كَسَبة السوق، وكان لهم دور في نشر أفكار الإمام الخميني في ما بين السوق، والنشاطات الدينيّة وتنظيم المسيرات. وكانوا مرتبطين بعلماء الدين ومقلّدين للامام الخميني. وبعد إبعاده عن إيران في زمن رياسة حسن عليّ منصور رئيس الوزراء، صمّم أعضاء الهيئة على تنظيم وحدة عسكريّة من أجل اغتيال الشاه أو رئيس الوزراء وسائر الطواغيت. وبعد أن أحرزوا شرعيّة ذلك الإقدام باعتبار أنّ حسن عليّ منصور من مصاديق المفسدين في الأرض ومهدوري الدّم لدى علماء الدّين، قاموا باغتياله في أول بهمن عام ١٣٤٣ هـ. ش وألقي القبض عليهم وحكم بالإعدام على أربعة منهم وهم الشهيد الحاج صادق أماني والشهيد محمّد بخارائي والشهيد مرتضى نيك نزاد والشهيد رضا صفّار هرندي عام(١٣٤٤-١٣٨٥ هـ. ق).

واستمرّت نشاطات الهيئة بشكل ثقافي وسياسي، إلى أن انتصرت الثورة وكان لعناصر الهيئة أمثال الشهيد مهدي عراقي والشهيد السيّد عليّ أندرزكو وغيرهما أدوار بارزة في الثورة الإسلاميّة. وكانوا مرتبطين بثلاثة من العلماء وهم الشهيد مرتضى المطهّري والشهيد الدكتور بهشتي والشيخ محيي الدين الأنواري[1].

٢ـ عدّة مجموعات فدائيّة مؤمنة كانت نشطة قبل الثورة الإسلاميّة تسمى باسم: أمّت واحده، توحيدي بدر، توحيدى صف، فلاح، فلق، منصورون وموحدين. وكانت لهم عمليّات عسكريّة أهمّها اغتيال الجنرال الأمريكي پل كريم‌الحاكم في شركة النفط في الأهواز، إذ كان حجر عثرة أمام الإضراب في شركة النفط عام ١٣٥٧، فلمّا اغتالته جماعة (موحدين)[2] عمّ الإضراب شركة النفط فقطع به شريان حياة نظام‌الطاغوت وكان ذلك الإضراب من عوامل انتصار الثورة الإسلاميّة.

الثّورة الإسلاميّة في مهبّ رياح الإرهاب:

إنّ الثورة الإسلاميّة كما أشرنا ـ في طابعها العامّ ما عدا الموارد المستثناة ـ لم تتّخذ أسلوب العنف والإرهاب حتّى بالنسبة إلى عدوّها اللدود، أي نظام الشاه وأزلامه، وإن كانت تتعرّض للعنف من قبله، حيث سقط عشرات الآلاف من أفراد الشعب العزّل من السّلاح ضحايا سلاح العنف والاستبداد، مضافاً إلى المئات أو الآلاف الذين راحوا ضحايا التعذيب في السجون أو على المشانق. وبعد الانتصار وقعت الثّورة في مهبّ رياح العنف من عدّة جبهات:

---

(١) يراجع كتاب خشونت قانونى، كاظم مقدم ص ٢٤١ ـ ٣٠١ طبع انتشارات محدث ودفتر نشر بركزيده، طهران عام ١٣٨٠ ش.

(٢) كان القائم بتلك العمليّة الجريئة والتاريخيّة مناضلين من طلبة العلوم الدينيّة في الأهواز، وهما المرحوم الحجّة الشيخ عبدالهادي الكرمي المتوفى عام ١٣٨٦ هـ.ش، والمرحوم الحجة السيد محمد الموسوي المتوفى ١٣٦٤ هـ. ش.

أ ـ المنظّمات الإرهابيّة الداخليّة مثل جماعة فرقان التطرفيّة، حيث قامت في الأيّام الأولى بعد الانتصار باغتيال شخصيّات بارزة مثل المفكّر الشهيد مرتضى المطهّري والجنرال قرني وشهيد المحراب السيّد القاضي الطباطبائي أوّل إمام جمعة في تبريز والشيخ الهاشمي الرفسنجاني، إلّا أنّ الأخير لم يستشهد بعد الجرح. وكذلك منظّمة مجاهدي خلق الّتي أطلق عليها عنوان المنافقين، حيث قامت باغتيال شخصيّات من قبيل الشهيد الدكتور بهشتي رئيس القوّة القضائيّة وجمع من الوزراء ونواب الشعب في مجلس الشورى الإسلامي في واقعة ٧ تير عام ١٣٦٠، والرئيس الشهيد رجائي والشهيد الدكتور باهنر رئيس الوزراء والعشرات من أئمّة الجمعة وعلماء الدّين والمئات من المتحمّسين للثورة الإسلاميّة. كما أنّها استهدفت آية الله السيد عليّ الخامنئي بتفجير منصّة الخطاب الّتي كان واقفاً أمامها لإلقاء الخطبة في مسجد أبي ذرّ بطهران في ٦ تير عام ١٣٦٠ إلّا أنّ الله قد أنجاه من ذلك الاغتيال، فأصبح من معوّقي الثورة، أبقاه الله ذخراً لقيادتها بعد وفاة مفجّرها الإمام الرّاحل.

ب ـ الحرب المفروضة على إيران على يد البعث العراقي بقيادة صدّام حسين التكريتي التي استمرّت ثماني سنوات، حيث اعتدى على أراضي الجمهوريّة الإسلاميّة، وخرّب عشر مدن، وسحق مئات القرى وقتل ما يناهز مئتين وخمسين ألفاً من هذا الشعب المظلوم. وقد استعمل المواد الكيمياويّة وبقيّة الأسلحة المحظورة دوليّاً، ولم يستنكر عمله المنظّمات الدّوليّة، ولا الشرق ولا الغرب. بل كانت بعض الدول الغربيّة وعلى رأسها أميركا مضافاً إلى الاتحاد السّوفيتي، تمدّه بالعتاد والحماية الاستطلاعيّة والدّعم السّياسيّ مضافاً إلى ما كان يقوم به أنظمة المنطقة من دعم مالي ولوجستي لصدّام الذي أصبح بلاءً عليهم، وصدق بذلك حديث الرسول ﷺ: **من أعان ظالماً سلّطه الله عليه.**

ج ـ بعض المنظّمات القوميّة الّتي شنّت أعمال الشَّغب ضدّ النظام

الاسلامي والّتي كانت ولا تزال تدعم من قِبل المراكز الاستخباراتيّة الإميريكيّة والإسرائيليّة.

ومع هذا الواقع الصّريح حيث علم الجميع بأنّ إيران هي الضحيّة الأولى للإرهاب، أصبحت متّهمة من قبل المراكز الغربيّة بالعنف والإرهاب!

استمرار الثورة الإسلاميّة في الجبهة الأماميّة لمقارعة الاستعمار:

إنّ موقف الثورة الإسلاميّة ضدّ الاستعمار الغربي خاصّة الصّهاينة، يعتبر من المواقف المسلّمة وألفبائها. وأخذ هذا الموقف أبعاداً وسيعة بعد انتصارها وتشكيل الجمهوريّة الإسلاميّة. ومن نماذج ذلك: احتلال وكر الجاسوسيّة الأميريكي، وتعرّضها للحظر الاقتصادي والمواجهة السياسيّة والإعلاميّة الشرسة، وإعلان يوم القدس العالمي من قبل الإمام الخميني ودعوة المسلمين إلى الدفاع عن القدس وفلسطين المحتلّة، والدّعم السياسي والمالي والثقافي للانتفاضة الإسلاميّة الفلسطينيّة واللبنانية، وما إلى ذلك من مواقف حاسمة. وهذا الموقف الصّريح لم يكن في زمن قيادة الإمام الخميني + فقط، بل استمرّ بعد رحيله وتصدّي خلفه الإمام الخامنئي لقيادة الثورة. بل أخذ عمقاً ومساحة واسعة بعد ذلك. وما قضيّة الملفّ النّووي وفرية الإرهاب والضغوط الّتي تواجهها من قبل أميركا والغرب إلّا ثمن باهض تدفعه الجمهوريّة الإسلاميّة بسبب مواقفها الحاسمة ضدّ الصّهاينة وعدم خضوعها للمشاريع الاستسلاميّة.

أفغانستان

أفغانستان بلد له مواصفات جغرافيّة خاصّة وموقع استراتيجي مهم، جعله مطمحاً لأنظار المستعمرين الغربييّن قديماً وحديثاً.

وقد وقف أهل ذلك البلد بكلّ قوّة بوجه المستعمرين وأفلح في أكثر مواقفه. وإليكم هنا نماذج من تلك المواقف.

١ـ حينما غزت القوّات الإنجليزيّة المسيطرة على قارّة الهند، بلاد أفغانستان عام ١٨٣٩م، وقف الأفغانيون بوجه الألوف من الغزاة الإنجليز وقضوا عليهم عن آخرهم، ولم ينج منهم إلّا شخص واحد بعد مقاومة استمرّت ثلاث سنين، فانتصر الشعب الأفغاني عام ١٨٤٢م[1].

٢ـ مرّة أخرى انتفض الشعب الأفغاني عام ١٩١٩م بوجه بريطانيا إثر التعاليم الثوريّة الإسلاميّة الّتي تركها السّيّد جمال‌الدين الأسدآبادي هناك فاضطرّت بريطانيا للاعتراف باستقلال أفغانستان[2].

٣ـ نهضة علماء الدين والشباب الّتي قادها محمّد طرزي أحد تلامذة السيد جمال الدين عام ١٩٢٤ في وجه أمان الله خان عميل بريطانيا الّذي أراد أن يستورد الثقافة الغربيّة على طراز ما عمل آتاتورك في تركيا ورضا خان في إيران.

٤ـ الثورة الإسلاميّة الأفغانيّة في وجه المدّ الشيوعي الّتي استمرّت خمسة عشر عاماً، حيث بدأت عام (١٩٧٣م ١٣٥٢ ش) إثر الانقلاب العسكري الشيوعي الذي دبّره داود خان، والذي أسقط فيه النظام الملكي بزعامة ظاهرشاه. واستمرّت

(١) جنبشهاى آزادى بخش، حزب جمهورى اسلامى ص ٤٥.
(٢) المصدر نفسه، ص ٤٧.

زمن رياسة محمّد تره كي وحفيظ الله أمين وببرك كارمل، وانتهت عام (١٩٨٨- ١٣٦٧ش) بخروج العساكر الرّوسيّة وانتصار المجاهدين الأفغان، وتشكيل دولة إسلاميّة في ذلك البلد. وقد تشكّلت أكثر من ٢٦ منظّمة جهاديّة خلال تلك السنين وأهمّها ما يلي:

١ـ الجمعيّة الإسلاميّة بزعامة برهان الدين ربّاني.

٢ـ المَنظّمة الإسلاميّة لنصر أفغانستان بزعامة مجموعة من علماء الدين الشيعة.

٣ـ الحركة الإسلاميّة في أفغانستان بقيادة آية الله الشيخ محمّد آصف المحسني من علماء الشيعة لأفغانستان.

٤ـ الحزب الإسلامي بزعامة كلب الدين حكمت يار.

٥ـ حزب العلماء المحمديّة بقيادة صبغت الله مجدّدي.

وقد حصل بين كثير من تلك الأحزاب ائتلافات وتحالفات تحت عنوان الجبهة وغيرها[1].

وكان الأفغان العرب بزعامة الشيخ عبدالله عزّام الفلسطيني وبن لادن السعودي من الناشطين في جهاد الأفغان، وكانت لهؤلاء وكذلك لكثير من الأحزاب والمنظّمات الأفغانيّة علاقات وثيقة بأمريكا التي كانت تمدّهم بالسّلاح وغير ذلك.

والظريف أنّه لم يصدر عن أمريكا ولا أيّ جهة غربيّة اتّهام توجّه إلى أولئك المجاهدين بأنّهم إرهابيّون. وهذا ممّا يكشف لنا المقصود الحقيقي لمعنى الإرهاب في لغة الأمريكان!

---

(١) جنبشهای آزادی بخش، حزب جمهوری اسلامی، ص ٢٧ ـ ٢٩، وكتاب (مردی استوار واميدوار به فقهای دور به) اهتمام احمدشاه فروزان ص ٥٦٧، ٥٦٨.

العراق

العراق هو البلد الإسلامي الآخر الذي كان مطمحاً لأنظار الاستعمار ومعتركاً بين الكفّار الغزاة أو المستبدّين العملاء، وبين الجماهير الناهضة بقيادة العلماء.

وأهمّ النهضات العراقيّة في القرن العشرين ما يلي:

١ـ حركة الجهاد ضدَّ المحتلّين الإنكليز:

بعد إعلان الحلفاء الأوروبيّن الحرب على الدولة العثمانية، وبدء الاحتلال الإنكليزي للعراق بغزو ميناء الفاو، في السادس من تشرين الثاني عام ١٩١٤،أصدر كبار العلماء المسلمين الشّيعة فتاوى تدعو إلى الجهاد ومقاومة الاحتلال الإنكليزي وتأييد العثمانيين في الحرب، وكان السيّد محمّد كاظم اليزدي صاحب العروة الوثقى (١٢٤٧ـ١٣٣٧هـ.ق) على رأس المجتهدين الذين لعبوا دوراً بارزاً في ذلك. فقد القى خطاباً تاريخيّاً في صحن حرم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وحثّ الناس على الدفاع عن البلاد الإسلاميّة وأكد وجوب ذلك حتى على الغني العاجز بدنيّاً بإسناده الفقير مالياً، وبعث نجله السيّد محمّد إلى بغداد وكربلاء والمناطق العشائريّة الجنوبيّة لينوب عنه في استنهاض العشائر إلى الجهاد.

ومن علماء النجف الذين أفتوا بالجهاد أو دخلوا في عمليّات القتال: شيخ الشريعة الأصفهاني، والسيّد محمّد سعيد الحبّوبي والشيخ محمّد حسين آل‌كاشف الغطاء، والشيخ عبدالكريم الجزائري، والسيّد مصطفى الكاشاني، والسيّد أبوالقاسم، والسيّد محسن الحكيم.

ومن سامراء أفتى الشيخ محمّد تقي الشيرازي بوجوب محاربة الكفّار الإنكليز، وأرسل نيابة عنه نجله الشيخ محمّد رضا إلى الكاظميّة للانضمام إلى

المجاهدين. ومن الكاظميّة السيّد مهدي الحيدري والشيخ مهدي الخالصي قادا الدعوة للجهاد وأشرفا على تطوّع المجاهدين. وأمّا الشيخ الخالصي فقد أصدر فضلاً عن فتوى الجهاد، حكماً شرعيّاً أوجب فيه على المسلمين، صرف جميع أموالهم في الجهاد حتى تزول غائلة الكفر، ومن امتنع عن بذله، وجب أخذه منه قهراً. كما وقام أيضاً بنشر رسالة عنوانها (السيف البتّار في جهاد الكفّار) تعرّض فيها لمسألة الجهاد في الإسلام.

ومن كربلاء فقد انضمّ عدد من علمائها مثل السيّد عليّ التبريزي والميرزا مهدي الخراساني وغيرهما إلى علماء النجف الذين توجهوا إلى جبهة القتال.

وقد استجاب الآلاف لنداء العلماء وخرجوا متطوّعين للقتال. وكانت قوافل وسفن المجاهدين تنطلق من ثلاثة مراكز عبر نهري دجلة والفرات على شكل مواكب مهيبة، ينشد خلالها المجاهدون الأهازيج الشعبيّة، وكذلك (الهوسات) التي كانوا يطرون بها أحياناً بعض زعمائهم. وكانت السفن تتوقف أياماً عديدة على شواطئ المدن ليقوم العلماء والمجاهدون بتعبئة العشائر وحضّهم على الجهاد. وكانت أهمّ جبهات القتال ثلاثاً: جبهة القرنة والشعيبة في العراق، وكانت الثالثة في إيران وهي: الأهواز، حيث دارت معارك عنيفة ضدّ القوّات البريطانية. غير أنّ أقوى المعارك وأكثرها حماساً هي تلك التي وقعت في جبهة الشعيبة في (١٤نيسان ١٩١٥) واشترك فيها بشكل أساسي المجاهدون والعلماء الذين يتزعّمهم السيّد الحبّوبي.

هذه المعركة التي اعتبرت (الواقعة الحاسمة) في تاريخ الاحتلال الإنكليزي للعراق أسفرت عن سقوط آلاف الضحايا من المجاهدين. وكان القائد العثماني سليمان عسكري، قد أمر بانسحاب الجيش العثماني نحو مدينة الناصريّة، وقد أعقب ذلك بدأ انسحاب المجاهدين والعلماء تدريجيّاً إلى مناطقهم الأصلية، ثمّ انسحابهم نهائيّاً بعد أن توقّفت الأعمال الحربيّة في جبهات البصرة في ١٤ آب ١٩١٥. وبذلك انتهى الطور الأوّل لحركة الجهاد في العراق، الذي اتّسم

خلاله بالمقاومة المسلحة شبه النظامية، وكذلك بالتعاون الوثيق بين المجاهدين المسلحين الشيعة بشكل أساسي والعثمانيين.

أمّا عدد المجاهدين، شبه النظاميين الذين اشتركوا في معارك الجبهات الثلاث، فقد اختلفت المصادر في تقديره، فبلغ ـ حسب أحد هذه المصادر ـ نحو ثمانية عشر ألف مجاهد، إضافة إلى ثلاثة آلاف مجاهد من قبائل الأهواز، في حين بلغ عدد القوّات العثمانية في هذه الجبهة نحو سبعة آلاف وستمائة عسكريّ، حسب التقارير العثمانية الرسميّة. هذا فضلاً عن عشرات الآلاف من المتطوّعين الذين سجّلوا أسماءهم في النجف وكربلاء والكاظميّة وبغداد كاحتياطيين بسبب قلة السلاح. أمّا عدد القتلى والأسرى من المجاهدين فقد قدّر بالآلاف، وكان بينهم عدد من العلماء منهم: الشيخ باقر حيدر والشيخ عيسى مال الله والسيّد محمّد، نجل السيّد اليزدي المرجع الأعلى للشيعة آنذاك[1].

وكانت القيادة العسكريّة العامّة بيد الضّباط العثمانييّن. وكان عدم انسجامهم في تدبير المقاومة، أو شيخوخة الحكومة العثمانية من العوامل الرئيسة لانحسار حركة الجهاد وتقدم الجيوش المحتلّة. ولاشكّ أنّه لو قدّرت قيادة عسكريّة حكيمة وقويّة، لانتصرت على الاحتلال البريطاني وطردته مقهوراً من العراق، بما كانوا يملكون من طاقات بشريّة مؤمنة مستميتة في سبيل الدفاع عن بيضة الإسلام.

ما هو موقف شيخ الإسلام العثماني وأتباعه من أهل سنّة العراق في حركة الجهاد ؟

ما تلونا ذكره من حركة الجهاد يرتبط بالعلماء الشيعة وأتباعهم ومقلّديهم من أبناء العشائر والمدن العراقيّة. وكان هؤلاء هم الشريحة المنعزلة عن الحكم والمغضوب عليها من قبل أسياد الحكومة العثمانيّة. ولكن كانت هناك عشائر وعلماء من أهل السّنَّة وهم المسيطرون وأهل القدرة والأموال الطائلة بفضل دعم

(١) يراجع: كتاب تأريخ الحركة الإسلاميّة في العراق، عبدالحليم الرهيمي ص١٦٣ـ ١٧٢، الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ بيروت.

الحكومة العثمانيّة لهم، ولاشكَّ أنّ المفروض عليهم أنّهم كانوا يسجّلون لأنفسهم موقفاً في تلك الحركة، خاصّة وأنّهم كانوا هم المستفيدين من بقاء الحكومة العثمانية، وهم أصحاب السّلطة المهدّدون بالخطر لو قدّر الفشل لنظام الحكم. وهنا ينبغي أن نركّز على موقفهم وندرسه من خلال كتاب (الشيعة والدولة القويّة في العراق) للأستاذ حسن العلوي، وغيره من الكتب.

لم يكن من المستبعد أن يضع المشروع البريطاني لاحتلال العراق أثناء الحرب العالميّة الأولى عام ١٩١٤ في حسابه، الاعتماد على المنبوذين والمحرومين من حقوقهم المدنيّة، كفئات متصالحة أو مؤيّدة للحكم البريطاني القادم، وهو يرفع شعار تحرير الشعب العراقي من النير التركي، وإحلال عصر تسود فيه مبادئ الحرّيّة والمساواة والعدل، لاسيما أنّ التجربة السابقة في اعتماد المنبوذين قد أثمرت في الهند نتائج طّيبة لصالح الإنكليز.

ولّما كان الشيعة العراقيّون هم الذين وقع عليهم بشكل خاصّ الحرمان والاضطهاد طيلة الحكم العثماني، كان طبيعيّاً، من خلال هذا المنطق، أن يتعاون الإنكليز والشيعة على طرد الأتراك من العراق. ولاننسى أنّ الإنكليز كانوا قد انتصَروا للشيعة في بعض الحالات التي كانوا يتعرضون فيها لمذبحة أو لمشكلة مباشرة مع السلطة العثمانية. ففي حرب نجيب باشا عام ١٨٤٣ ضدَّ أهالي كربلاء، دخل القنصل البريطاني طرفاً لتسوية النزاع. كما تدخل الدبلوماسيّون الإنكليز في المشكلة الّتي تعرّض لها الإمام محمّد حسن الشيرازي أثناء إقامته في سامراء، أواخر القرن التاسع عشر لصالح الشيعة هناك. إلّا أنّ الإمام الشيرازي رفض مقابلة القنصل البريطاني، وبعث له من يبلّغه بكلمته، وهي (نحن مسلمون فلاحاجة لتدخّلكم بيننا) فرجع القنصل خائباً[1].

وكان بإمكان علماء الشيعة أن يخلدوا إلى مراكزهم، دون أن يوجّه

(١) يونس السامرائي، تاريخ مدينة سامراء، ج ٢ / ١٧٨، ط بغداد ١٩٧١.

إليهم لوم، حينما دخلت الجيوش البريطانيّة البصرة وأصدر شيخ الإسلام في اسطنبول فتوى الجهاد. ولديهم الكثير من الحجج السياسيّة والفقهيّة لتسويغ موقف القعود عن الجهاد كعدم ارتباطهم فقهيّاً بمركز الإفتاء في اسطنبول، وكون مشيخة الإسلام الرسمي في بغداد هي الممثلة الشرعيّة للمشيخة التركيّة، والتي يقودها علماء مرموقون كعبد الرحمن النقيب، ومحمّد سعيد النقشبندي، وعليّ الآلوسي ويوسف العطاء، فضلاً عن علماء المشيخة في البصرة كصالح باشا أعيان ورجب النقيب، وفي الموصل كعثمان الديوجي، وأحمد الفخري، وعدم اعتراف الدولة العثمانية بالمذهب الجعفري، وتعرّض الشيعة خلال الحكم العثماني الطويل إلى الاضطهاد المذهبي، وحرمانهم من أموال الأوقاف، وعدم شمولهم بالمنح السلطانيّة والإقطاعيات. والأهمّ من ذلك فإن لدى علماء الشيعة سنداً فقهيّاً واضحاً، قد يكون إلى جانب قعودهم عن الجهاد، ونعني قاعدة ابن طاووس التي تقول: إن الحاكم الكافر العادل أفضل من الحاكم المسلم الجائر.

ولم يكن أحد منهم مضطرّاً إلى التدليل على جور الحاكم التركي وظلمه، في وقت كان البريطانيون يلوّحون لهم بمبدأ ويلسن الأمريكي في حقّ تقرير المصير، كما يلوّحون لهم بالديمقراطيّة الغربية، وبأنهم جاءوا لتحرير هذه البلاد من جور الأتراك، كما يقول بيان الجنرال مود عند احتلاله بغداد.

لقد أصدر شيخ الإسلام في اليوم السابع من تشرين الثاني عام ١٩١٤، فتوى أعلن فيها بوصفه الرئيس الروحي، صاحب أرفع منصب ديني في الدّولة العثمانية، أنّ الجهاد فرض عين على جميع المسلمين في العالم، ومن بينهم الذين يعيشون تحت حكم بريطانيا، وفرنسا وروسيّا، أن يتّحدوا لمقاومة هذه الدول الثلاث عدوّة الإسلام، وأن يحاربوها ويحاربوا حلفاءها، وأن يمتنعوا ـ مهما تكن الحال، حتى حينما يكونون معرّضين لعقوبة الإعدام ـ عن مساعدة دول الحلفاء في هجومها على الدولة العثمانية(١).

---

(١) جورج انطونيوس، يقظة العرب، ص ٢٢٢، ط ١٩٨٢م.

وقد تُليت هذه الفتوى في جوامع بغداد جميعها في ٢٣ محرم ١٣٣٣، فما كان رد فعل الفتوى الرّسميّة لمشايخ الإسلام لدى علماء المشيخة في بغداد والبصرة والموصل؟

لقد تمّ التعتيم قدر المستطاع على ردود الفعل، ولم يُشر أحد بإدانة مباشرة من بين الحريصين على الإسلام العثماني، إلى علماء الدين المتخلفين عن الجهاد. وسبب هذا التعتيم، أنّ علماء المؤسّسة التركيّة لم يكتفوا بالقعود عن الجهاد، وإنّما بدأوا يتّصلون برجال الاحتلال البريطاني عارضين على الإنكليز تأييدهم. فقد عقد اجتماع مهم لهؤلاء العلماء والوجهاء في بغداد بدار عبدالرحمن الكيلاني نقيب الأشراف، والزعيم الروحي للطائفة القادرية أواخر عام ١٩١٥، واتّخذ الإجتماع قراراً مهمّاً بإرسال تأييد للإنكليز، وعرض المجتمعون تقديم المساعدة للقوات البريطانية. وكان هذا الاجتماع قد عقد في ظروف كان الإنكليز يواجهون فيها حصاراً شديداً فرضته القوّات الإسلاميّة في مدينة الكوت. والمجتمعون هم: موسى الباجه جي، وجميل زاده عبدالرحمن، ويوسف السويدي ويوسف الباجه جي وعبد الرحمن النقيب، وعبداللطيف ثنيان، ورشيد الهاشمي[1]. ولا نظن أحداً سيقتنع بصدق النقيب وقد تظاهر بالاعتراض. ومن جانب آخر رفع طالب النقيب التماساً إلى اللورد غليسفورد، نائب الملك في الهند يعرض فيه خدماته قائلاً: إني مستعدّ تماماً لوضع نفسي تحت تصرف الحكومة البريطانية ومساعدتها بكلّ إمكانياتي. إنّي في الوقت الحاضر لست صديقاً فحسب، بل حليف وأرغب في تكريس نفسي وإمكانياتي لأيّة خدمة تقتضيها بريطانيا[2]. ولم يستجب لدعوة الجهاد رجب النقيب والد السيّد طالب، ولا علّامة البصرة الشيخ صالح باش أعيان.

ومن المحتمل أنّ وضع الأتراك كان صعباً في فهم موقف هؤلاء الأشراف

---

(١) وميض عمر نظمي، الجذور السياسيّة والعسكريّة والاجتماعيّة للحركة القوميّة العربيّة (الاستقلالية) ص ١١١ عن وثيقة بريطانيّة.
(٢) المصدر نفسه ص ١١٢.

الذين سبق للدولة العثمانية أن أصدرت لائحة رسميّة عام ١٨٩٤ اعترفت فيها بخمس أسر من الأشراف مشمولة بالمنح السلطانية والامتيازات، فأثرت ثراءً لا حدود له وامتلكت إقطاعيّات واسعة، غير أنّها تعاونت مع قوّات الاحتلال، أو سكتت عنه. وهذه الأسر هي الكيلاني، وآل جميل، والآلوسي، والسنوي، والحيدري(١).

كما قعدت عن الجهاد أسر أخرى تنتسب رسميّاً إلى الرسول مثل السويدي، والطبقجلي، والراوي، فضلاً عن الأسر المعروفة في الموصل ذات النفوذ والثراء الواسع ،هي آل العمري، وآل الجليلي وآل الفخري. بينما رحّبت أسر آل الشاوي، وآل المنديل، وآل الصانع في البصرة بقوات الاحتلال، ولم يشترك في حركة الجهاد العلماء البارزون ممثلو المشيخة الرسميّة التالية أسماؤهم:

عبد الرحمن النقيب: نقيب الأشراف ورئيس بلدية بغداد.

محمد درويش الآلوسي: عضو مجلس إدارة بغداد، عضو مجلس التعارف.

نجم الدين الواعظ: قاضي بغداد.

أمجد الزهاوي: رئيس علماء بغداد.

عبدالوهاب النائب: عالم بغداد.

محمد سعيد النقشبندي: عالم بغداد.

محمود شكري الآلوسي: العلاّمة والأديب المعروف، لم يكن من علماء المشيخة لكونه وهابي المذهب.

علي الآلوسي: أنجمن الولاية.

قاسم القيسي: مفتي الجزيرة.

عثمان الديوه جي: عضو مجلس الأوقاف في الموصل.

ولم يشترك في حركة الجهاد من الشخصيات البارزة أمثال:

---

(١) في العراق عدد من العوائل تحمل هذا الاسم عربية وكرديّة، شيعيّة وسنيّة.

شوكت باشا، مصطفى الواعظ، عبد المحسن السعدون، عبد المجيد الشاوي، محيي الدين الكيلاني. وكان العسكريون العراقيون الذين يعتمدهم السلطان التركي ويغدق عليهم، والذين درسوا في مدارس عسكرية على نفقة الدولة العثمانية، وهي المدارس التي يرفض فيها قبول الشيعة، قد تحولوا في ساعات الحرج إلى الجانب البريطاني ومنهم: جعفر العسكري، نوري السعيد، ياسين الهاشمي، طه الهاشمي، ناجي شوكت، عارف قفطان، عبدالرزاق حلمي وغيرهم.

وعلى نطاق العشائر التي اعتمدها السلطان والولاة الأتراك في العراق، كانت ثلاث عشائر تحظى بثقة الباب العالي، وهي شمّر بزعامة الشيخ عجيل الياور...والدليم بزعامة الشيخ عليّ السليمان، وعنزة بزعامة الشيخ فهد الهذال. ولم يتحرك هؤلاء الشيوخ لنجدة حليفهم المسلم في وقت كانت تحت تصرّفهم قوى بشرية.

لقد ظهر في ما بعد أنّ هؤلاء الشيوخ شأنهم شأن علماء المشيخة في بغداد، كانوا قد اتّصلوا بالإنكليز وقدّموا لهم خدمات أمنيّة وعسكريّة مقابل أجور وامتيازات ورواتب قدّمت لهم.

انّ تحوّل هذه القوى والفئات الاجتماعيّة، وتنكّرها لعلاقاتها التاريخيّة بالدّولة العثمانيّة ووقوفها إلى جانب قوّات الاحتلال، لايثير درجة واحدة من الاستغراب. فمن طبيعة العشائر البدويّة أنّ تتحول من الموقف إلى ضدّه بسرعة، تبعاً لمصالح شيوخها الذين يفتقرون إلى الوعي الديني العميق. وليس مثيراً للاستغراب أن يتحول رجال الإدارة الحكومية من الولاء العثماني إلى الولاء البريطاني. إنّما ينبغي التوقف طويلاً لتحليل خروج علماء الدين البارزين على فتوى الجهاد وانتصارهم للعدو الذي يقاتل المسلمين ويسعى لاحتلال أرض الإسلام.

إنّ مثل هذا السؤال سيوجّه أيضاً وبدرجة أكثر من الاستغراب للعسكريين

العراقيين في الجيش العثماني الذين تحوّلوا إلى القتال بإمرة ضباط من جيش العدوّ ضدّ جيشهم[١].

ليس ثمَّة رابط يمكن أن يوصل بين هذه التشكيلات المتضادة، ولا عامل يمكن أنّ يستنجد به لتبرير ذلك التحوّل، إلّا أن نزعم بأنّ روح العبودية والخنوع للسلطة التّركيّة، على مدى سنوات طويلة قد سهّلت لهؤلاء المتحولين القيام بنفس الدّور، والتآلف مع جيش الاحتلال ليكونوا في جهازه الخدمي لحكم العراقيين، كما كانوا في جهاز الأتراك وأدواتهم المحليّة. أغلب الظن أنّ المفاجأة أذهلت واضعي المشروع البريطاني، لاحتلال العراق وهم يواجهون في ضواحي البصرة الّتي نزلت إليها القوّات البريطانية، مليشيات مقاومة وطنيّة يقودها علماء مسلمون من الذين كانوا يعانون حتى أثناء الحرب من اضطهاد تركي قومي ومذهبي مركب، وبكلمة أفصح علماء الشيعة، وهو التعبير الذي يتهرب منه الكتّاب الشيعة كي لايوصموا بالطائفيّة، والكتاب من غيرالشيعة لكي لايعطوا لهؤلاء دوراً بارزاً وأساسيّاً في تاريخ العراق[٢].

والواقع التاريخي الذي شهده العراق، منذ ما بعد ثورة العشرين حتى سقوط صدام عام ٢٠٠٣، أنّ تلكم الشّرائح من المجتمع العراقي الّتي لم تشارك في حركة الجهاد بل تحالفت مع المحتلّ، هي الّتي تصدّرت إلى سدة الحكم وترامت الحكومة من السالفين إلى اللاحقين منهم فتداولوها في ما بينهم، وبقيت الشّريحة الشيعيّة ليس لها نصيب إلّا الحرمان والانزواء بل المشانق والسّجون خاصّة في زمن صدّام حيث قضى على مئات الألوف منهم إنّ لم نقل الملايين.

---

(١) يستثنى من هؤلاء ضباط مقاتلون ولم يتراجعوا في معاركهم ضدّ القوّات البريطانية كالقائد العسكري محمّد فاضل الداغستاني وأمثاله.

(٢) يراجع كتاب: الشيعة والدولة القوميّة في العراق، حسن العلوي، ص ٦٠-٦٦، طبع دار الثقافة، قم عام ١٩٩٠.

٢ـ ثورة النّجف:

إنّ النجف بما يحتل من مكانة مرموقة دينيّاً وسياسيّاً، حيث المرقد العلوي الرفيع، واستقرار أعظم مراجع الشيعة هناك والحوزة العلميّة النجفيّة ومجموعات من النُخَب الواعية والنشطة، كان يحتلّ الصّدارة في تدشين الحركات والثورات ضد الاستعمار والاستبداد. وكان في النجف زعامات محليّة لها تأثيرها في الشارع النّجفي. وخلال تلك الفترة التاريخيّة (١٩١٤ ـ ١٩٢٠م) كانت تتوزع على أربعة رؤساء، يتولى كلّ واحد منهم السلطة على إحدى محلات النّجف الأربع، وهم: عطيّة أبو كلل (محلّة العمارة)، مهدي السيّد سلمان (محلة الحويش)، كاظم صُبّي (محلّة البراق)، سعد الحاج راضي (المشراق).

وثورة النجف تحت زعامة هؤلاء وبأرشاد من قبل علماء الدّين وعلى رأسهم المرجع الأعلى السيّد كاظم اليزدي، اندلعت في مقطعين: الأوّل ضدّ الأتراك والسلطة العثمانية بعد انتكاسة معركة الشعيبة في الجهاد ضدّ البريطانييّن، حيث إنّ الإدارة التركيّة أساءت المعاملة مع الشيعة بتفتيش البيوت حتى النّساء، ممّا هيّج غيرة النجفييّن ضدَّ الأتراك في رجب ١٣٣٣هـ ـ ١٩١٥م ودارت معارك عنيفة بين الثّوار وبين القوّات العثمانية، واضطرّ الأتراك في النهاية إلى الاستسلام[١]، ودخلت الحكومة في مفاوضات مع رؤساء النجف تمخضت عن احتفاظ الحكومة بوجود رمزي في المدينة، بينما أصبحت السلطة الفعليّة بيد الرؤساء.

وفي المقطع الثاني اندلعت بوجه السلطة البريطانيّة.

وذلك حينما سقطت بغداد في جمادي الأولى ١٣٣٥ ـ آذار ١٩١٧ وبعده في نفس العام أواخر تموز إذ عيّنت سلطات الاحتلال البريطاني الكابتن (بلفور) حاكماً سياسيّاً لمنطقة الشامية والنجف. وعينوا حميد خان وهو رجل شيعي، بمنصب وكيل الحاكم، ورضي به العلماء ورؤساء المحلّات. والذي استفزّ

---

(١) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ٤ / ١٨٩، د. عليّ الوراي.

النجفيّن هو أنّه قدم إلى النجف أحد شيوخ قبيلة عنزة ـ حليفة الإنكليز في بادية الشّام ـ يحمل كتاباً من الكولونيل (ليجمان) إلى حميد خان يوصيه أن يزود القبيلة بكمية كبيرة من الحبوب. لكن الخبر ما كاد يشيع في البلدة حتى ارتفعت الأسعار ارتفاعاً كبيراً، وخرجت تظاهرة شارك فيها النّساء. ثمَّ هجم أتباع عطية أبو كلل على القافلة فأطلقوا عليها الرصاص وقتلوا عدداً من جمالها واستولوا على بعض البنادق والأمتعة، ممّا أثار حفيظة الإنكليز عليهم[1].

ومن جانب آخر قام بعض العلماء وغيرهم من الثوّار وعلى رأسهم الشيخ محمد جواد الجزائري والسيّد محمّد عليّ بحر العلوم بتأسيس جمعيّة النهضة الإسلاميّة لوضع الخطط والتنسيقات اللّازمة بين العلماء والعشائر لمكافحة المحتلّين البريطانيين. ولكن حدث أنّ بعض المتسرّعين المتهورين أطلقوا النار على فرقة خيّالة من الهنود دخلت الكوفة في الثاني عشر من شهر كانون الثاني ١٩١٨ وكانت تقوم بتمرينات عسكرية خارج النجف، فقتل جندي وجرح آخر، فقدم إلى النجف بلفور وفرض غرامة على النجف قدرها ٥٠ ألف ليرة ذهبية وتسليم خمسمئة بندقية.

وفي تلك الظروف قام الحاج نجم البقال بعمليّة جريئة مع مجموعته المسلحة بقتل الحاكم البريطاني في النجف الكابتن مارشال ممّا أزّم الأوضاع. فقام الجنرال مارشال وهو جنرال آخر بتطويق النجف وفرض حصاراً عليه دام أربعين يوماً، وأعلن أنّ شروط فكّ الحصار هي:

١ـ تسليم بعض الأشخاص الذين عرف عنهم أنَّهم يتزعمون الثورة دون قيد أو شرط.

٢ـ تسليم ألف بندقيّة حربيّة.

٣ـ دفع غرامة ماليّة قدرها خمسون ألف ليرة إنكليزية ذهباً.

---

(١) يراجع: دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، سليم الحسني ص ١٢٤ ـ ١٣٧.

٤ـ نفي ألف رجل إلى الهند كأسرى حرب.

٥ـ تبقى النجف محاصرة ويمنع عنها الماء والطعام إلى أن تنفّذ الشروط المتقدّمة.

وبقيت القبائل المجاورة محافظة على هدوئها، وعلى عدم قيامها بالثورة، لأنها لم تكن قد أعدّت نفسها لذلك، فالذين تسرّعوا بإطلاق النار على الخيّالة الهنود وقتلوا الجندي الهندي فعلوا ذلك قبل أن تكون الجمعيّة قد أكملت استعداداتها للقيام بالثورة، وقبل أن تكون قد قامت باتّصالاتها بالعشائر لاعدادهم الإعداد الواجب.

ولكن بعد أن جرى ما جرى كان لابدّ لها من تبني المقاومة في النجف والبدء بالحركات الثوريّة مهما كانت النّتائج. وهكذا كانت هذه الثورة ثورة النجف وحدها، وكانت كذلك تمهيداً للثورة الكبرى التي قامت بعد ذلك.

وبعد حصار استمر أربعين يوماً استطاعت القوّات البريطانية أن تدخل النّجف وتقبض على الثائرين وشكّلت محكمة عسكرية قضت بإعدام اثني عشر رجلاً كان بينهم الشيخ محمّد جواد الجزائري والسيّد محمّد عليّ بحر العلوم. ولكن الحكم لم ينفذ بهما بل استبدل بالسجن. وقد نفّذ حكم الإعدام بالآخرين صباح ٣٠ أيار (١٩١٨)[1].

٣ـ الثورة العراقيّة الكبرى (ثورة العشرين):

ثورة العشرين هي أكبر ثورة إسلاميّة جماهيريّة شهدها العراق في القرن العشرين، توحّدت فيها صفوف هذا الشعب بقيادة علماء الدين الشيعة وعلى رأسهم الميرزا الشيخ محمّد تقي الحائري الشيرازي وشيخ الشريعة الأصفهاني من أجل استقلال العراق وتحريره من السّلطات البريطانيّة التي احتلّت العراق في

---

(١) مظاهرات وثورات وحروب عربيّة، السيّد حسن الأمين ص٥٧ ـ ٦٠ ط دار المحجّة البيضاء بيروت ٢٠٠١م.

الحرب العالميّة الأولى.

واستطارت شرارات الثورة بعد أن عمد نائب الحاكم الملكي العامّ في العراق السر اى. تى. ولسن عام ١٩١٨ م لتنفيذ أطروحة الاستفتاء التي أبلغت من قبل المدرسة البريطانيّة الشرقيّة (الهنديّة) من أجل تمهيد الأرضيّة لفرض ملك بريطاني وهو السّر برسى كوكس على العراق أو تشكيل دولة عربيّة في الظاهر إلّا أنها عميلة لبريطانيا وتحت إشرافها، وكان الاستفتاء يحتوي على ثلاثة أسئلة وهي:

١ـ هل يرغبون في دولة عربيّة واحدة، تحت الوصاية البريطانيّة، تمتد من الحدود الشماليّة لولاية الموصل حتى الخليج الفارسي ؟

٢ـ هل يرغبون في هذه الحالة، في رئيس عربي بالاسم يرأس هذه الدولة الجديدة ؟

٣ـ من هو الرئيس الذي يريدونه في هذه الحالة ؟

وجاء في ختام برقيّة وزارة الهند:

(من المهم جدّاً في نظرنا أن يكون التعبير عن آراء السكان المحلّيين حول هذه الأمور حقيقيّاً، بحيث إنّ إعلامه للعالم يكون تعبيراً نزيهاً عن رأي سكّان العراق)[1].

ولما طرح عملاء السلطة البريطانيّة على زعماء البلاد ووجهائها ذلك المشروع، كان الرّد الغالب من أكثرهم ـ خاصّة بعد أن نشرت فتوى الميرزا الشيرازي في حرمة اختيار الحاكم غير المسلم ـ هو رفض ما يرتضيه البريطانيون والتأكيد على اختيار حاكم عربي وتشكيل حكومة إسلاميّة عربيّة مستقلّة عن الدولة البريطانيّة. وكان الاتجاه السّائد لدى أكثرهم اختيار أحد أشبال الملك العربي الشريف حسين الهاشمي.

(١) A. T. Wilson of Loyalties، ١١٠-١١١.

وكان نصّ فتوى الميرزا الشيرازي كما يلي:

(ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للإمارة والسلطنة على المسلمين). محمّد تقي الحائري الشيرازي.

وقد صَفَعَت هذه الفتوى السلطة المحتلّة، ومن والاها صفعة قويّة. واستنسخ عشرات النُسَخ منها إلى سائر الأطراف[1]. وقامت النخب من علماء الدين وزعماء العشائر بتقديم مضابط يعبرون فيها عن آرائهم في قضيّة الاستفتاء منها: صورة مضبطة بغداد.

جاء في مضبطة أهالي بغداد من الشيعة والسّنة:

بسم الله الرحمن الرحيم

(...إنّا معشر العرب العراقيين... قد اتفقنا واجتمعت كلمتنا على أن يكون مصير العراق ومستقبله وفقاً للمواد الثلاث الآتية:

أوّلاً ـ إنّ العراق من شمال الموصل إلى خليج فارس له القدرة على إدارة نفسه بنفسه، فإنّه رشيد ولله الحمد على إدارة الحكم الذاتي.

ثانياً ـ إنّ القطر العراقي يدعو إلى أنّ تكون الحكومة عربيّة لا شائبة فيها.

ثالثاً ـ إن أكبر مجاهد ومناضل عن حمى العرب على اختلاف مللهم ونحلهم، هو السيّد الشريف ملك العرب وأنجاله، فلا بد وأن يكون أحد أنجاله الفخام أمير العراق فلا يؤذن بانتخاب أحد غيره، حيث لايوجد أحق منه لذلك. على أن يكون مقيّداً بالمجلس التشريعي الوطني كسائر الحكومات المتمدّنة. فنحن قد قررنا وقبلنا ذلك بلا تحوير، ولا تبديل، ولا محاٍئبات يعتد بها، ولا يسوغ لأحد أن يقوم بما يخالفها. وقد خوّلنا حضرة القاضي بانتخاب من ينوبون عنّا دفاعاً عن هذا المبدأ حفظاً لكياننا، ويناضلون عنه، وعلى هذا قد أمضينا هذه المضبطة إيذاناً

---

(١) الثورة العراقيّة الكبرى، السيّد عبدالرزّاق الحسني ص ٣٢ ـ ٣٥.

بما جرى وقبلناه توثيقاً للعهد، وإجماعاً للرّأي، ونأمل أن تكون كلمة الله هي العليا والله ولي التوفيق. ١٤ ربيع الثاني (١٣٣٧)[1].

وبعدها أقيمت اجتماعات وندوات في عامة البلاد خاصّة بغداد والكاظميّة والنجف وكربلاء. وكان محور القيادة بعد وفاة السيّد كاظم الطباطبائي اليزدي في رجب عام(١٣٣٧-١٩١٩م) هو الميرزا الشيرازي وكان تأكيده مواصلة المطالب بالأساليب السلميّة.

ومن أجل تنظيم الحركة أسّست جمعيّات سرّيّة أو أحزاب علنيّة من قبيل: جمعيّة العهد وحزب العهد العراقي وجمعيّة حرس الاستقلال. كما عقدت اجتماعات سرّيّة في بيوت العلماء وزعماء العشائر، ومن أهمّها الاجتماع الذي عقد في دار الإمام الحائري (١٢٥٦هـ ـ ١٣٣٨هـ.ق) حضره بعض العلماء مثل الشيخ عبد الكريم الجزائري وبعض الزعماء مثل: الحاج محمّد جعفر أبو التمن، والسيّد علوان الياسري، والشيخ عبدالواحد سكر رئيس آل فتلة، وغثيث الحرجان، وشعلان أبو الجون رئيس قبيلة الظوالم وغيرهم، وتعرض بعضهم إلى موضوع الثورة فانتبه الإمام الحائري، فقال:

(إن الحمل لثقيل، وأخشى أن لا تكون للعشائر قابليّة المحاربة مع الجيوش المحتلّة). فأكد له الزعماء أنّ فيهم الكفاية التّامّة لهذا العمل الخطير، وأنّ الثورة أمر لابد منه، وان كانوا لايريدون الحرب ولا يرغبون فيها. ولكن الإمام تردّد في إعطاء الجواب الحاسم اعتقاداً منه أنّ الحمل يُثقل فأجابهم بقوله: (أخشى أن يختلّ النّظام ويفقد الأمن، فتكون البلاد فوضى، وأنتم تعلمون أنّ حفظ الأمن أهمّ من الثورة، بل أوجب منها).

فأجابه الحضار أنّ قابليتهم على حفظ الأمن والنظام يجب أن لا يرتقي الشكّ إليها، وأنه لا مناص من إعلان الثورة، وأكّدوا له أنَّهم سيبذلون كلّ ما في وسعهم لحفظ النظام واستتباب راحة العموم. فلمّا رأى الإمام أنّ الرؤساء قد ضايقوه

(١) الثورة العراقيّة الكبرى، السيّد عبدالرزّاق الحسني، ص ٣٩.

من كلّ جانب لم ير بدّاً من القول: (إذا كانت هذه نياتكم، وهذه تعهّداتكم، فالله في عونكم).

وأخذت المضابط تترى من المدن والمحلّات في مطالبة حكومة دولة مسلمة عربيّة إلى الإدارة البريطانيّة. ولمّا واجهوا عدم استجابتها لمطالبات الناس القانونيّة بدأت المظاهرات من كربلا وعمّت البلاد. وقامت الإدارة البريطانية بالقبض على اثني عشر من العلماء والثوار في كربلاء وعلى رأسهم الشيخ محمد رضا نجل الإمام الحائري وبعّدوا إلى جزيرة هنجام في الخليج الفارسي.

كما اعتقل عدّة من الزعماء والثوار من الحلّة بعد مظاهراتهم الصاخبة. كما حاولت السلطة القبض على العلماء أمثال الجزائري والعلامة النجفي وصاحب الجواهر وغيرهم، فتوالت المطالبات الشعبيّة بالإفراج عن المعتقلين. إلّا أنّ السلطة لم تكترث بذلك حتى بالبرقيّات الّتي أصدرها الإمام الحائري، ولم تعتن بالوساطة التي قام بها الإمام شيخ الشريعة الأصفهاني إلى أن اضطرّ الإمام الحائري إلى إصدار فتواه التاريخيّة وهي:

(مطالبة الحقوق واجبة على العراقييّن، ويجب عليهم في ضمن مطالباتهم، رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوّة الدّفاعيّة إذا امتنع الإنكليز من قبول مطالبهم).

الأحقر محمّد تقي الحائري الشيرازي

ونشط زعماء العشائر أكثر فأكثر بعد مشاهدة تلك الفتوى، وأخذوا يحتجّون على السلطة. وقاموا بتشكيل مؤتمر عشائري حضره كبار زعمائهم أمثال السيّد علوان الياسري، وسلمان العبطان، وعبد الواحد الحاج سكر، ومحمّد العبطان، والسيّد هادي امكوطر، والسيّد نور السيّد عزيز، وعبد آل صفوك، والشيخ رحّومي الظالمي، والسيّد محمّد باقر الحلي وعبدالرحمن خضر، والسيّد محسن أبو طبيخ، وهفين الحنّون وغيرهم.

وحاولت الحكومة المراوغة لإخماد الثورة ففاوضت وأعطت المواعيد وأخلفت. ممّا حفّز العشائر على شنّ الثورة، وألقي القبض على بعض زعمائهم فتوتّرت الأوضاع، وفي تلك الظروف انتقل الإمام الشيخ محمّد تقي الحائري إلى الرفيق الأعلى في اليوم الثالث من شهر ذي الحجّة سنة (١٣٣٨ هـ. ١٣ آب سنة١٩٢٠م) أي في اليوم الثاني من إعلان حكومة بغداد سياسة الإرهاق وقبضها على الوطنين والأحرار من شباب العاصمة، فتوجّهت الأنظار بعده إلى الإمام شيخ الشريعة الأصفهاني. وفي أوّل خطاب ألقاه شيخ الشريعة أكّد على مواصلة السير وراء خطوات الإمام الرّاحل في الجهاد ضدَّ الإنكليز.

فاندلعت الثورة وقد بلغت مرحلة شملت جميع منطقة الفرات الأوسط وامتدّت جنوباً حتى الناصريّة وشمالاً حتى المحموديّة. فحاولت الحكومة البريطانية المفاوضة مع الثّوار ووزعت بياناً بالطائرات، وكان فيه تهديد صريح للثوار العراقيين والتركيز على قوّة الإنكليز لردع أيّ حركة إذا لم يستجيبوا للمفاوضات.فانقسم الثوّار إلى قسمين. قسم وافق على المفاوضة كالشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ جواد الجواهري والشيخ عبد الرضا الشيخ راضي، وشطر خالف هذا الرّأي وكانوا من زعماء العشاير، واستغلّوا حماس الجماهير. وكان شعارهم (لا مفاوضة قبل الجلاء)، وقد أصدروا البيانات لمواقفهم. وقد ألهب هذا البيان شعور الناس، حتى لم يعد في الإمكان الجهر بغير ذلك. وعلى هذا الأساس تغلّب الرّأي الأخير، فوجّه الشيخ الشريعة إلى الحاكم الملكي العامّ جواباً مفعماً بالحماس. وبعد إتمام الحجّة وعدم جنوح السلطة إلى قبول مطالب الناس بجلاء المحتلّين والاعتراف باستقلال العراق، اندلعت الثورة في مدن الفرات الأوسط وغيرها. وكانت عمدة جبهات القتال في الرميثة، وأبو صخير قرب الكوفة، والرستميّة قرب الحلّة، وجبهة الحلّة، والسماوة، والدّغارة قرب الديوانيّة، وجبهة الجسر في الكوفة، وجبهة الحلّة، وسدّة الهنديّة، وجبهة الدليم، وديالي، وجبهة كفري، وكركوك، ولواء المنتفق وقلعة سكر وثورة الشطرة،

وسوق الشيوخ.

وكانت نتيجة الثورة في بداية الأمر تحرّر تلك المناطق ودحر العساكر البريطانيّة عنها، وقيام العلماء وزعماء العشائر والسياسيّين بإقامة حكومات موقّتة لإدارة البلاد. وكان المشرف العامّ عليها هو المرجع الأعلى الشيخ الشريعة الأصفهاني.

ومن جهة السلطة المحتلّة طلب الجنرال هالدن قائد الجيوش البريطانية في العراق من وزارة الحربية البريطانية إمدادها بجيوش البريطانيّين في الهند. ولما انتهى تموز ١٩٢٠ أخذت القوّات البريطانيّة تتوارد على تتقاطر إلى العراق. وكانت الطّائرات تقصف والمدفعيّة تتقدّم والجيوش الجديدة تتقدم بأحدث الأسلحة.

وأمّا الشعب العراقي فقد كان يدافع بأسلحة قديمة، وبعضها السّيوف والمقاوير والبنادق السّاذجة وبما غنمه الثوّار من جيش بريطانيا، ولم يساعده أحد لا من الخارج ولا من نفس العراق، لا بالمال ولا بالأسلحة ولا بالجيوش، ولذلك لم يكن له بدّ أمام الهجوم البريطاني العامّ من الاستسلام، وبذلك قُضي على المقاومة الشعبيّة.

وكان مجموع الخسائر من البريطانيّين حسب الإحصائيّة التي نشرها الجنرال هالدن في كتابه ٢٢٦٩ نفراً من القتلى والجرحى والأسرى ولاشكّ أنّهم كانوا يحرصون على كتمان الحقيقة، وأمّا خسائر الثوّار فقد قدّرت ب (٨٤٥٠) ما بين قتيل وجريح.

نهاية المطاف في الثورة:

اضطرت بريطانيا إلى الاعتراف باستقلال العراق. وجاء السير برسي كوكس ليكون خليفة لولسن كنائب الحاكم الملكي العامّ في العراق. وتشكّلت تحت إشرافه حكومة موقتة عراقية برياسة عبد الرحمن النقيب. وكان طالب النقيب وزير الداخليّة وساسون حزقيل وزير الماليّة، ومصطفى الآلوسي وزير العدليّة،

وجعفر العسكري وزير الدفاع، وعزت الكركوكي وزير الأشغال وعبد اللطيف وزير التجارة، ومحمّد مهدي بحر العلوم وزير المعارف، ومحمّد علي فاضل وزير الوقف. و كان الوزير الشيعي الوحيد هو بحر العلوم. وكان الأكثر من أهل السّنة، وما كان لهم دور يذكر في الثورة. وأمّا الثّوار من العلماء كالشيخ الجزائري وصاحب الجواهر والسيّد أبوالقاسم الكاشاني وزعماء العشائر فكانوا ما بين سجين ومنفي وهارب أو جليس بيته.

وتمّهدت الأرضية بموافقة الدولة البريطانية على أن يكون فيصل ابن الملك حسين الهاشمي أول ملك على العراق، فوصل إلى بغداد في ٢٣ شوال ١٣٣٩ هـ. ق٢٩ حزيران ١٩٢١م. وتشكّلت بأمره دولة دائمة أيضاً برياسة عبد الرحمن النقيب الكيلاني.

الخلاصة:

هكذا تخلّص العراق من الاحتلال البريطاني البغيض وقامت فيه حكومة مستقلّة ذات سيادة في الظاهر ولكنها لم تكن كذلك في الواقع[1].

٤ـ معارضة علماء الشيعة للإنتداب الإنكليزي:

بعد انحسار ثورة العشرين العراقيّة واستقرار المندوب السامي الإنكليزي السير (برسي كوكس)، بدأ عهد الانتداب في العراق، فشكّلت دولة محليّة عميلة برئاسة عبدالرحمن النقيب، ثمَّ عُيّن فيصل بن الشريف حسين الهاشمي ملكاً على العراق وتوج في ٢٣ آب ١٩٢١ في ذكرى عيد الغدير ١٨ ذي الحجة ١٣٣٩ تحبيباً للأكثريّة الشيعيّة. وقام الانتداب بفرض معاهدة مع العراق، كصيغة بديلة من الانتداب، في حال إلغائه، تختلف عنه في الشكل وتتضمنه في الواقع. وصممت الدّولة العراقية المحلّيّة تحت إشراف المندوب السامي على إجراء انتخابات لتعيين المجلس التأسيسي حتى يُضفي الشّرعيّة على تلك المعاهدة الاستعماريّة.

---

(١) يراجع كتاب: الثورة العراقيّة الكبرى، بقلم السيّد عبدالرزاق الحسني ص ٤٧ ـ ٢٩٠ ملخّصاً.

وإزاء هذه التّحرّكات الاستعماريّة أدركت الحركة الإسلاميّة بقيادة العلماء عمق سياسة الإنكليز وخطورتها على مصالح المسلمين. فقد واصل المرجع الأعلى الإمام شيخ الشريعة قيادة المعارضة والتحريض ضدَّ الاحتلال والانتداب وتشكيل الحكومة المؤقّتة حتى وفاته المفاجئة في كانون أوّل سنة ١٩٢٠.

واستمرت الحركة بعده بقيادة العلماء وعلى رأسهم المرجع الأعلى السيّد أبو الحسن الأصفهاني، وكذلك المحقِّق الشيخ محمّد حسين الأصفهاني من أعلام النجف، وعلماء المدن المقدّسة خاصّة الشيخ مهدي الخالصي والسيّد محمّد الصدر في الكاظميّة. إلّا أنّه حصل خلاف بين العلماء تجاه ملوكيّة فيصل، فبينما كان علماء النجف والمرجع الأعلى يرفض ذلك، بايعه الشيخ مهدي الخالصي والسيّد محمّد الصدر شريطة عمله على استقلال العراق. وبعد حدوث حوادث ألغى الشيخ الخالصي مبايعته، فاتحدت المعارضة الدينية ضدَّ الانتداب والملك، وقاطعت الانتخابات. وبفضل تحريم الانتخابات من قبل العلماء واستجابة الجماهير اضطرّت الحكومة إلى توقُيف الانتخابات عدّة مرّات.

وسقطت الحكومة المحلّيّة برئاسة النقيب. ثمَّ تولّى الرياسة عبد المحسن السعدون. وكان من جملة مواقف الحركة الإسلاميّة تشكيل مؤتمر كربلاء الجماهيري الذي ضم مئتي ألف من شيعة العراق ومشاركة بعض شخصيّات السّنّة حينما بدأ الهجوم الوهابي الإخواني على العراق. ولم يظهر موقف صريح وقاطع من الحكومة والانتداب في مقابل ذلك الهجوم عام ١٩٢٢م.

ولكن الّذي شلّ الحركة الإسلاميّة احتواؤها وبثّ الفرقة بين زعمائها. فمن جملة ما قام به الملك فيصل زيارته للفرات الأوسط ولقاؤه بزعماء العشائر من قادة ثورة العشرين، واستمالة أكثرهم نحو الحكومة. وهذا ممّا سبب قيام دولة السعدون بإبعاد العلماء عن العراق إلى إيران. فقد أبعد السيّد أبو الحسن الأصفهاني والشيخ النائيني والشيخ الخالصي وغيرهم. وهذا سبّب موجة الاعتراضات العلمائيّة والشعبيّة في إيران والعراق ضدَّ الإنكليز.

وتدخّلت الحكومة الإيرانيّة التي كانت لها علاقات وثيقة بالحكومة البريطانية والدولة العراقيّة. وقام الملك فيصل باتصالات مع العلماء المبعدين وأعطى وعوداً منها إسقاط دولة السعدون وإلغاء المعاهدة العراقيّة إزاء رجوع المبعدين والغاء تحريم الانتخابات. وبعد شهرين من الإبعاد رجع العلماء إلى العتبات. وتمّت الانتخابات واتّجهت الحركة الإسلاميّة إلى النشاط الثقافي بدل التدخل الصريح والمباشر في القضايا السياسيّة[1].

٥ـ حركة الإمام كاشف الغطاء (١٢٩٦.١٣٧٣ هـ. ق)

إنّ حركة الإمام الشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء ضدَّ الاستعمار الإنكليزي والأمريكي والصهيونيّة هي أبرز حركة سياسيّة واجتماعيّة شهدها العراق في العهد الملكي (١٩٢٠ -١٩٥٨).

كان الإمام كاشف الغطاء فقيهاً أصوليّاً قلّده كثير من أتباع أهل البيت عليهم السلام حتى في زمن السيّد أبو الحسن الأصفهاني (المتوفى ١٣٦٥هـ.ق). واتّسعت أبعاد مرجعيته بعده إلى أبعد الحدود. وكان قد اشترك في الجهاد ضدَّ الاحتلال الإنكليزي إبان الحرب العالميّة الأولى. وكان مساعداً قويّاً للمرجع الأعلى السيّد اليزدي آنذاك. وأفتى بالجهاد ضدَّ الإنكليز حينما تحرّك رشيد عالي الكيلاني رئيس الوزراء العراقي عام ١٩٤١ في أثناء الحرب العالميّة الثانية، إلّا أنّ الجيش العراقي بقيادة الكيلاني وبدافع العصبيّة الطائفيّة لم يعط المجال لأبناء العشائر الشيعيّة الذين استعدّوا لمساعدة الجيش العراقي ضدَّ الإنكليز خوفاً من نفوذهم في جهاز الحكم على الرّغم من علم الكيلاني أو ظنه الغالب بعدم قدرة الجيش العراقي وحده على مواجهة الإنكليز، كما تحقّق ذلك حيث انهزم الجيش، وهرب الكيلاني وسيطر الإنكليز مرّة أخرى على البلاد[2].

ومن أهمّ المواقف السّياسيّة للإمام كاشف الغطاء ضدّ الاستعمار ما يلي:

(١) يراجع كتاب تاريخ الحركة الإسلاميّة في العراق، عبدالحليم الرهيمي ص ٢٨٣ ـ ٢٨٥، ملخّصاً.
(٢) تاريخ سياسى عراق، الناشر: مؤسسة انتشاراتى نهضت جهان اسلام ـ طهران ص ٥٥.

أ ـ السفر إلى مصر وكتابة كتاب الدين والإسلام أو الدعوة الإسلاميّة وهو دراسة نقديّة للأفكار الغربيّة[١].

ب ـ مشاركته في مؤتمر القدس في فلسطين عام ١٣٥٠ هـ.

وإلقاؤه كلمته التاريخيّة حول التقارب الإسلامي لمكافحة الصهاينة. وقد اقتدى بصلاته ١٥٠٠ من العلماء المؤتمرين، و٢٠ ألفاً من أهالي فلسطين[٢] وإصداره فتوى الجهاد ضدَّ الصهاينة مرّتين ونقده اللاذع للحكام العرب المساومين لهم. وإفتاؤه بحرمة بيع أراضي المسلمين لليهود عام ١٣٥٢ هـ.

ج ـ أسفاره إلى إيران وتحريضه لعلماء الدين من أجل القيام ضدَّ الاستعمار. وكان حضوره من العوامل المؤثرة في انتفاضة الشعب الإيراني ضدَّ الإنكليز وتأميم النفط.

د ـ مشاركته الفعّالة في مؤتمر كراتشي (باكستان) عام ١٣٧١ ومساندته للحركات التّحرريّة.

هـ ـ رفضه لدعوة المؤتمر الأمريكي المنعقد في (بحمدون) لبنان ونشره لكتاب تحت عنوان (المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون) ونقده للسّياسة الأمريكيّة المبنية على حماية الصهيونيّة.

و ـ دعوته المكرّرة إلى الوحدة الإسلاميّة وتشكيل الصف الواحد الإسلامي بوجه الاستعمار، ودعوة المسلمين إلى الإصلاح والتنمية الاقتصاديّة والتقنية من أجل كسب الاستقلال الجامع.

ز ـ مشاركته الفعّالة بكتابة المقالات الاجتماعيّة والسياسيّة في الصحافة العربيّة مضافاً إلى تأليف العشرات من الكتب الفقهيّة والأصوليّة والعقائديّة بأدبه الرفيع[٣].

---

(١) علماى مجاهد، محمّد حسن رجبى ص ٣٨٤.
(٢) موسوعة طبقات الفقهاء ج ١٤ / ٦٨٤ تحت إشراف العلّامة السبحاني.
(٣) المصدر السابق.

٦ـ الحركة الإسلاميّة العراقيّة المعاصرة:

وهذه الحركة الّتي بدأت من عام ١٩٥٨ بعد سقوط العهد الملكي إلى عام ١٩٦٨ بداية حكم التكارتة البعثيّن، ثمَّ من ذلك التاريخ إلى سقوط صدّام عام٢٠٠٣م، واستغرقت خمسة وأربعين عاماً، تعتبر أقوى وأطول وآصل الحركات الإسلاميّة العراقيّة في القرن العشرين. ويمكن تقسيمها من حيث الاتّجاه الثقافي أو العسكري إلى مرحلتين. في المرحلة الأولى أي من بدايتها إلى وصول صدّام إلى السّلطة، كان يطغى عليها البعد الثقافي والعلمي وتنظيم التّكتلات السّياسيّة. وفي المرحلة الثانية، أي من بداية حكومة البعثيين وخاصّة رياسة صدّام عام ١٩٧٩ إلى سقوطه، كانت تتّسم بالتّحرك العسكري والعمل السّياسيّ الدّولي أكثر فأكثر ومن خارج البلاد على الأغلب.

وكانت المرحلة الأولى قد بدأت حينما استولى عبدالكريم قاسم إثر انقلاب ١٤تموز عام ١٩٥٨م، حيث قام رفاقه بنشر التيار الشيوعي الإلحادي في العراق، واستمرت في زمن حكومة عبدالسلام عارف وعبدالرحمن عارف والتكارتة إلى أن حكم صدام. وقد تصدى المرجع الأعلى للشيعة آنذاك وهو الإمام السيّد محسن الحكيم لقيادة تلك المرحلة، فأصدر فتواه بحرمة الانتماء إلى الحزب الشيوعي وأن الشيوعيّة كفر وإلحاد. وأصدر أعلام المجتهدين بالنجف بمثل تلك الفتوى أمثال السيّد عبد الهادي الشيرازي والسيّد محمود الشاهرودي والسيّد أبي القاسم الخوئي وغيرهم.

وقام العلماء الثوريّون بتشكيل جماعة العلماء لتنظيم النشاطات الثقافية لمواجهة المدّ الأحمر. ونشط السيّد الحكيم وعلماء النجف وخاصّة المفكرين والمنظرين كالإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر بتنظيم الحركات السياسيّة والثقافيّة الدينيّة. ومن نماذج تلك النشاطات:

١ـ إرسال الوكلاء في البلاد لنيابة المرجعيّة وربط الجماهير بها.

٢ـ تأسيس المكتبات الدينيّة في النجف وفروعها في المدن والقرى.

٣ـ إقامة المحاضرات والندوات.

٤ـ إقامة الاحتفالات الدينيّة.

٥ـ تأسيس الكليّات والجوامع لتربية علماء على المنهج الجديد، مثل كليّة الفقه في النجف التي أسّسها الشيخ محمّد رضا المظفر، وكليّة أصول الدين في بغداد التي أسّسها السيّد مرتضى العسكري، وجامعة النجف الدينية التي برز فيها السيّد محمّد كلانتر.

٦ـ إصدار المجلّات الدينية من قبيل مجلّة الأضواء الإسلاميّة، ومجلّة النجف، ومجلّة التضامن الإسلامي، ومجلّة الإيمان، ومجلّة الموعظة ومجلّة رسالة الإسلام ومجلة النشاط الثقافي ومجلة البلاغ.

٧ـ نشر الكتب الإسلاميّة وكان من أبرزها فلسفتنا واقتصادنا للشهيد السيّد محمّد باقر الصّدر.

٨ـ نشر المسلسلات الإسلاميّة من قبيل: هدى الإسلام، مختارات إسلاميّة، في مرحلة البناء، من هدى النجف ومفاهيم إسلاميّة.

٩ـ إقامة مواكب الجامعة وهي مواكب حسينيّة خاصّة بالجامعيين بأسلوب بديع.

١٠ـ تنظيم المنظّمات والحركات الإسلاميّة من قبيل:

أ ـ الشباب المسلم.

ب ـ منظمّة العقائديين المسلمين التي أسّسها الشيخ عزّ الدّين الجزائري.

ج ـ شباب العقيدة والإيمان.

د ـ حركة التحرر الإسلامي في أوروبا. وقد أسّسها بعض محبِّي الشهيد الصدر.

هـ ـ حركة جند الإمام وكان عناصرها من أتباع الشهيد الصدر.

و- حزب الدعوة الإسلاميّة التي أسّس في الخمسينيَّات، ولعب دوراً ثقافياً وسياسيّاً في تلك الفترة وزمن صدّام سياسيّاً وعسكريّاً.

ز - حركة المجاهدين العراقييّن.

ح - منظّمة العمل الإسلامي التي تأسست بعد انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران. وقد أسّسها جماعة السيّد محمدالشيرازي في كربلاء، وأبرزهم السيّد محمّد تقي المدرسي.

ط - حركة جماعة العلماء المجاهدين في العراق، وكان الشهيد محمّد باقر الحكيم له الدور الأوّل فيها.

١١ - تأسيس مدارس البنات الدينيّة تحت إشراف الإمام السيّد الخوئي وكان للشهيدة بنت الهدى دور بارز فيها.

١٢- تأسيس مدرسة العلوم الإسلاميّة تحت إشراف الإمام الحكيم لتربية المبلّغين على أساس نمط دراسي جديد إلى جانب النمط الأكاديمي المعتاد.

١٣- احتفالات التأبين والتكريم بذكرى الشخصيّات الإسلاميّة.

١٤- طرح الفقه السّياسيّ في الحوزة. وكان للإمام الخميني + الذي نُفي إلى النجف دور بارز في ذلك، حيث طرح فكرة ولاية الفقيه بالاسلوب الفقهي في درسه الخارج.

١٥- المراسم الثقافية للرابطة الأدبيّة.

١٦- تأسيس المبرّات والمؤسّسات الخيريّة والمستشفيات ودور للأيتام.

١٧- مشاركة المدن العراقيّة الأخرى للحركة الإسلاميّة في النجف مثل الكوفة وكربلاء والكاظميّة وبغداد[1].

---

(١) يراجع كتاب: تاريخ الحركة الإسلاميّة المعاصرة في العراق، الخطيب ابن النجف، دارالمقدسي، بيروت.

المرحلة الثانية للحركة الإسلاميّة المعاصرة في العراق:

كانت بداية المرحلة الثانية منذ تسلّط البعثيّن على السلطة في انقلابهم العسكري ١٧ تموز عام ١٩٦٧. إنّهم بعد أن أثبتوا مخالبهم في جسم الأمّة كشّروا عن أنيابهم في محاربةالدّين ومواجهة الأمّة بعنف منقطع النظير وإسداء الخدمة لأسيادهم المستعمرين والصهاينة. وحاولوا تغطية وجوههم بالشّعارات البرّاقة ضدَّ الاستعمار والصهاينة، إلّا أنّ الواقع أنّ خلف الستار شيء آخر. جاء في مذكّرات حردان التكريتي ص ٢٤: (اتفقنا مع إسرائيل بعد شهر من انقلاب ٣٠ تموز وبالضبط يوم٢٩ آب / ١٩٦٨ على عدم شن هجوم على جيشنا أو على العراق مقابل عدم اشتراك الجيش العراقي في أيّة عمليّة ضدّ إسرائيل وفي مقابل السماح لليهود العراقيّن بالهجرة إلى إسرائيل ...).

وهُم وإن حاولوا التظاهر بالمشاركة بالمواكب الحسينيّة في بداية أمرهم إلّا أنهم بعد أن تسلّطوا أذاقوا أصحاب المواكب الأمرين، ومنعوها منعاً باتّاً طيلة حكمهم. كما بدأوا بتسفير العلماء من النجف بذريعة أنّ أصولهم إيرانيّة من أجل إضعاف الحوزة والقضاء عليها تدريجيّاً. وبدأوا يواجهون العلماء والمتديّنين الشّيعة بالتعذيب والتنكيل والإعدام.

ثمّ عمدوا إلى تعطيل جميع مظاهر الدين والشريعة حتى الأذان وبث صلاة الجمعة الرسميّة الحكوميّة من الإذاعة، ونشر السفور والخلاعة والمجون من أجل تحكيم السياسة العلمانيّة والثقافة الغربيّة.

والحركة الإسلاميّة من جانبها بدأت تتّجه إلى المواجهة العسكريّة والسّياسيّة العلنيّة تدريجيّاً. وكان مفجر الثورة في هذه المرحلة هو الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر. والذي أكسب الحركة زخماً خاصّاً وحرّك عجلتها سريعاً هو انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران بقيادة الإمام الخميني الذي عرفه الشعب العراقي طيلة ثلاثة عشر عاماً كان + في ما بين ظهرانيّهم. فغمر السرور والفرح بذلك الانتصار أرجاء العراق، وخرجت المظاهرات وصدرت البرقيات لمباركة

الانتصار. ووصلت سياسة البعث إلى أنّ أحمد حسن البكر ليس كُفْواً لمواجهة الحركة، فتنازل لصالح صدّام حسين. وبالأخرة قضى عليه خلفه صدّام. ولما اتّضح للجميع خطورة حزب البعث على الإسلام والشعب العراقي، أصدر السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر فتواه العلنيّة بحرمة الإنتماء إلى حزب السلطة البعثيّة. وتصاعد مدّ المواجهة الشعبيّة ضدّ النظام الحاكم، إلى أن اعتقل نظام البعث زعيم الثورة الإسلاميّة يوم ١٧ رجب ١٣٩٩ وأرسله إلى بغداد. وتجمّعت الجماهير في الصحن الحيدري احتجاجاً على ذلك، ممّا أدّى إلى اشتباكها بجلاوزة البعث. وخرجت المظاهرات في المدن الأخرى، فاضطرّت السلطة إلى إرجاعه إلى النجف. وفرضت الحصار على داره. وبدأت موجة الاعتقالات، فاعتقل جمع غفير من العلماء والمثقفين الناشطين في الحركة، وأعدم بعضهم. وتمكّن بعض تلامذته من الخروج من العراق إلى إيران أو سوريا أو غيرهما لمواصلة المسيرة. وأمّا السيّد محمّد باقر الصدر فقد اعتقل مرّة أخرى، ولم تمض أيام قلائل حتى شاع نبأ استشهاده يوم ٩ نيسان ١٩٨٠م هو وأخته الفاضلة السيّدة بنت الهدى بعد أن أجرى عليهما أقسى أنواع التعذيب وأبشعه.

وبعد شهادة السيّد الصدر بشهور قام صدّام وزمرته بفرض الحرب على الجمهوريّة الإسلاميّة. ومن هذا المنطلق اتّجهت الحركة الإسلاميّة العراقيّة إلى الجهاد العسكري بهدف الإطاحة بحكم البعث الغاشم. ومن ثمّ تشكّل المجلس الأعلى للثورة الإسلاميّة في العراق بمشاركة الأحزاب الناشطة في الساحة مثل حزب الدعوة ومنظّمة العمل الإسلامي وحركة المجاهدين العراقيين وحركة جماعة العلماء المجاهدين في العراق. وقد انتخب شهيد المحراب السيّد محمّد باقر الحكيم ناطقاً رسميّاً والسيّد محمود الهاشمي رئيساً للمجلس الأعلى وبعد فترة تولى السيّد الحكيم رئاسة المجلس. ولتنظيم الجناح العسكري والمشاركة في الدفاع المقدّس تشكّل فيلق بدر. وكان للمجاهدين العراقيين دور بارز في فترة الحرب المفروضة، والتحرّك العسكري داخل العراق، إلى أن وضعت الحرب

العراقية المفروضة على إيران أوزارها. وبعد اعتداء البعث على الكويت وتدخل الائتلاف الأمريكي وحلفائه، وانهزام صدّام وجيشه عن الكويت انفجرت الانتفاضة الشعبانيّة. وكاد البعث أن يندحر لو لا تدخّل أمريكا وتقوية صدّام من جديد وإعانته على قمع الانتفاضة الإسلاميّة الشعبانية. ومن جملة الحوادث البارزة في الانتفاضة تدخّل المرجع الأعلى السيّد أبي القاسم الخوئي في المسألة، فقد أصدر نداءً إلى الشعب العراقي يوصيهم بالحفاظ على بيضة الإسلام ومراعاة مقدساته ورعاية الأحكام الشرعيّة في الانتفاضة والحفاظ على ممتلكات النّاس وأموالهم وأعراضهم والمؤسّسات العامّة ودفن الجثث الملقاة في الشوارع. كما قام بتعيين مجموعة من العلماء للإشراف على تلك الأمور. وكان نداؤه يوم ١٨ شعبان ١٤١١.

ولمّا سيطر البعث مرّة أخرى وقمع الانتفاضة واعتدى على المقدّسات،اعتقل السيّد الخوئي والمجموعة التي عيّنها ولم يبق على أحدٍ منهم. ولمّا أعلن الاستنكار من الشعوب والعلماء والمراجع خاصّة السيّد الإمام الخامنئي وشجبهم لتلك الجريمة، أرجع السيّد الخوئي إلى النجف. وبذلك انتهت الانتفاضة الشعبانية.

وبعد ذلك اتّجهت الحركة الإسلاميّة إلى التّحرك السّياسيّ الدولي والتّنسيق مع بقيّة العاملين في السّاحة العراقيّة من الأكراد والوطنيّين الشيعة وغيرهم. وعقدت لذلك مؤتمرات في بعض الدول العربيّة والغربيّة، إلى أن تحوّلت السّياسة الأمريكيّة إلى مواجهة نظام البعث والاستقرار في العراق والخليج الفارسي بذريعة إسقاط صدّام بعد أن استقرّت في أفغانستان بذريعة إسقاط الطالبان. وبالفعل قد احتلت الدّول الحلفاء العراق. واستغلّ الشعب العراقي الفرصة للانقضاض على نظام صدّام الذي كبّد العراق خسائر فادحة وأهمّها إهلاك الحرث والنّسل، حيث راح الملايين ضحايا السلطة البعثيّة سواء في السجون أو المقابر الجماعيّة أو مَنْ زُجَّ به منهم في الحرب المفروضة أو من قصفهم بالصّواريخ الكيمياويّة مثلما فعل في حلبجه وغيرها. و لمّا دخل الأمريكان العراق لم يقاوم صدّام مقاومة بأسلحة

وترك القصر الجمهوري وفرّ من الحرب واختفى في جحر من الجحور إلى أن قبض عليه ذليلاً وحوكم وأعدم هو وثلّة من أزلامه، ودخل الشعب العراقي ساحة النضال من جديد لبناء وطنهم الذي دمّره صدّام.

وعُيّن المجلس من قبل الأُمّة لتنظيم الدستور ثمَّ شُكّل المجلس الدائمي وانتخبت الدّولة العراقيّة على أساس الدستور، وابتلي العراق إضافةً إلى احتلال الأجانب بمشكلة الإرهاب والجماعة التكفيريّة التي اتّحدت مع فلول البعث، وعكّرت الأجواء الأمنيّة على العراق. ولا بد من ذكر لدور المرجعيّة الرشيدة الشعبيّة الّتي تجسّدت بآية الله السيّد عليّ السيستاني وما اتّخذه من مواقف، إذ تمكن بمساعدة الحركة الإسلاميّة الّتي تصدّت للقيام بالحكومة من حفظ البلاد من التّدهور. ولازالت المشاكل عالقة ونسأل الله الفرج للمؤمنين ولتأمين استقلال العراق وتحرّره من براثن المحتلّين وحركات الإرهابييّن آمين ببركة محمّد وآله الطّاهرين.

فلسطين

إنّ قضيّة فلسطين تعتبر أهمّ قضايا المسلمين في القرن العشرين وبداية الواحد والعشرين. وإنّ ما جرى فيها من ظلم واعتساف على أيدي المستعمرين من أقبح وأقسى ما جرى. وما حدث من بطولات وانتفاضات على أيدي المضطَهدين الفلسطينييّن من أروع ما حدث.

ولبّ هذه القضيّة يرجع إلى الصّراع التاريخي بين الإسلام والصليبيّة، إلّا أنّ الصليبيّة في هذه القضيّة ظهرت في مظهر الصهيونيّة.

وهذا ما أشار إليه الإمام الخامنئي بقوله:

(إنّ الأرض الفلسطينيّة عامّة والقدس خاصّة كانت على مرّ التاريخ مطمع بعض القوى الغربيّة، كما أنّ الحروب الصليبيّة المتواصلة الطّويلة ضدّ المسلمين كانت مظهراً بارزاً لتلك الأطماع في هذه الأرض المقدّسة، ولا غرو أن يقف ذلك القائد العسكري الغربي بعد انهزام الدّولة العثمانيّة ودخول الحلفاء إلى أرض القدس، ويرفع عقيرته قائلاً: الآن انتهت الحروب الصليبيّة)[1].

(وأساس القضيّة الفلسطينيّة هو أنّ حفنة من اليهود المتنفذين في العالم راودتهم فكرة تأسيس وطن مستقل لليهود، وقد استغلّت الحكومة البريطانيّة هذه الفكرة من أجل حلّ مشكلتها. وكان اليهود قبل ذلك يفكّرون في التوجه إلى أوغندا وتأسيس وطن قومي هناك. وفي وقت آخر كانوا يفكّرون في تأسيس وطن لهم في طرابلس عاصمة ليبيا، وتقدّموا بطلبهم ذاك إلى الإيطالييّن الّذين كانوا يحتلّون طرابلس في حينها، إلّا أنّ الإيطالييّن رفضوا طلبهم. وفي ختام

(١) فلسطين في خطاب القائد الخامنئي، الشيخ عليّ ظاهر، ص ٤٩ ط دار المحجّة البيضاء، بيروت ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤.

المطاف اتفقوا على هذه الغاية مع الإنجليز الذين كانت لهم في ذلك الوقت أغراض استعماريّة خطيرة للغاية في الشرق الأوسط، ورأى الانجليز حينذاك أنّ من المفيد بالنسبة إليهم استقدامهم إلى المنطقة كأقليّة في أوّل الأمر ثمَّ يزدادون تدريجيّاً ويتخذون لهم بقعة من الأرض في موقع حساس ـ لأن فلسطين تقع في منطقة حسّاسة ـ ثمَّ يقيمون لهم دولة فيها لتصبح في المستقبل حليفاً لبريطانيا وتحول دون ظهور اتحاد بين دول العالم الإسلامي وخاصّة بين الدول العربيّة في المنطقة... وخلاصة القول أنّهم تلقّوا الدّعم من بريطانيا بالدّرجة الأولى، وبعض الدول الغربية الأخرى، ثمَّ إنَّهم انفصلوا تدريجيّاً عن بريطانيا وارتبطوا بأمريكا، وقد احتضنتهم أمريكا تحت جناحها حتى وقتنا الحاضر. لقد جاؤوا واحتلّوا أرض فلسطين وأوجدوا لهم دولة بهذه الصورة. وكان الأسلوب الذي اتّبعوه لبسط سلطتهم على هذه الأرض هو أنَّهم لم يأتوا في بداية الأمر عن طريق الحرب وإنّما جاؤوا عن طريق الحيلة، وعملوا على شراء الأراضي الفلسطينيّة الواسعة الخصبة...)[1].

والمخطّط الإجرامي الذي بدأ اليهود بتنفيذه خفية بدعم القوّات البريطانيّة المسيطرة على المنطقة ما كان معلوماً لدى عامّة النّاس، إلّا أنّ النّخبة الواعية منهم وعلى رأسهم علماء الدّين اكتشفوا ذلك المخطّط وبدأوا يعملون تنظيمات من أجل توعية الجماهير وإعداد مقاومة في وجه الصهاينة المحتلّين. وإليكم مسلسلاً من تلك التنظيمات والانتفاضات الإسلاميّة والعربيّة بوجه الغاصبين:

أ ـ التنظيم الفلسطيني الأوّل بقيادة السيّد موسى كاظم الحسيني (١٩٢٠م)

ولد موسى كاظم الحسيني في القدس (سنة ١٢٧٠ - ١٢٧٠م) ودرس فيها ثمَّ في الآستانة، وكان في العهد العثماني (قائم مقام) صفد وعكا وإربد، وفي أوان

(١) فلسطين في خطاب القائد الخامنئي، الشيخ عليّ ظاهر، ص ٤٩ ط دار المحجّة البيضاء، بيروت، ص ٥٢، ٥٣.

الحرب العامّة الأولى عام ١٩١٧م ـ عيّن رئيساً لبلديّة القُدس. ولمّا بدأ الإنكليز تطبيق سياسة الوطن القومي الصهيوني في فلسطين كان على رأس الحركة الوطنيّة العربيّة حتى آخر حياته.

وابتدأ نضاله العملي سنة ١٩٢٠م ـ حيث قرّر الفلسطينيون تحويل الاحتفال بموسم النبيّ موسى عليه‌السلام إلى الاحتجاج على الصهيونيّة والإدارة البريطانيّة، فألقى كل من عارف العارف وموسى كاظم الحسيني والحاج أمين الحسيني خطباً. وتبدّلت المسيرة إلى مظاهرة ثمَّ اشتباك مع اليهود. وقد وصلت الخسائر من الطرفين الى ٢٥١ جريحاً وتسعة قتلى. فسجن بعض الزعماء ونُحّي موسى كاظم عن منصبه. وبعدها عقد تحت إشرافه مؤتمر فلسطيني في حيفا في ١٣ كانون الأوّل ١٩٢٠م. ثمَّ انتخب المؤتمر لجنة تنفيذيّة برئاسته. ولم يتردد في السير في طليعة المظاهرات العربيّة حين اقتضى الأمر ذلك، بالرغم من شيخوخته. وفي إحدى تلك المظاهرات أصيب ببعض الإصابات، فكان ذلك عاملاً في إضعاف صحته ثمَّ وفاته سنة ١٩٣٤م[1].

ب ـ ثورة الشهيد الشيخ عزالدين القسّام (١٣٠٠ ـ ١٣٥٤ هـ):

الشيخ محمّد عزّ الدين بن عبدالقادر القسّام: مجاهد، من أسرة كريمة في جَبلة (من أعمال اللاذقيّة). تعلّم في الأزهر بمصر. واشتغل في بلده بالتعليم والوعظ، إلى أن احتل الفرنسيون ساحل سورية في ختام الحرب العامَّة الأولى سنة (١٩١٨)،فثار في جماعة من تلاميذه ومريديه. وطارده الفرنسيون فقصد دمشق إبان الحكم الفيصلي. ثمَّ غادرها بعد استيلاء الفرنسيّين عليها (سنة ١٩٢٠)، فأقام في حيفا (بفلسطين)، وتولى فيها إمامة جامع الاستقلال وخطابته ورياسة جمعيّة الشبان المسلمين. وتعاون مع الشيخ محمّد كامل القصّاب على

---

(١) يراجع: مظاهرات وثورات وحروب عربيّة، السيّد حسن الأمين ص ٣٧،٣٨، ط دار المحجّة البيضاء، دار الرسول الأكرم | ، بيروت ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

تأليف كتاب (النقد والبيان)[1].

وفي عام ١٩٢٩ أخذ يتجوّل في قرى شمالي فلسطين بوصفه موظفاً في المحكمة الشرعيّة بحيفا، واستطاع بفضل اتّصالاته هذه بالفلاحين في القرى وبالمصلّين في مسجد الاستقلال بحيفا أن يجنّد بعض العناصر الثوريّة الّتي نظّمها في خلايا سرّيّة لايتجاوز عدد أفراد الخليّة الواحدة منها خمسة أفراد. ثمَّ أخذ ينشر بينهم الدعوة الى الثورة على الأجانب يهوداً كانوا أو بريطانيين. وفي عام ١٩٣٢ انضم إلى فرع حزب (الاستقلال) في حيفا، وبعد حوادث عام ١٩٣٣ بدأ يجمع التّبرّعات لابتياع كميات صغيرة من الأسلحة استعداداً للقيام بثورة على الحكومة الإنكليزيّة التي اعتبرها الحامية الحقيقيّة للصّهيونيّة في فلسطين. وحافظ القسّام في اتصالاته وإعداداته على السّريّة التّامّة.

على أنّ توالي الحوادث في عام ١٩٣٥م أجبر القسّام وأتباعه من المجاهدين على البدء بثورة مسلّحة على البريطانيّين والصهيونيّين خلال شهر تشرين الثاني من ذلك العام.

وبينما كان السّياسيّون الفلسطينيّون يكشفون عن مواقفهم الهزيلة نحو الحكومة غادر القسّام يرافقه ٢٥ رجلاً من أنصاره المسلّحين من حيفا في الثاني عشر من تشرين الثاني قاصدين ضواحي جنين لدعوة الفلّاحين في تلك المنطقة لحمل السّلاح في وجه البريطانيّين والصهيونيّين. ولكنّهم قبل أن يتمكّنوا من تعميم دعوتهم ومفاجأة السلطات باحتلال حيفا، وقع صدام عرضي بينهم وبين الشرطة نبه السلطات إلى وجود عصابة مسلّحة، وسارعت قوّات الجيش والشرطة الى ضرب نطاق حول المنطقة وعزلها. بيد أنّ القسام، مدفوعاً بإيمانه وحماسه وإخلاصه، رفض الاستسلام وحث أتباعه على القتال والاستشهاد في سبيل الله والوطن. وفي التاسع عشر من تشرين الثاني خاض المجاهدون معركة

(١) الأعلام، الزركلي ج ٦ / ٢٦٧، ٢٦٨.

مواجهة مع القوّات البريطانيّة في غابة (يعبد) بمنطقة جنين استشهد فيها القسّام واثنان من أتباعه وأسر خمسة آخرون واختفى الباقون في الجبال.

وهكذا أصبح الشكل الذي تتطوّر إليه الأمور واضحاً وغدت المجابهة بين البريطانيّين والفلسطينيّين العرب مسألة وقت فقط. ولم تلبث أن قامت ثورة ١٩٣٦الكبرى. وهكذا كانت ثورة القسّام على الرغم من فشلها، نبراساً أضاء للفلسطينيّين العرب الطريق الوحيد الذي بقي أمامهم يسلكونه في مقاومة استيلاء الصهيونيّين على البلاد...)[1].

ج ـ ثورة ١٩٣٦ (الإضراب العامّ في فلسطين):

كانت ثورة القسّام بمثابة النذير للعاصفة التي هبّت رياحها القويّة في نيسان ١٩٣٦، والّتي بدأت بإعلان إضراب في البلاد نتيجة حوادث اصطدام بين العرب واليهود وإعلان الحكومة حالة الطوارئ. وقد أعلنت اللّجان القوميّة التي برزت لتنفيذ الإضراب في جميع المدن الفلسطينيّة أنّ إنهاء هذا الإضراب مرهون بموافقة الحكومة على مطالب العرب المعروفة: وقف الهجرة اليهوديّة ومنع بيع الأراضي، وإقامة حكومة وطنيّة أمام مجلس تمثيلي. وقبل نهاية نيسان كان الإضراب عن العمل والتجارة تامّاً وشاملاً، وأدّت الإصطدامات بين العرب والشّرطة إلى قيام أعمال عنف في القدس.

وفي الثّامن من أيّار ١٩٣٦ م عقد في القدس أوسع الإجتماعات الوطنيّة، وسُمي (مؤتمر اللّجان القوميّة)، حيث هيمن الثوريّون العرب، فتبنى المؤتمر مبدأ (لاضرائب من دون تمثيل)، وطالب باستقلال فلسطين ضمن الوحدة العربيّة.... وكان أن شهدت فلسطين أطول إضراب سياسيّ في التاريخ دام ستّة أشهر، عمّت خلالها التظاهرات الّتي كانت تهتف في حدّة متصاعدة ضدّ بريطانيا والصهيونيّة وتصطدم بالشرطة.

---

(١) مظاهرات وثورات، السيّد حسن الأمين، ص ٣٨ ـ ٤٠.

واتّسعت رقعة الاصطدامات في نواحي كثيرة من فلسطين. وتنظّمت فئات فلسطينيّة، بعضها اعتصمت في الجبال في مواجهة قوّات الجيش البريطاني، وكان من نشاطاتهم نسف خطوط البترول والمنشآت الأخرى. وثانيها تتألف من فدائيّي المدن الذين يمارسون حياتهم اليوميّة، ولكنّهم ينجزون مهمّات عسكريّة محدّدة. وفئة ثالثة همُ الأنصار أو تشكيلات الريف الذين يهبّون لحمل السّلاح ونجدة المجاهدين عندما تنشب معركة في منطقتهم.

وبعد اتّصالات مع القيادة السّياسيّة الفلسطينيّة، وطبقاً لاستشارات مسبَّقة مع الحكومة البريطانيّة، وجّه الملك ابن سعود والملك غازي والأمير عبدالله في العاشر من تشرين الأوّل نداءً مشتركاً دعوا فيه إلى حلّ الإضراب ووقف الثّورة.

وفي اليوم التّالي قرّرت القيادة السياسيّة للجنة العربيّة العليا دعوة إلى الأُمّة العربيّة في فلسطين للعودة إلى الهدوء ووضع حد للإضراب[1].

وما ذكر من موقف مخز لملوك السعوديّة والعراق والأردن نموذج واضح من تخاذلهم بل خيانتهم للقضيّة الفلسطينيّة، فبدل مدّ يَدِ عَوْنِهم إلى إخوانهم الفلسطينيّين في مسألة الإضراب، قاموا بدعوتهم إلى الهدوء وحلّ الإضراب خدمة للبريطانيّين والصهاينة!

حروب الدّول العربيّة مع النظام الغاصب للقدس:

لم يدخل في الحرب ضدَّ الصّهاينة من الدّول العربيّة إلّا مصر وسوريا والأردن في حربين مهمّتين. أولاهما في حزيران عام ١٩٦٧ المعروفة بحرب السّتّة أيام، انسحبت فيها مصر من صحراء سيناء بكاملها وسوريا من الجولان، والاردن من الضّفة الغربيّة! ولاننسى أنّ ملك الأردنّ حسين هو الّذي تلطخت يداه في أيلول الأسود بقتل خمسة عشر ألف فلسطينيّ وقضى على المقاومةالفلسطينيّة في الأردنّ.

وثانيهما حرب ١٩٧٣ التي اشتركت فيها سوريا ومصر فحرّرت مصر

(١) مظاهرات وثورات، السيّد حسن الأمين، ص ٤٠ ـ ٤٥.

صحراء سيناء، وكانت لهم انتصارات وهزائم، وجرت حوادث بعدها انجرّت إلى استسلام مصر لإسرائيل ومعاهدة صلح السّادات مع النظام الغاصب للقدس.

د ـ تشكيل المنظّمات الفدائيّة الفلسطينيّة:

إنّ انتكاسة حزيران وما تلاها أشعلت نار الحماس في التوجّه إلى المنظّمات الفدائيّة التي سبقت تلك الانتكاسة أو تشكّلت بعد ذلك. وهذه أهمّ المنظّمات الفلسطينيّة الّتي طغت على أغلبها الأفكار القوميّة، ووقع بعضها في فخ المدّ الأحمر الشيوعي. وأمّا الإسلاميّة منها فقليلة جدّاً.

١ـ منظّمة التحرير الفلسطينيّة أسّست عام ١٩٦٤. وكان زعماءَها أحمد الشقيري ثمَّ يحيى حمّودة ثمَّ ياسر عرفات. وهذا الأخير بعد سوابق نضاليّة وفدائيّة وقع في فخّ الاستسلام لإسرائيل في نهاية الأمر.

٢ـ حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) أسّست عام ١٩٦٥.

٣ـ أبطال العودة، تأسّست عام ١٩٦٦.

٤ ـ الجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين، تأسّست عام ١٩٦٧ وهي ائتلاف من ثلاث مجموعات، الأولى: أبطال العودة. والثانية: جبهة تحرير فلسطين بزعامة أحمد جبريل، والثالثة: الشباب التقدّمي.

وهذه الجبهة كانت تتبنّى الأفكار الشيوعيّة. وقائدها جورج حبش، وكانت عمدة نشاطاتها اختطاف الطّائرات خارج فلسطين.

٥ ـ فدائيّو الإسلام، أسّست عام ١٩٧٠ على يد بعض علماء الدين في الأراضي المحتلة، وكانت متأثّرة بأفكار المجاهد الشهيد الإيراني السيّد مجتبى نوّاب الصفوي، حتّى إنهم قلدوه في تسمية منظّمتهم. وكان شعارهم إقامة الدّولة الإسلاميّة، وكان الشيخ محمّد أبو طير أحد قادة هذه المنظّمة.

٦ـ الجبهة الديمقراطيّة لتحرير فلسطين. أسّست عام ١٩٦٩ بزعامة نايف حواتمة واتّجاهها يساري.

٧ـ الجبهة الشّعبيّة (القيادة العامّة) انشقّت عن الجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين التابعة لجورج حبش. وكان قائد هذه الجبهة المنشقة هو العقيد أحمد جبريل.

٨ ـ طلائع حرب التحرير الشعبيّة (الصّاعقة) بدأت عملياتها بعد ١٩٦٧ وتعتبر منظّمة بعثيّة على طراز بعث سوريّة.

٩ـ جبهة التحرير العربيّة. أسّست عام ١٩٦٩ بزعامة الدكتور محمّد حيدر وكانت دولة العراق تسندها.

١٠ـ جبهة النضال الشعبي، انشقّت بقيادة الدكتور سمير غوشة عن منظَّمة التحرير الفلسطينيّة عام ١٩٧٢.

١١ـ الجبهة الثوريّة لتحرير فلسطين(١).

الانتفاضة الاسلاميّة:

الثورة الفلسطينيّة، وإن ولدت إسلاميّة بفضل حضور علماء الدين في طلائع المجاهدين، إلّا أنّها طغت عليها الطّوارئ غير الإسلاميّة بسبب حضور التيارات العلمانيّة من الشيوعيّة والليبراليّة إلى القوميّة العربيّة، وانجرفت الجماهير وراء تلك النّعرات. إلّا أنها سرعان ما خيّم اليأس عليها بسبب ما منيت به من انتكاسات وتشرذم وانهيار إثر انحرافها عن القيم الإسلاميّة. ولكن بعدما قدّر الله للثورة الإسلاميّة في إيران الانتصار بقيادة الإمام الخميني + الذي جعل تحرير القدس من الأهداف الرئيسة لتلك الثورة، وكان في طليعة الانتصار القضاء على سفارة إسرائيل في طهران وتأسيس سفارة لفلسطين، وهرع ياسر عرفات في الأيّام الأولى بعد الظفر إلى إيران مهنّئاً الإمام والشّعب المسلم في إيران ومبتهجاً ومعبّراً عن سرور الأُمّة الفلسطينيّة وفرحها كما أخبر أنّ بيغن قال: (لقد بدأ عصر الظلمات والزّلزال في إسرائيل)، بعد هذا كلّه عرفت الجماهير الفلسطينيّة، بسبب

(١) يراجع: جنبشهاى آزادى بخش، حزب جمهورى اسلامى، ص ٩١ ـ ٩٤، حسين هدى ـ عليّ رضا بهشتى، طبع ١٣٦١ هـ. ش طهران.

الصّحوة الإسلاميّة الّتي عمت أمّة محمّد ﷺ أنّ الإسلام هو الطّريق الوحيد الذي بإمكانها أن تحقُّق بسلوكه النصر والتحرير والاستقلال لفلسطين. وإثر ذلك تزعّم علماءالدّين والمتديّنون السّاحة النضاليّة، والتفّت حولهم الجماهير المؤمنة، فانطلقت الانتفاضة الأولى بسلاح الحجارة في مقابل الدّبابات، ثمَّ تلتها الانتفاضة الثانية.

واكتسح السّاحة تنظيمان إسلاميّان جماهيريان، أحدهما منظّمة الجهاد الإسلامي الّتي أسّسها المجاهد الشهيد الدكتور فتحي شقاقي، وثانيهما منظّمة حماس الّتي أسّسها المجاهد الشهيد الشيخ أحمدِ ياسين. وانتهجت هاتان المنظّمتان أسلوب الجهاد الاستشهادي الذي زلزل إسرائيل وألقى الرّعب في قلوب الصّهاينة وحماتهم الغربييّن. وبدأ عصر التراجع الإسرائيلي من غزّة. واشتركت حماس في ساحة الاقتراع فحصلت على الأكثريّة، وشكّلت الدولة الفلسطينيّة الإسلاميّة وخاصّة بعدما لحق ذلك من انتصارات باهرة للمقاومة الإسلاميّة في لبنان بانتصار حزب الله على الجيش الإسرائيلي، وبذلك تلاشت أسطورة عدم انهزام الجيش الصهيوني!

ومن هنا نعرف مغزى إصرار جبهة الغرب، وعلى رأسها أمريكا، على مكافحة ما يسمّونه بالإرهاب، فإنّه لا مصداق للإرهاب في أنظارهم إلّا الإنتفاضة الإسلاميّة في فلسطين ولبنان الّتي أقَضَّت مضاجعهم وخيّبت آمالهم وأطعمتهم العلقم.

ولا شكّ ولا شبهة في أنّ هذا الذي يسمّونه بالإرهاب هو المقاومة والجهاد التّحريري والدّفاعي الذي يقرّ شرعيّته كلّ العقلاء وجميع شرايع السّماء. والعالم يعرف أنّ هؤلاء المدّعين لمكافحة الإرهاب هم الإرهابيّون وأصحاب العنف في حقّ الشعوب والجماهير.

معالم النّصر:

وفي ختام البحث عن فلسطين والانتفاضة الإسلاميّة، من المناسب أن أذكر

قصيدة قلتها تحت عنوان (معالم النّصر) في محضر قائد الثورة الإسلاميّة الإمام الخامنئي يوم ١٧ ربيع الأوّل عام ١٤٢٧ هـ، حينما التقى به مجموعة من شعراء بعض البلدان العربيّة وشعراء إيران الفرس، منهم والعرب الخوزستانيّون، بمناسبة انعقاد المؤتمر العالمي للقدس في طهران في تلك الأيّام. ومن طريف القول أنّ انتصار حزب الله الذي تفاءلت به في القصيدة تلا ذلك المؤتمر بمدّة قصيرة حوالي ثلاثة أشهر ! وهذه هي القصيدة[1]:

فلسطينُ هبُّي فالقلوبُ هوائمٌ بيوم الوغى في الذود عنك غرائمُ
لئن كنت نهباً لليهود ومغنماً وقد وزّعت أشلاك منهم قشاعم
وقد شرّدت أهليك منهم أراذل كما دنّست مسرى الرسول بهائم
وأحرقت الأقصى الشريف صهاين بنار صليب سجّرتها سخائم
وإن سراة العُرب رهن تفرّق تمادى بهم ذل وعيش ملائم
فلسطينُ قرّي وانعمي الدهر كلَّه فللنّصر هذا اليوم لاحت معالم
بعزمة أبطال أشاوس جاهدوا جهاد حماس شيبة وبراعم
عشقوا الشهادة فالممات لديهم عُقدُ الوسام وللجنان سلالم
صبغت لذاك النهج حمر معالم بدم الحسين وقد خَطتْهُ عوالم
قد فاز حزب الله من حيث اقتفى درب الشهيد وللشهيد مكارم
وكذا حماة القدس إذ سلكوا له درب الفداء وللفداء علائم
وغدا لروح الله نهجاً ثائراً للمسلمين مراهم وبلاسم
هي صحوة للمؤمنين ويقظة تنفى الرقاد وللعدوّ قواصم
ايران أضحت للهزابر معقلاً ترنو لتصنع في اليهود ملاحم
ترنو لأمر عليّها ببسالة فتعيد أخرى خيبراً وتهاجم
حصن اليهود بذكر يوم المرتضيٍ فالعرب تهفو لاسمه وأعاجم
مسْك الختام إلى الإمام رسالةٌ نحن الفدا بدم الشهيد نقاسم
بَعناية المولى الكريم ولطفه دم سالماً، فلك البسيج صوارم

---

(١) المقطوعة الأولى من القصيدة على بحر الطويل إلى البيت السابع، والمقطوعة الثانية، من البيت الثامن إلى الأخير، على بحر الكامل.

لبنان

لبنان على قلّة مساحته يحتلّ موقعاً استراتيجيّاً ممتازاً، الأمر الّذي أطمع المستعمرين فيه. فبعد سقوط الدّولة العثمانيّة غزته فرنسا ليكون مستعمرة لها. ولكن سرعان ما اندلعت الانتفاضات الشعبيّة بقيادة علماء الدين وغيرهم من المفكّرين بوجه المستعمرين إلى أن حصل على الاستقلال عام ١٩٤٣م، وإن بقيت آثار المستعمرين مخيّمة عليه إلى الآن. ومن جملتها تقسيم المناصب والامتيازات السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والثقافيّة على أساس الحصص الطائفيّة والمذهبيّة بناء على الميثاق الذي فرضته فرنسا عام ١٩٤٣ وهو تقسيم ظالم لا يقوم على اعتبارات عقلانيّة شرعيّة ولا ديمقراطيّة. فبناءً عليه تكون حصّة الأسد للمسيحيين المارونييّن أي بالمائة خمسون من كلّ شيء ولهم منصب رياسة الجمهوريّة وقيادة الجيش ورياسة البنك المركزي ووزارة الاقتصاد، والحال أنّهم لا يشكّلون إلّا ٪٢٤من مجموع اللبنانيّين.

وبعدهم يكون سهم السّنَّة أي ثلاثون بالمائة ولهم منصب رياسة الوزراء والحال أنّ نسبة تعدادهم حوالي ٢١٪ وأمّا الشيعة فلهم عشرون بالمائة ولهم رياسة البرلمان والحال أنَّهم يشكلون ٣٢٪ من سكان لبنان. والحقّ أنّها لقسمة ضيزى! وما إن تنفّس لبنان قليلاً بتحرّره من نير الاستعمار الفرنسي حتى جاءته الطّامة الكبرى، وهي تشكيل الدّولة الغاصبة للقدس الّتي أصبحت تطمح لاحتلال لبنان. وقد احتلّته عدّة مرّات، لكنّه تحرَّر بفضل المقاومة الإسلاميّة. وإليكم الآن الإشارة إلى أهمّ الانتفاضات الإسلاميّة التي حدثت بعد الحرب العالميّة الأولى إلى الآن في لبنان:

١ـ ثورة السّيّد عبد الحسين شرف الدين العاملي (١٩٢٠ . ١٣٧٧هـ. ق)

هو فقيه إمامي، له اشتغال بالحديث ومشاركة في الحركات السياسيّة الوطنيّة ببلاد الشام. ولد في شحور بجبل عامل، وتعلم بالنجف، وأقام في صور، وناوأ الفرنسيّين لمّا احتلّوا لبنان فآذوه، فرحل إلى سورية ففلسطين. ثمّ عاد إلى صور(١٣٣٩) وزار العراق وإيران (١٣٥٥،١٣٥٦) ثمّ تُوفي بصور ودفن في النجف. له عشرة تآليف مطبوعة، منها (المراجعات) و(الفصول المهمة في تأليف الأُمة) و(الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام و...)[١].

ومن أهمّ مواقفه ضدّ الاستعمار الفرنسي إقامته لمؤتمر في وادي الحجير[٢] في جنوب لبنان اشترك فيه العلماء من جميع نواحي لبنان.

وقد أعلن فتواه هناك للجهاد ضدّ المستعمرين، وأيّده جميع العلماء والزّعماء وانتشروا للعمل بها. وقد أفلحت بعد عدّة سنين بحصول لبنان على الاستقلال عام ١٩٤٥م. وقد لاقى الأمرّين في ذلك، فقد أحرقوا بيته وأحرقوا مكتبته، ومنها الكتب الخطيّة الّتي ألّفها وهرعت الجماهير للدّفاع عنه واضطرّ إلى الهجرة عن بلده إلى مصر وسورية وفلسطين[٣].

٢ـ حركة الإمام موسى الصّدر (١٣٤٧ ـ ١٣٩٨)

هو زعيم شيعي. أصله من عائلة من جبل عامل في جنوب لبنان، أو أنّه إيراني (تلبنن). ولد في مدينة قُمّ الإيرانيّة، وأنهى دراسته الدينيّة والفقهيّة ثمّ

(١) الأعلام، الزركلي ج ٣/ ٢٧٩.

(٢) من المناسب ذكر هذه الخاطرة، إنّني في سفرتي الثانية إلى لبنان عام ٢٠٠٢م (١٣٨١ ش) وفّقت إلى زيارة ذلك الوادي الذي عقد المؤتمر المذكور فيه وقد التقيت هناك بمجموعة من أبطال حزب الله المرابطين في الحدود الجنوبيّة المشرفة على الأراضي المحتلة وقد صلّيت بهم المغرب والعشاء وجلسنا بعد ذلك على مائدة الإفطار وألقيت عليهم خطاباً بمناسبة ليلة شهادة أمير المؤمنين عليه السلام أي ٢١ من رمضان ١٤٢٣.

(٣) علماى مجاهد، محمّد حسن رجبى، ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨، ط مركز إسناد انقلاب اسلامى، طهران ١٣٨٢ ش.

الجامعيّة في كليّة الحقوق بجامعة طهران. وشارك في اصدار مجلّة مكتب اسلام في قُمّ. وقدم إلى صور في جنوب لبنان عام ١٩٥٩م ليخلف نسيبه المتوفّى حجّة الإسلام والزعيم الشيعي الديني في صور عبد الحسين شرف الدين. أنشأ تنظيماً خاصّاً بالطائفة الشيعيّة عام ١٩٦٧، وانتخب رئيساً لمجلسه، وأسّس حركة أمل عام ١٩٧٦. ودافع عن تحرير الجنوب من اليهود طويلاً، وتجوّل في بلاد عربيّة لعرض حقيقة الأخطار في لبنان، وكانت آخر مرحلة في رحلته العربيّة هي ليبيا، التي بدأ زيارته لها بتاريخ ٢٥ / ٨ / ١٩٧٨م ولم يعد منها، ولم يوقف له على أثر[1]!!

وما كانت نشاطاته تنحصر بالثقافيّة والاجتماعيّة والسّياسيّة في مواجهة الاستعمار، بل عمد إلى تنظيم جناح عسكري وربّى كوادر للكفاح المسلّح.

أنشأ (أفواج المقاومة اللبنانية ـ أمل) كجناح عسكري للحركة من أجل مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، والّتي أعلن عنها عام ١٩٧٤، بعد انفجار مخيم عين التينة، وانكشاف أمر التدريبات العسكريّة فيه. وهو صاحب الشعار المشهور (إسرائيل شرّ مطلق)، فكان يدعو إلى محاربتها وتحرير الأرض من احتلالها، وقد شاركت مجموعات من أمل في المواجهة مع إسرائيل في بعض المواقع الجنوبيّة، الّتي كانت منظّمة التحرير الفلسطينيّة تشرف على غالبيتها[2] ولا ننسى موقف الدكتور الشهيد مصطفى چمران المناضل الإيراني الذي كان ساعده الأيمن في تنظيماته السياسيّة والعسكريّة والاجتماعيّة تغمّده الله برحمته الواسعة.

٣ـ المقاومة الإسلاميّة في لبنان (حزب الله):

المقاومة الإسلاميّة في لبنان الّتي يمثّلها حزب الله بأحسن تمثيل هي آصل وأسلم وأقوى مقاومة في وجه الطّغاة الصّهاينة والأمريكان عرفها لبنان في تاريخها المعاصر. وتستقي المقاومة جذورها الفكريّة من التّعاليم الإسلاميّة لأهل

(١) تتمّة الأعلام للزركلي ج ٢ / ٢٧٠.

(٢) حزب الله، المنهج، التجربة... المستقبل، الشيخ نعيم قاسم ص ١٧ ـ ١٨ ط: دار الهادي بيروت عام ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

البيت عليهم السلام،حيث كان في السّاحة اللبنانيّة علماء مجتهدون ناشطون في الحركة الثقافيّة الدينيّة وعلى رأسهم الإمام السيّد موسى الصدر (١٣٤٧ ـ ١٣٩٨هـ. ق) والشيخ محمّد جواد مغنية (١٣٢٢ ـ ١٤٠٠ هـ. ق) والشيخ مهدي شمس الدين (١٤٢١ هـ. ق) والعلّامة السيّد محمّد حسين فضل الله. أثّر هؤلاء الأعلام تأثيراً بالغاً في التربية الإسلاميّة للشبيبة المؤمنين هناك. وقد برزت تنظيمات سياسيّة وعسكريّة ذات طابع إسلامي بتأثير من تعاليم أولئك العلماء، أمثال حركة أمل واللّجان الإسلاميّة وحزب الدعوة والمستقلّين. وبعد انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران بزعامة الإمام الخميني واكبت الجماهير المؤمنة في لبنان تلك الثورة وتأثّرت بها إلى أبعد الحدود. وحينما بدأ الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ وشاركت مجموعات من الشبيبة المؤمنة ومن تلك التنظيمات في التصدي له، أدركت ضرورة تنظيم إسلامي واسع يتمحور أوّلاً على الإسلام كمنهج كامل، وثانياً على القيادة الشرعيّة لوليّ الفقيه، وثالثاً على المقاومة للاحتلال الإسرائيليّ. فانتدب تسعة أفراد كممثّلين عنهم: ثلاثة عن التجمع العلمائي في البقاع، وثلاثة عن اللّجان الإسلاميّة، وثلاثة عن حركة أمل الاسلاميّة[١]. فحمل التسعة الورقة النهائيّة الّتي عرفت ب (وثيقة التسعة) والتي تضمّنت الأهداف المذكورة، ثمّ رفعوا هذه الوثيقة للإمام الخميني + فوافق عليها،فاكتسبت شرعيّة تبني الوليّ الفقيه لها. عندها قرّرت المجموعات الإسلامية الموافقة على الوثيقة حلّ تشكيلاتها التنظيميّة، وأنشئ تشكيل واحد جديد سمّى حقاً باسم (حزب الله)... ترافق ذلك بالتضامن الإيراني الإسلامي مع لبنان وسوريا، حيث أمر الإمام الخميني + الحرس الثوري الإيراني بدعم لبنان في مواجهته لإسرائيل، من خلال التدريب العسكري، وتوفير المقوّمات اللّازمة لذلك.

وقد وقع الاختيار على القيادة الجماعيّة الفرديّة، وأطلقت تسمية الشورى

(١) انشقّت حركة أمل الإسلاميّة برئاسة نائب الرئيس سيد حسين الموسوي، عن حركة أمل التي يرأسها الأستاذ نبيه برّي، بعد اختلاف على الموقف السياسي من تطوّرات ما بعد الاجتياح.

على هذه القيادة. ولم يكن للشورى رئيس أو أمين عام. وقد استمرّ هذا الشكل التنظيمي سبع سنوات. ومع تطوّر العمل نشأت الحاجة لتعديل الشكل التنظيمي للشورى وطريقة اختيارها وصمّمت على تعيين أمين عام تنتخبه الشورى. وعليه فقد انتخبت الشيخ صبحي الطفيلي أميناً عامّاً لها عام ١٩٨٩ م ثمَّ الشهيد السيّد عبّاس الموسوي عام ١٩٩١ الذي استشهد عام ١٩٩٢، فانتخبت الشورى السيّد حسن نصر الله أميناً عامّاً خليفةً له، وهو الآن يشغل هذا المنصب أمدَّ الله في عمره وتوفيقه.

وكان عمدة اتجاه الحزب لتنظيم الكوادر معنويّاً وفكريّاً وعسكريّاً، وقام بعدّة عمليّات استشهاديّة كبّدت العدوّ المحتل خسائر جسيمة اضطرّ إلى الفرار بسببها، فتحررّ لبنان عام ٢٠٠٠م. كما قام حزب الله بنشاطات سياسيّة واسعة اكتسحت السّاحة اللبنانيّة، وتنظيم جهاز للخدمات الاجتماعيّة مثل مؤسَّسة جهاد البناء في المجالات العمرانيّة والزراعيّة والصحّيّة، وتنظيم جهاز إعلامي مثل فضائيّة المنار وصوت المستضعفين(١).

وأصبح حزب الله نتيجة للنشاطات والعمليّات الّتي قام بها شوكة في عيون الصهاينة والأمريكان. لذلك حاولت أمريكا والنظام الغاصب للقدس التحرّش بحزب الله من أجل نزع سلاحه، إلّا أنّهم باءوا بالفشل حينما شاهدوا المقاومة الإسلاميّة الباسلة الّتي استمرَّت ثلاثة وثلاثين يوماً بلا أيّ تراجع من حزب الله عام ٢٠٠٦م، وتلقّوا صفعات قاتلة منه من خلال صواريخ الكاتيوشا الّتي استهدفت المستوطنات والمدن الصهيونيّة إلى عمق سبعين كيلو متراً في عمق أراضيها لأوّل مرّة في حياتها المملوءة بالإجرام والإرهاب، وعرفواء بأن عصر الاستعمار قد ولّى، وجاء دور الإسلام وتقرير الشعوب في ضوئه مصيرها.

---

(١) حزب الله، المنهج ـ التجربة ـ المستقبل، الشيخ نعيم قاسم، ص ١٦ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢١ ـ ٢٣ ـ ٢٤ ـ ٨٥ ـ ٨٦ ـ ١١٠ ـ ١١٥.

سورية

وسورية من البلاد الّتي احتلّتها فرنسة حينما كان فيصل بن الشريف حسين الهاشمي حاكماً عليها عام ١٩٢٠ م، وانفجرت الثورة الكبرى بوجه المحتلّين الفرنسيّين وشارك فيها علماء مجاهدون وأبطال مؤمنون، وقد قاموا بخلق الملاحم في معارك كثيرة أهمُّها:

١ـ معركة ميسلون قادها العسكري المؤمن يوسف العظمة واستشهد فيها. كما استشهد كوكبة من علماء الدين هناك أمثال الشيخ عبد القادر كيوان والشيخ كمال بن أحمد الخطيب وغيرهما.

٢ـ معركة الغوطة وكان الشيخ محمّد الأشمر من أبطالها. وأمّا العلماء الذين كان لهم دور في تحريض النّاس على الجهاد ضدَّ المحتلّين فهم:

١ـ الشيخ بدر الدين الحسني (١٢٦٧ـ ١٣٥٤هـ/ ١٨٥١ـ ١٩٣٥م) وهو محمّد بن يوسف من ذريّة السيّد النسيب الحسيب، المحب للرسول الكريم ﷺ الإمام الخير ولي صاحب دلائل الخيرات، من ذريّة سيّدنا الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام. وكان الموجّه الأوّل لثورة سورية الكبرى.

٢ـ الشيخ عليّ الدّقر وقد خطب بجامع السنانية فقال: يا إخواننا، اللّص دخل الدار، وهو يطلب منكم ثلاثة أشياء: دينكم ومالكم وعرضكم. ولما سأله أحد المستمعين: من هو هذا اللّص يا شيخي؟ أجاب الشيخ على الدّقر: إنه فرنسة!

٣ـ الشيخ محمّد كامل القصّاب (١٢٩٠ـ ١٣٧٣هـ/ ١٨٧٣ـ ١٩٥٤م) رئيس اللّجنة الوطنية العليا الذي هيأ ونظّم لمعركة ميسلون[1].

---

(١) الإسلام وحركات التحرر العربيّة ص ١٥٣ ـ ١٧١.

مصر

احتلَّت فرنسا بقيادة نابليون بونابرت أرض مصر عام ١٧٩٨، وبعدها احتلّتها بريطانيا عام ١٨٨٢. وانتفضت بوجه المستعمرين ثورات كثيرة قاومت عسكريّاً أو سياسيّاً أو ثقافيّاً على الأقلّ، فانتصرت في تحرير مصر وكسب استقلالها. ومن أهمّ الثورات التي قادها علماء الدين أو الزعماء الوطنيّون هناك:

١ـ ثورة الشيخ محمّد السادات رئيس اللّجنة الثورية في ثورة القاهرة الأولى عام (١٧٩٨)[١].

٢ـ الشيخ محمّد كريم. قاوم الاستعمار الفرنسي ورفض التعاون معهم عام (١٧٩٨)[٢].

٣ـ الشيخ عمر مكرم: نقيب الأشراف في مصر... قاوم نابليون وخاض معركة إمبابة ثمَّ تزعّم ثورة القاهرة الثانية عام (١٨٠٠)[٣].

٤ـ الشيخ الكيلاني وهو مغربيّ الأصل كان ساكناً في الحجاز، فنفر منها لنجدة مصر في محنتها عندما دنّس أرضها الفرنسيّون[٤].

٥ـ السيّد عليّ البكري نقيب الأشراف وشيخ مشايخ الطرق الصوفيّة، وفي بيته كانت تعقد أخطر الاجتماعات الدينيّة والسّياسيّة، توفي عام ١٣٥١هـ (١٩٣٢)[٥].

٦ـ ثورة أحمد عُرابي (١٢٥٧ـ ١٣٢٩هـ). جاور الأزهر سنتين ثمَّ انتظم

(١) الإسلام وحركات التحرر العربيّة، شوقي أبو خليل، الطبعة الخامسة دمشق عام ١٤١١ـ١٩٩١ والطبعة الأولى ١٣٩٧. ص ١٩ ـ ٢٣.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٥.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٧.
(٤) المصدر نفسه، ص ٣٤.
(٥) المصدر نفسه، ص ٣٥ ـ ٣٩.

جنديّاً وبلغ رتبة (أميرالاي) في أيام الخديوي توفيق وثار ضدَّ المحتلّين الفرنسيين والإنجليز عام ١٨٨٢. والتفّ حوله عدّة من العلماء[١] وكان مسلماً ملتزماً محبّاً لأهل البيت عليهم السلام.

٧ـ الشيخ محمّد عبده (١٢٦٦ ـ ١٣٢٣هـ) مفتي الدّيار المصريّة ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، وكان متأثّراً بأفكار السيّد جمال الدين الأسدآبادي وشارك في ثورة عُرابي[٢].

٨ـ عبد النديم (١٢٦١هـ ـ ١٨٤٥ـ وتوفي١٨٩٦م). شارك في الثورة العُرابيّة وأنشأ جريدة الطائف ومجلة الأستاذ وأنشأ في الإسكندرية الجمعيّة الخيريّة الإسلاميّة، وأصدر جريدة التنكيت والتبكيت[٣].

٩ـ الشيخان حسن العدوي ومحمّد عليش، اشتركا في الثورة العرابيّة. كان الأوَّل من أقدر خطباء الثورة والثاني من أمهر كتّابها[٤].

١٠ـ السيّد محمّد القاياتي كان من كبار الصوفية المسهمين في الثورة العرابية ومعه الشيخ أحمد القاياتي والسيّد عليّ القاياتي صاحب (منبر الشرق)[٥].

١١ـ مصطفى كامل (١٨٧٤ ـ ١٩٠٨) يلقّبه المؤرّخون بباعث الحركة الوطنيّة، وكانت حركته موصوفة بالالتزام الديني[٦].

١٢ـ سعد زغلول (١٢٧٣ـ ١٣٤٦) دخل الأزهر أربع سنوات واتصل بالسيّد جمال الدين الأسد آبادي، واشتغل في جريدة الوقائع مع الإمام الشيخ محمّد عبده سنة ١٢٩٨، واشترك في ثورة عُرابي، وانفرد بقيادة الحركة الوطنيّة وتنظيمها ما بين ١٩١٩م و١٩٢٧م[٧].

---

(١) الإسلام وحركات التحرر العربيّة، شوقي أبو خليل، الطبعة الخامسة دمشق عام ١٤١١ـ ١٩٩١ والطبعة الأولى ١٣٩٧، ص ٤٣ – ٤٥.
(٢) المصدر نفسه، ص٤٦.
(٣) المصدر نفسه، ص٤٧.
(٤) المصدر نفسه، ص ٤٨.
(٥) المصدر نفسه، ص ٤٨.
(٦) المصدر نفسه، ص ٥٠.
(٧) المصدر نفسه،ص ٥٧.

الجزائر

احتلّتها فرنسا عام ١٨٣٠م وانتفضت بوجهها الانتفاضات الإسلاميّة الشعبيّة إلى أن حصلت على استقلالها في عام ١٩٦٢م. وهذه أهمّ ثوراتها:

١ـ ثورة الأمير عبدالقادر بن محيي الدين الجزائري الحسني (١٢٢٢هـ ـ ١٣٠٠)، (١٨٠٧م ـ ١٨٨٣):

هو أمير مجاهد من العلماء الشعراء. بايعه الجزائريون وولوه القيام بأمر الجهاد فقاتل الفرنسيّين خمسة عشر عاماً، وأنشأ إمارة إسلاميّة لتقف في وجه الغزو الصليبي الفرنسي. وبعد ضعفه وسقوط إمارته استسلم بشروط قبلها الفرنسيّون، فنفوه عن البلاد ومات في الشام[1].

٢ـ ثورة الإمام عبدالحميد بن باديس (١٣٠٨هـ ـ ١٣٥٩)، (١٨٨٧-١٩٤٠م):

رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، أصدر مجلّة الشهاب وكان شديد الحملات على الاستعمار[2]. وثورته كانت تتّصف بالثقافة أكثر من الجوانب الأخرى.

٣ـ الشيخ محمّد بشير الإبراهيمي (١٨٨٩):

كان نائباً لابن باديس في رياسة جمعيّة العلماء وكان كاتباً[3].

٤ـ ثورة الجزائر (١٩٥٤ ـ ١٩٦٢):

وكانت قيادة هذه الثورة لجبهة التحرّير الوطنية الجزائريّة. وكان من بين

---

(١) الإسلام وحركات التحرر العربيّة، شوقي أبو خليل، الطبعة الخامسة دمشق عام ١٤١١ـ ١٩٩١ والطبعة الأولى ١٣٩٧، ص٧٠ - ٨٠.

(٢) الأعلام، الزركلي، ج ٣/ ٢٨٩.

(٣) الإسلام وحركات التحرّر العربيّة، ص١٠٦.

قادتها أحمد بن بلّا وهوّاري بومدين. انتهت بالاستقلال عام ١٩٦٢ بعد حروب دامية راح ضحيّتها مئات الألوف. وكتبوا دستوراً أكّدوا فيه على أنّ الدين الرسمي للبلاد هو الإسلام، إلّا أنّ بعض القادة كانت لهم ميول شيوعيّة وقوميّة[1].

٥ـ الجبهة الإسلاميّة للإنقاذ: تشكّلت على يد بعض الإسلاميّين مثل عباس مدني وسقطت هذه الجبهة بعد أن كسبت آراء الأكثريّة بانقلاب عسكري مدعوم من الغرب.

(١) جنبشهاى آزادى بخش ص ١٧٤ ـ ١٨١.

ليبيا

احتلّتها ايطاليا عام ١٩١١ حينما رأت الدول الغربيّة وقد مدّت كلٌّ واحدة منها يدها إلى منطقة ثريّة من مناطق آسيا أو أفريقيا، فأدلت دلوها بين الدّلاء، واختارت ليبيا لغزوها الاستعماري. وبدأت بتأسيس (بنك دي روما) الذي عمد إلى إقراض الفلّاحين، إزاء رهن أراضيهم، ثمَّ الاستيلاء عليها بعد عجزهم عن تسديد ما أخذوا، كما فتحت المدارس التبشيريّة والشركات، ووظّفت رؤوس أموال.

وفي ٢٧ أيلول ١٩١١م رأت الحكومة الإيطاليّة أنّ الظروف مناسبة لاحتلال ليبيا باعتبار أنّ الدّولة العثمانية أصبحت مهدّدة من قبل الدول الغربيّة، وآلت قوّتها إلى الأفول، فأرسلت أسطولها وهو يحمل أربعين ألف جنديّ. وتم الاحتلال وتنازلت الدولة العثمانية عن ليبيا لإيطاليا(١) والعثمانيون وإن كانوا أسلموا ليبيا للمستعمر الكافر، إلّا أنّ الروح الإسلاميّة الحاكمة على الجماهير المسلمة لاتسمح لهم بالخنوع أمام المذلّة والهوان، لذلك انتفضوا بقيادة علمائهم وسطّروا ملاحم في الدفاع عن وطنهم. وهذه نماذج من تلك الانتفاضات:

١ـ الثورة السنوسيّة(٢):

وهذه الثورة قادها ثلّة من العلماء في وجه الإيطاليّين. ولقد قويت المقاومة

(١) الإسلام وحركات التحرّر العربيّة، شوقي أبو خليل ص ١٣٩ ـ ١٤١.

(٢) مؤسّسها أبو عبدالله محمّد بن عليّ السّنوسي الخطّابي الحسني الإدريسي (١٢٠٠ـ ١٢٧٦هـ) (١٧٨١ ـ ١٨٥٩م): زعيم الطريقة السنوسيّة الأوّل ومؤسّسها، ولد في (مستغانم) من أعمال الجزائر، وتعلّم (بفاس)، وتصوّف على يد الشّيخ عبدالوهّاب التّازي، جال الصّحراء إلى الجنوب من الجزائر يعظ الناس، ثمَّ زار تونس وطرابلس وبرقة ومصر ومكّة المكرّمة، وبنى زاوية في جبل أبي قبيس، ثمّ ارتحل إلى برقة سنة ١٢٥٥هـ، وأقام في الجبل الأخضر، فبنى الزّاوية البيضاء، وكثر تلاميذه، وانتشرت طريقته، فارتابت الحكومة العثمانيّة في أمره فانتقل الى واحة جغبوب، فأقام بها حتى تُوفي، له نحو أربعين كتاباً ورسالة منها: إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن (الأعلام ٧/ ١٩٢).

بسبب الروح الإسلاميّة الّتي حملها السنوسيّون ممّا اضطرّ الإيطاليين إلى الجلاء عن المناطق الدّاخليّة، والاعتراف للسّنوسيين بحكمها، حسب اتفاقيّة ١٩١٧م[1].

٢ـ ثورة عمر المختار:

عادت إيطاليا، بعد انسحابها بعض الشيء عن ليبيا بعد الحرب العالميّة الأولى إلى تقوية حامياتها، وأعادت احتلال المناطق الداخليّة مستخدمة أحدث الأسلحة في ذلك.

وفي هذه المرّة انتفضت الأُمّة الليبيّة خاصّة أبناء القبائل بقيادة عالم من علماء الطريقة السنوسيّة، وهو عمر المختار بن عمر المنفي (١٢٧٥ ـ ١٣٥٠هـ/ ١٨٥٨ - ١٩٣١م) من قبائل بادية (برقة) وتعلم في الزاوية السنوسيّة بالجنوب واقامه محمّد المهدي الإدريسي شيخاً على (زاوية القصور). فأقام إلى أن احتلّ الطليان مدينة (بنغازي) سنة ١٣٢٩، فكان في طليعة المجاهدين، وتهادن الإيطاليون والطرابلسيّون سنة ١٣٤٠هـ. وتجدّدت المعركة مع الإيطاليين، واتفق الرؤساء على أن يكون عمر المختار هو القائد العام، فحصلت مائتان وثلاث وستون معركة خلال عشرين شهراً. واستمرّ الكفاح إلى عشرين سنة. وفي إحدى المعارك أسر بيد الإيطاليّن وحكم عليه بالإعدام بعد المحاكمة الصّوريّة، في أيلول (سبتمبر) سنة١٩٣١، واتخذت التدابير اللّازمة بمركز (سلوق) لتنفيذ الحكم أمام جمع غفير من أبناء (بنغازي)[2].

٣ـ موقف علماء الشيعة وإصدارهم فتوى الجهاد ضدّ الإيطاليّن:

ومن روائع التاريخ المعاصر أنّ الشّيعة في العراق وإن كانوا مضطهدين ويلاقون أبشع أنواع التمييز الطائفي في الدّولة العثمانية، إلّا أنّهم انطلاقاً من شعورهم بالمسئوليّة الشّرعيّة تجاه بيضة الإسلام، والأمّة الإسلاميّة، ينسون جميع تلك المعاملات المشينة وينطلقون بكلّ عزم وثبات للدّفاع عن بيضة الإسلام،

(١) المصدر نفسه، ص ١٣٩ ـ ١٤١.
(٢) المصدر نفسه ص ١٤٤ ـ ١٥١.

وعن كيان الدّولة المسمّاة باسم الإسلام إزاء الهجمات الكافرة. وكنموذج لذلك فإنّ علماء الشيعة من المراجع وغيرهم لما بلغتهم أنباء احتلال إيطاليا لليبيا وطرابلس الغرب،أصدروا فتاويهم بوجوب الجهاد والدّفاع، في نفس الوقت الّذي أصدروا فيه فتاوى جهاد ضدّ الرّوس المحتلّين شمال إيران. فقد أصدر الزعيم والمرجع الأعلى للشيعة السيّد كاظم اليزدي فتواه ضدّ الإيطاليين، كما أصدر العلماء الآخرون كالآخوند الخراساني والميرزا محمّد تقي الشيرازي وغيرهما. وشكّلت لجان الإغاثة وتجميع المساعدة لمسلمي ليبيا. فاشترك الشيعة جنباً إلى جنب مع السّنّة في تلك التقديمات الخيريّة. ومما يذكر في هذا: تبرع مبدر الفرعون رئيس آل فتلة من (الشيعة) وهو في السّجن بمبلغ يبلغ قدره خمسمائة ليرة، كما أعلن عن استعداده للمشاركة في الحرب، وقد كافاه الوالي على ذلك فأطلق سراحه من السجن هو وأقرباؤه من رؤساء آل فتلة[1].

إلى هنا تمّ ما أردنا عرضه من ثورات وانتفاضات تحرّريّة أحدثها مؤسّسوها بوجه الاستعمار والمستعمرين في القرنين الأخيرين بدافع الشعور بالمسئوليّة الإسلاميّة في الدّفاع عن الدّين والوطن. وإن استعملوا العنف فإنّه كان شرعيّاً وفي محلّه لأنّه كان لصدّ الظلم والاعتداء والعنف الغاشم والإرهاب الظالم.

---

(١) يراجع لمحات اجتماعيّة من تاريخ العراق الحديث، الدكتور عليّ الوردي ج ٣/ ١٨٨ ـ دورعلماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، سليم الحسني ص ٥٠ ـ ٦١.

فهرس الجزء الأول

الجهاد، ضوابطه وأخلاقه.. ٥

بحوث تمهيديّة.. ١٧

المحور الأول: تعريف الإرهاب والعنف ١٩

النقطة الأولى: الإرهاب والعنف في اللغة. ١٩

النقطة الثانية: الإرهاب في المصطلح المعاصر ٢١

العنف ٢٣

المحور الثاني: الإرهاب والعنف في العلوم الانسانيَّة.. ٢٤

النقطة الأولى: الإرهاب والعنف في علم النفس ٢٤

النقطة الثانية: الإرهاب والعنف في علم الأخلاق ٢٦

النقطة الثالثة: الإرهاب والعنف في عالم السّياسة.. ٢٨

أنواع الإرهاب في عالم السياسة.. ٣١

النقطة الرابعة: موقف القانون والحقوق من الإرهاب والعنف ٣٢

الدفاع الشّخصيّ في القانون.. ٣٢

موقف الشّريعة الإسلاميّة من الدفاع الشّرعيّ الشخصي ٣٤

موقف القانون الدَّوْلي من الدفاع الشرعي الاجتماعي ٣٦

التحرير الوطني والإرهاب الدّولي ٣٨
المحور الثالث: الإرهاب والعنف في الغرب ٤١
المطلب الأول: الإرهاب والعنف في الغرب المعاصر ٤١
الوجه الأوّل: الحروب الدامية ٤١
الحرب العالميّة الأولى والثانية ٤٢
الوجه الثاني: الأعمال الديكتاتوريّة ٤٣
الوجه الثالث: اعتداءات الغرب على البلدان الإسلاميّة ٤٤
الوجه الرابع: إرهاب المنظمات السّريّة ٤٤
الإرهاب الإسرائيلي ٤٦
الوجه الخامس: إرهاب المنظّمات السّرّيّة ٤٨
حرب العصابات ٤٨
الاغتيال السياسي ٤٩
الإرهاب السياسي الأميركي ٥٠
المطلب الثاني: نشوء وتطوّر فكرة التسامح في الغرب ٥١
المباني الفلسفيّة للتسامح الغربي ٥٣
تقييم نظريّة التّساهل وآثارها على الحضارة الغربيّة ٥٦
دور المستغربين في تسريب سياسة التّساهل إلى البلدان الإسلاميّة ٦٢
المحور الرابع: الإرهاب والعنف في التاريخ الإسلامي القديم والمعاصر ٦٣

الفصل الأوّل

الحكومات الإرهابيّة

الإرهاب الأُمويّ ٦٧

ضحايا إرهاب معاوية بن أبي سفيان ٦٧
ضحايا إرهاب يزيد بن معاوية ٦٨
ضحايا إرهاب الحجّاج بن يوسف الثقفي ٦٩
أعظم ضحايا إرهاب بني أميّة هم ذريّة رسولالله ﷺ ٦٩
الإرهاب العباسيّ ٦٩
الإرهاب العثماني ٧١
الإرهاب البهلويّ ٧٢
الإرهاب الصدّامي العفلقيّ ٧٣

الفصل الثاني
الحركات والتّنظيمات المسلّحة في التاريخ الإسلامي الماضي والحاضر

١ـ المنافقون: ٧٩
٢ـ الخوارج: ٨٢
٣ـ الحركات الباطنيّة: ٨٦
فرق الإسماعيليّة ٨٧
الخطوط العريضة للمذهب الإسماعيلي ٨٨
أ ـ القرامطة: ٩٠
توزّع القرامطة إلى ثلاث فرق ومرّورهم في ثلاث مراحل ٩٣
القرامطة وانتهاك حرمة الكعبة وقتل الحُجّاج في المسجد الحرام ٩٣
نهاية القرامطة ٩٧
ب ـ جماعة قلعة الموت: ٩٨
٤ـ الحركات السلفيّة ١٠٣

السلفيَّة في اللُّغة ١٠٣
السّلفيّة في الاصطلاح ١٠٣
مناقشة الفكر السَّلَف ١٠٥
نماذج من الحركات السلفيّة الإرهابيّة ١٠٩
أ ـ الحركة البربهاريّة: ١٠٩
ب ـ الوهابيّة: ١١٠
ابن تيميّة المنظّر الرئيسيّ للأفكار الوهابيّة.. ١١٠
دور بريطانيا في تأسيس الوهابيّة.. ١١١
دور آل سعود في انتشار الوهابية ١١٢
الاعتداءات والمجازر الوهَّابيَّة ١١٣
١ـ مجزرة العيينة:.. ١١٣
٢ـ مجازر نجد والاحساء: ١١٣
٣ـ مجازر النجف وكربلاء: ١١٤
٤ـ الاعتداء على المقدّسات في مكّة والمدينة: ١١٦
٥ـ مجزرة حُجَّاج اليمن: ١١٧
٦ـ الهدم الأخير للقباب وعلى رأسها البقيع: ١١٧
٧ـ مجزرة الحرم: ١٢١
خواطري تجاه مجزرة الحرم.. ١٢٦
السّر في استحلال الوهّابيّن دماء المسلمين هو تكفيرهم لهم ١٢٨
حركة الأخوان: (التيار الوهّابي المضادّ لآل سعود) ١٣٧
منشأ حركة الإخوان.. ١٣٨
أزمة الإخوان.. ١٤١

زعماء الإخوان واعتراضاتهم على آل سعود ١٤٣
موقف عبدالعزيز وعلماء الوهّابيّة تجاه الإخوان ١٤٥
الاخوان وغزو العراق ١٤٦
ثورة الإخوان ١٤٧
حركة الأمير خالد بن مساعد بن عبد العزيز ١٤٩
انتفاضة الحرم عام ١٤٠٠هـ ١٥٠
السّيرة الذاتية لجهيمان ١٥٠
الحركة الإخوانية لجهيمان ١٥١
جنسيّة الثوّار ١٥٥
موقف السلطة من الانتفاضة: ١٥٦
أخطاء لاتغتفر في انتفاضة الحرم وموقف الإمام الخميني + منها ١٥٧
معارضة النُّخب الوهابيّة ١٥٩
ج ـ جمعيّة الإخوان المسلمين: ١٦٠
موقف الإخوان المسلمين من الثورة الإسلاميّة في إيران ١٦٤
د ـ جماعة التكفير والهجرة: ١٦٦
هـ ـ جماعة الجهاد بمصر: ١٦٩
الإشادة بذكرى خالد لدى الشعوب الإسلاميّة ١٧٣
و ـ جيش الصّحابة الباكستاني: ١٧٤
فرقة جنكوى ١٧٦
ز ـ حركة طالبان: ١٧٨
ح ـ تنظيم القاعدة: ١٨٢
عوامل تكوين القاعدة ١٨٥

السّيرة الذاتيّة لأسامة بن لادن ١٨٩
بداية الجهاد: ١٩١
تأسيس القاعدة.. ١٩٣
عودة إلى المملكة ١٩٣
علماء طالبان مع بن لادن.. ١٩٧
الجبهة الإسلاميّة العالميّة.. ١٩٧
خلاف أسامة مع ملّا عمر ١٩٨
حصار طالبان ٢٠١
احداث ١١ سبتامبر ٢٠١
موقف بن لادن من أحداث ١١ سبتامبر.. ٢٠٢
علاقة بن لادن بأمريكا والدّولة السعوديّة ٢٠٤
من الرّابح ومن الخاسر في معركة الإرهاب ؟ ٢٠٩
عمليّات القاعدة في العراق ودور الزرقاوي ٢١٢
رسالة الزرقاوي إلى بن لادن والظواهري يشرح فيها وضع العراق ٢١٣
مصير الزرقاوي وفتوى السلفيّن في استباحة دماء الشّيعة.................... ٢١٨

الفصل الثالث

الحركات الإصلاحيّة والانتفاضات التحرّريّة الإسلاميّة في القرون الأخيرة

الهند وباكستان ٢٢٢
إيران ٢٢٤
١ـ جهاد الرّوس: ٢٢٤

٢ـ ثورة تحريم التّبغ (التنباك): ٢٢٥
٣ـ حركة السّيّد جمال الدين الحسيني الأسد آبادي: ٢٢٦
٤ـ نهضة المشروطة: ٢٢٨
٥ـ جهاد العشائر في خوزستان: ٢٣٠
٦ـ أبطال تنكستان ودشتستان: ٢٣١
٧ـ جهاد عشائر كازرون والقشقائيين: ٢٣٢
٨ ـ قيام الشيخ محمّد الخياباني (١٢٩٧ هـ. ق ـ ١٣٣٨ هـ. ق): ٢٣٢
٩ـ قيام الميرزا كوچك خان الجنكلي: ٢٣٣
١٠ـ حركة الشّهيد السيّد حسن المدرّس
(١٢٨٧ هـ. ق ـ ١٣٥٨هـ. ق) ٢٣٤
١١ـ واقعة مسجد كوهرشاد: ٢٣٤
١٢ـ نهضة (فدائيان اسلام): ٢٣٥
١ـ اغتيال أحمد كسروي: ٢٣٧
٢ـ اغتيال عبدالحسين هزير: ٢٣٨
٣ـ اغتيال الجنرال رزم آرا: ٢٣٨
نهاية المطاف لحركة فدائيان اسلام: ٢٣٨
١٣ـ ثورة تأميم النفط ونضال آية الله كاشاني: ٢٣٩
١٤ـ حركة السيّد محمود الطالقاني وجمعيّة (نهضت آزادي) ٢٣٩
١٥ـ الثورة الإسلاميّة بقيادة الإمام الخميني + ... ٢٤٠
الثّورة الإسلاميّة في مهبّ رياح الإرهاب ٢٤٣
استمرار الثورة الإسلاميّة في الجبهة الأماميّة لمقارعة الاستعمار ٢٤٥
أفغانستان ٢٤٦

العراق ٢٤٨
١ـ حركة الجهاد ضدَّ المحتلّين الإنكليز: ٢٤٨
ما هو موقف شيخ الإسلام العثماني وأتباعه من أهل سنّة
العراق في حركة الجهاد ؟.. ٢٥٠
٢ـ ثورة النّجف: ٢٥٧
٣ـ الثورة العراقية الكبرى (ثورة العشرين): ٢٥٩
نهاية المطاف في الثورة.. ٢٦٥
٤ـ معارضة علماء الشيعة للإنتداب الإنكليزي: ٢٦٦
٥ـ حركة الإمام كاشف الغطاء (١٢٩٦ ـ ١٣٧٣ هـ. ق) ٢٦٨
٦ـ الحركة الإسلاميّة المعاصرة العراقيّة: ٢٧٠
المرحلة الثانية للحركة الإسلاميّة المعاصرة في العراق: ٢٧٢
فلسطين ٢٧٧
أ ـ التنظيم الفلسطيني الأوّل بقيادة السيد
موسى كاظم الحسيني (١٩٢٠م) ٢٧٨
ب ـ ثورة الشهيد الشيخ عزالدين القسّام (١٣٠٠ ــ ١٣٥٤ هـ): ٢٧٩
ج ـ ثورة ١٩٣٦ (الإضراب العامّ في فلسطين): ٢٨١
حروب الدّول العربيّة مع النظام الغاصب للقدس: ٢٨٢
هـ ـ تشكيل المنظّمات الفدائيّة الفلسطينيّة: ٢٨٣
الانتفاضة الاسلاميّة: ٢٨٤
معالم النّصر: ٢٨٥
لبنان ٢٨٧
١ـ ثورة السّيّد عبد الحسين شرف الدين العاملي

(١٩٢٠ ـ ١٣٧٧هـ.ق) ٢٨٨
٢ـ حركة الإمام موسى الصّدر (١٣٤٧ ــ ١٣٩٨)........................ ٢٨٨
٣ـ المقاومة الإسلاميّة في لبنان (حزب الله): ٢٨٩
سورية ٢٩٢
مصر ٢٩٣
الجزائر.. ٢٩٥
ليبيا ٢٩٧
١ـ الثورة السنوسيّة: ٢٩٧
٢ـ ثورة عمر المختار: ٢٩٨
٣ـ موقف علماء الشيعة وإصدارهم فتوى الجهاد ضدّ الإيطاليّين: ٢٩٨
الفهرس ٣٠١